الأنطلاقة

الأغتسال في المطر والأنتصار

بكر أبو بكر

B A K E R A B U B A K E R



بكر ابو بكر

الأنطلاقة الأغتسال في المطر والأنتصار

B A K E R A B U B A K E R

أن الوطنية بمعنى التخصص والأولوية والتركيز كانت من مميزات حركة فتح التي لم يستطع أي تنظيم أن يباريها فيها ، بل أن فتح التي جوبهت باتهامات شرسة بالإقليمية والكفر بعد أكثر من أربعين عاما تجد أن كل المتهمين لها أخذوا يتهافتون على تبنى فكر الوطنية الفتحوي متخلين عن اتهاماتهم لها بالرجعية أو الإقليمية أو الكفر .



الانطلاقة

الاغتسال في المطر والانتصار

الانطلاقة

الاغتسال في المطر والانتصار

بكر أبو بكر/ مؤلف من فلسطين

الطبعة الأولى: 2018

دار الأمين للنشر والتوزيع

ناشرون وموزعون

رام الله فلسطين

وطنية +970568549769

جوال +970599649769

e: mail: daralamin2010@gmail. com

تصميم الغلاف: رامي قبج

الانطلاقة

الاغتسال في المطر والانتصار

بكر أبوبكر

منشورات

حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح
مفوضية الاعلام والثقافة والتعبئة الفكرية

المحتويات

مقدمة:

في إطار المراجعات الفكرية والتأملات والكتابة إعـدادا لخطاب أو محاضرة أو ندوة أو دورة سطّرنا مجموعة من الدراسات والمقالات والتحليلات السياسية نشرناها، أو ألقيناها في حينها.

كتبنا في المواضيع التي تمعن النظر في الأداء التنظيمي والسياسي من حيث ضرورة استمطار الأفكار والاغتسال الذهني التجديدي، ومن حيث تقابل الأداء مع الفكرة والهدف، ومن حيث صلاحية الفكرة المعبَّر عنها بالأداء الفعال، وأيضا من حيث اتساق الأداء بناء على آليات البناء المرتبط بالإدارة (الإنسانية) التنظيمية التي تُعلي من قيمة (الاتصالات) الفعالة مع الأعضاء، فنتشرف بأن تكون (القيادة) محفّزة ومحرضة ومحركة لكوامن الإبداع في الآخرين.

في ذات الوقت افترضنا فيما نكتب أن يأخذ كل عضو من الأعضاء (دوره) ضمن (الفريق) الذي يشتمل على أدوار متكاملة في آلية (الخدمة) للقضية وفلسطين، والأعضاء ضمن الإطار.

يشتمل هذا الكتاب على عدد من المواضيع المرتبطة بانطلاقة الثورة الفلسطينية انطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح التي ارتأينا أن تُنشر معا، ما يمكّن الاستفادة القصوى منها في آليات فتح آفاق مشتركة

للتفكير، وفي نطاق التعبئة الايجابية داخل التنظيم أو أي جماعة، وفي حركة «فتح» تحديدا، وفي تنظيم وعمل الدورات والندوات على طريق التثقيف الذاتي والجماعي.

وإنها لثورة حتى النصر

بكر أبو بكر

عضو قيادة مفوضية الاعلام والثقافة والتعبئة الفكرية

رئيس لجنة التعبئة الفكرية في حركة فتح

في ذكرى انطلاقة حركة فتح
انتصار الفكرة وصعود التنظيم الجماهيري.

تستقبل حركة فتح العام 2008 وهي قوية ثابتة ديمقراطية، حيث الأرض ممهدة لاستمرار انخراط الأعضاء في المشاركة وصنع القرار عبر العملية الديمقراطية الداخلية المتصلة حتى انعقاد المؤتمر العام السادس هذا العام. وحيث السياسة بين أيدي قادة فتح أثبتت أنها تسير وفق وصايا الراحل الخالد ياسر عرفات الذي وضع بين نظر الجميع القدس والدولة واللاجئين والسيادة والشهادة معا، كما وضع بين يديها وديعة الوحدة الداخلية والوحدة الوطنية لأنه بفتح الموحدة وفتح الوطنية الديمقراطية وفتح الشفافية وفتح الصعود التنظيمي والجماهيري تكسب فلسطين البوصلة وفلسطين الدولة، ولأنه بدون فتح تضعف الإشارات وتتناقص الروابط وتنهار عوامل الجمع وتبدأ القسمة تنخر في عظام الأمة.

قال الرجل الثاني في حركة فتح صلاح خلف (أبو إياد) في أحد مهرجاناته الصاخبة (إن قوتنا في وحدتنا، كونوا جميعا وإن تضايقتم، ولا تكونوا آحادا وإن شعرتم بالراحة) وقال رحمه الله (دعني أدافع عنك لتقول رأيك، واجتهد في مخالفتك) ما لم تقبله القيادات الفلسطينية ما قبل الانطلاقة، وخاصة قيادات الإخوان المسلمين (يراجع كتاب د. عبد الله أبوعزة مسؤول

الإخوان المسلمين تلك الحقبة)[1] والقوميين في فلسطين وخارجها.

إن فتح انتصار الفكرة لا تجعل من مواقف الهزال والاندحار لرجال صغار فيها أو من خارجها عنوانا، وإنما فتح الانتصار للفكرة أعمدة خمسة للعمل الوطني، وفلسفة عقل ناقد ومبدع، وعمل مرتبط بالحضارة العربية الإسلامية. وفتح الانتصار بصعود التنظيم الجماهيري مساحة ديمقراطية واسعة داخلها، وفي الوطن لكافة تياراته، خلافا لحركات الاستئصال والانقلاب والفكر المنغلق في تيارات حركة حماس أو غيرها التي أصبح مثقب الأرجل والرصاصة في الرأس شعارها ملطخا بالتكبيرة.

إن فتح المعادلة المركبة من الإيمان بالله والوطن والالتزام بالمسيرة بكافة السبل عبر (الثوابت الفلسطينية) التي تعد من أبرز منجزات فتح الواقعية العقلانية والتي أجمع عليها الكافة وراء فتح، وانجاز التمسك بالوحدة الوطنية التي أدماها الآخرون، وبحركة دءوبة داخلية هي فتح الانتصار والتقدم. وهي فتح الانتصار لفكرها الثري الذي عبرت عنه الجماهير المليونية الغفيرة في غزة الجريحة بالالتفاف الواسع حول ذكرى وفاة قائد الأمة والوطن الخالد ياسر عرفات طيب الله ثراه.

سنتعرض في هذه الورقة بمناسبة ذكرى انطلاقة فتح، انطلاقة الثورة الفلسطينية الحديثة، لستة مواضيع نرى أولويتها في مقالنا هذا العام، على

1- د. عبد الله أبوعزة، في كتابه مع الحركة الإسلامية في الدول العربية يذكر أنهم-الإخوان المسلمين في فلسطين- رفضوا عرض الأخ خليل الوزير للثورة والكفاح المسلح بوضوح ولأسباب واهية ما يدلل على الجمود ورفض أي رأي. ويشير د. فهد النفيسي إلى أن عقلية المتحزب (الإسلاموي) لا تقبل الرأي الآخر وهي ذات اتجاه واحد فقط، وتجعله يعيش معزولا عن الناس بحاجز نفسي فيحرم الابداع والتفكير، مضيفا التداخل الخطير بين الدين وأوامره ونواهيه وبين التنظيم كإدارة بشرية ما أضفى اللبوس الديني على أي رأي بشري داخل الحركة الإسلامية بحيث يجعل العضو يشعر بالإثم لو خالف أمرا تنظيميا أو اعترض عليه (من ص24-31) من كتابه أوراق في النقد الذاتي للحركة الإسلامية، مكتبة مدبولي، مصر، 1989.

أهمية مواضيع أخرى قد تجد النور في أوراق قادمة.

أولا: أعمدة الفكر الفتحوي

أول ما يواجهك من الناس الذين لا يفهمون الحركة أو يتعمدون الإساءة إليها لخلل أصابهم في المسيرة فتجاوزتهم، أو لرغبة لم تتحقق فملأت القلب غيظا والنفس حقدا - أول ما يواجهك من أمثال هؤلاء الناس هو قولهم خاصة لكوادرنا الصغار: إنك تنتمي لتنظيم بلا فكر، فهل حركة فتح كذلك؟

أن التنظيم أي تنظيم هو مجموعة من الأفكار تتجلى في الأشخاص والأعمال، فلا تنظيم سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي ينشأ بلا أهداف أو أفكار عدا عن أن الله سبحانه وتعإلى منّ على الإنسان بالاستخلاف لعمارة الأرض بما أودعه فيه من عقل ليس زينة وإنما لينجز جهدا يعبر عنه بالفكر، وعليه فكل إنسان أو جماعة أو تنظيم بالضرورة تمتلك فكرا، وفتح بكل بساطة هي صاحبة العلامة المسجلة في الفكر الوطني الذي يعطى الأولوية للقضية الوطنية دون أن ينزع عنها عمقها العربي والإسلامي والعالمي، وفي إطار الأولوية يدفع الأعضاء للتركيز لتحقيق الأهداف وجمع الطاقات في اتجاه فلسطين ضمن مراحل شكلت العقل الواقعي السياسي لهذه الحركة.

13. فتح الهوية الوطنية

أن الوطنية بمعنى التخصص والأولوية والتركيز كانت من مميزات حركة فتح التي لم يستطع أي تنظيم أن يباريها فيها، بل أن فتح التي جوبهت باتهامات شرسة بالإقليمية والكفر بعد أكثر من أربعين عاما تجد أن كل المتهمين لها أخذوا يتهافتون على تبنى فكر الوطنية الفتحوي متخلين عن اتهاماتهم لها بالرجعية أو الإقليمية أو الكفر.

أن الوطنية تمثل العمود الأول من أعمدة فكر فتح الخمسة وهي

الاستقلالية والكيانية والوسطية والتشاركية. أن حركة فتح باتخاذها فلسطين بوصلتها ألقت بأثواب الحزبية جانبا لما تجذبه على الناس من تعصب مقيت نرى نتائجه يوميا فيما يحدث في غزة الصمود والأبطال، حيث التعصب الحزبي أدى لسلسلة خداعة من الفتوى والتكفير والقتل.

إن فتح الهوية الوطنية (لا القومية الشوفينية ولا الإسلاموية الحزبية ولا الشيوعية العالمية) انجاز الانطلاقة الحديثة للثورة الفلسطينية الباسلة التي لم يسبقها أحد، ولحقها الآخرون كبّاً على وجوههم حينا ولاهثين حينا، إلى الدرجة التي يأتي فيها كاتب محدث مؤخرا بلا هوية أو اسم صريح لينكر على فتح إطلاقها شرارة الثورة الفلسطينية المعاصرة لؤما وحسدا بل وتجنيا مقصودا على التاريخ.[2]

وإذا جاز لنا أن نقتبس رأي الفتحويين بفتح الوجه الوطني فإننا ننقل رأي أحد الأخوة في الملتقى الفتحاوي ما يمثل ثراء هذا الفكر حيث يقول في رسالة وجهها لي[3] (أن فكر التحرر الوطني الذي رفعت فتح رايته له قسمين رئيسيين: أحدهما سياسي وهو محدد في مجموعة المبادئ والأهداف والأسلوب في الباب الأول من نظامنا الأساسي،[4] وفيه تحديد

2- يذكر من لا اسم له، فيما أسماه (مركز دراسات الوحدة الفلسطينية) في ورقة مسمومة وزعت للبعض عبر الشبكة أن (فتح أدعت ان انطلاقتها هي انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة... الخ) ص 3، من تخرصات مشابهة ليست ذات سند وتنبع عن حقد واستهتار بالتاريخ الفلسطيني، تهيئة لاعتبار ظهور حماس على المسرح فقط هو بداية ظهور الثورة كما يفهم من سياق لاحق للكاتب يتهم فتح بالعلمانية وعدم التفكير وتقديم كافة التنازلات ومحاربة حماس)؟؟

3- يراجع الملتقى الفتحاوي www. fateh. tv

4- ونقول أن فكر فتح متطور غير جامد خاصة في شقه السياسي حيث الواقعية وفهم عوامل القوى لذا كان لفتح استراتيجيات ثلاث كانت أولها سراطية (=استراتيجية) الكفاح المسلح وحده ثم أعقبها استراتيجية العمل السياسي والعمل العسكري وثالثها استراتيجية النضال بكافة الأشكال التي أثمرت ما أصبح يطلق عليه الثوابت الوطنية الفلسطينية انجاز فهم فتح الواقعي العملي السياسي.

واضح وجلي، لكيفية بناء وتحديد معسكرات الخريطة السياسية بين معسكر صديق ومعادي ومحايد نسعى لاستمالته... والآخر تنظيمي: وهو محدد في النظرية التنظيمية التي تحدد وترسم الأطر والصلاحيات والرقابة والنقد... وتوضح بدقة كيفية بناء التنظيم وتسيير أعماله بما يخدم تحقيق الأهداف النضالية من خلال عمل تراكمي جماعي يصهر الفرد في بوتقة الجماعة دون أن ينزع عنه خصوصيته وإنسانيته، وهي (النظرية الثورية التي تحتاج للتجديد.)

14. فتح القرار الوطني الفلسطيني المستقل

بالاستقلالية حافظت فتح على الحرية في التفكير، وأعلت من شأن العقل، وشجعت الخيارات والإبداع، وحافظت على القرار الوطني المستقل منذ محاولات التخريب العربي في جسدها عام 1966 ولاحقا عام 1968 ثم بالانشقاق عام 1983 وما تبعة، ومنذ الانقلاب التابع للأجنبي عام 2007 في غزة.

لقد رسمت الاستقلالية خيارات الثورة بتعدد أشكال النضال وتعدد أشكال المقاومة العسكرية والجماهيرية والسياسية حيث الشعار الذي ما فتأ يردده هاني الحسن بأن (العمل العسكري يزرع والعمل السياسي يحصد ومن يزرع يحصد ومجنون من يزرع ولا يحصد).

15. فتح وبناء الكيانية الفلسطينية

أما بالكيانية فقد كرست فتح منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف) ممثلة للشعب الفلسطيني ووطنا معنويا، بعد أن أعادت للشعب هويته وعزته وكرامته وشخصيته الثورية التي سعت أنظمة السقوط العربي -وتنظيمات الشعارات الخيالية أو الدجل على الجماهير- لطمسها وتكريسها كهوية لاجئين مشردين بلا وطن أو دولة، يحتاجون لإغاثة لا

لوطن حر مستقل. كما أثمرت فتح إنجازها الساطع عبر السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت المدخل الشرعي للدولة القادمة بمقاومة الاحتلال الصهيوني الجاثم على أرض الإسراء والمعراج.

والكيان أو الشخصية إذ تصنع تتشكل كثقافة هي معبر الناس وسبلها للتعبير عن حياتها وحاجاتها، وفتح في هذا الإطار صنعت ثقافة الثورة والثوار ما لم يسبقها اليه سابق، فأحيت الكوفية رمز الثورة ورفعت العلم الفلسطيني عاليا فوق كل الرايات، وكرست طقوسا محددة للجلسات والمهرجانات حيث الوقوف حدادا والترحم على الشهداء، وفتح بالثقافة أدخلت إلى قاموس اللغة العربية اسمها الجميل كما أدخلت الكادر والمناضل والفدائي ولفظة (أخ وأخت) التي ساوت باستخدامها بين الكبير والصغير في الحقوق والواجبات، ما جعل من لازمة الكبير خليل الوزير أبوجهاد (بسيطة يا أخ) تكرارا يعبر فيه عن قانون المحبة في فتح مشفوعا بابتسامته الغامرة يغدقها على كل أخ متضايق أو حزين أو بائس أو غاضب أو يائس أو يجهد نفسه بالنقد سعيا للأفضل.

**16.	فتح الوسطية حيث حرية العقل**

أن الوسطية في فتح واقعية سياسية لا تفريط ولا تطرف لا أحكام مقدسة ولا فتاوى ولا تكفير بل احترام ومحبة للشعب الفلسطيني كافة بمسيحييه ومسلميه، ووسطية فتح السياسية ليست توافقية تلفيقية كما يظن البعض وإنما موقف بل مواقف حفاظ على المبادئ والأهداف والتوازن المجتمعي لأن فتح كانت الأولى وما زالت باحترام الرأي والرأي الأخر فهي بكوادرها تمثل فرسان العقل في الحضارة العربية الإسلامية.

وفتح كما يقول أحد زملائنا وأخوتنا الأحبة من الملتقى الفتحاوي (فلسفه حياة كاملة متكاملة، تنعكس كليا على المؤمن بها وتؤثر بشكل

مباشر على كامل ممارساته، إن كانت تلك الممارسات آنية تتعلق بأمور الحياة اليومية، أو دائمة تتعلق بالهدف الأسمى والبعيد للإنسان نفسه، وهي فلسفة قائمة على تحكيم العقل والمنطق في كل القضايا الوطنية والشخصية، ووضع ما يمليه العقل والمنطق تحت مجهر الفحص النقدي الدائم والمستمر لاستكشاف فجواته ونواقصه، وبالتالي تصحيح الممارسة وعدم التواني عن نقد الذات، واستخلاص الدروس والعبر وإعادة ‘‘القطار‘‘ إلى سكته الطبيعية التي تصل به إلى محطته النهائية المرجوة).

مضيفا أن (فتح كما فهمتها هي الإيمان بالعقل كثمرة قابله للتطور[5] المستمر لاستيعاب المعطيات الثابتة والمتغيرة التي تؤثر في المسيرة، والقادر بالتالي على التأقلم معها والتأثير بها لتحقيق الهدف. إن فتح -كما آمنت بها - هي دعوة مفتوحة ودائمة للنهل من كل ما هو متوفر لنا من علم ومعرفه وثقافة، واستغلالها لتوسيع مقدراتنا على التفوق ب‘‘السباحة ‘‘ في «محيطنا العاصف والهائج» -بالمعنى الحياتي الذاتي والوطني العام- فتح التي أحاول ممارستها: هي التحلي بالشجاعة اللازمة لنقد الذات ليس

5- في نقده للخطاب السياسي (الإسلاموي) غير العقلاني يقول الكاتب الإسلامي د. فهد النفيسي في كتابة أوراق في النقد الذاتي ص 29 أن التوجيه الفكري يجب أن يركز على البناء العقلي بينما التوجيه الخطابي (للإسلامويين) يركز على البناء العاطفي حيث الخطيب يتعامل مع الروايات والتاريخ في إطار العاطفة المشبوبة منتقدا ذلك بشدة ومعتبرا أن بذرة التوجيه الفكري أدوم حيث ينقص الحركة الإسلامية كما يقول صف من الموجهين الفكريين.

ويقول د. محمد عمارة أن هذه الحركات بالغت في ترويض أعضائها على الطاعة أكثر مما دربتهم على المحاسبة والنقد والتقويم، ما يؤدي لعدم نمو شجاعة الاعتراض ونقص الحريات العقلية، حيث وحدانية الرأي رأي المرشد والأمير والإمام فقط، والذي يؤدي للتفكك والقصور والتشرذم ويقتل في الأعضاء ملكات الحرية والنقد والابداع والقيادة. ويضيف لانتقاداته أنه في هذه الأحزاب يتحكم الأموات بالأحياء حيث الماضي يحكم الحاضر، وحيث لا نظرة ايجابية للآخر في المجتمع لأن الحزب وحده عند بعض هذه الجماعات يمثل المسلمين فقط دون الآخرين (ص335).

بهدف جلد النفس، بل من أجل معالجه الأمراض قبل استفحالها، وفتح هذه وبهذا المعنى هي فلسفه حياة باستطاعتنا غرسها بسهوله في عقول وقلوب أطفالنا، كما غرسها السابقون منا فينا، وهم ونحن بذلك نستطيع النوم قريري العين على أن أجيالنا الحالية واللاحقة، أنها تمتلك البوصلة الحقيقية والصحيحة لمواجهة تحديات الحياة، والصمود على طريق الهدف النهائي).[6]

17. فتح الديمقراطية والعدالة الاجتماعية

فتح التشاركية: ديمقراطية وعدالة اجتماعية وحقوق إنسان وشفافية وتداول على السلطة، ما أثبتته أمام أعين العالم أجمع حينما سلمت السلطة لخصم لم يستطيع الحفاظ على السلطة فانقلب عليها بالقوة المسلحة.

أن موقف وفكر فتح أعبّر عنه كما قال الفيلسوف زكي نجيب محمود في كتابه تجديد الفكر العربي صفحة 199 هو الموقف الذي (أن بقيت ظروفه على حالها تبقى مبادئه مثلا عليا للحاضر كما كانت للماضي، وما تغيرت ظروفه تتغير مبادئه، فالموروث عن الأسلاف هو لنا بمثابة نقطة ابتداء أي –مبدأ- ينقي بعضها وتحذف بعضها بحسب ما تقتضيه حياتنا العصرية).

ثانيا: صورة حركة فتح

استطاعت فتح أن ترسم صورة مشرقة استقرت في أذهان الناس سواء في الوطن أو خارجه فهي مفجر الثورة وهي الكوفية وهي الانطلاقة وهي منجزات الأمة، وهي الاعتراف العالمي بالقضية وهي منظمة التحرير الفلسطينية وهي ياسر عرفات وهي الديمقراطية وهي يدا مروان البرغوثي المسربلة بالحديد يرفعهما في وجه جلاديه، وهي فارس عودة في مواجهة

6- مساهمة فعالة ورائعة من أحد الأخوة الكرام أعضاء الملتقى الفتحاوي www. fatehforums. com

الدبابات، وهي آيات الأخرس أول شهيدة في الانتفاضة الثانية. لكنها في المقابل ولسلسلة من ألازمات التي سبقت ولحقت وفاة الرئيس الخالد قد شوشت هذه الصورة، ورسمتها بشكل سوداوي في بعض جوانبها ما جعل الخصم والعدو يستغل ذلك في محاولة لتكريس فتح وكأنها الفساد والنزاع وما ذلك إلا ظلم مقصود وتجني مرصود يؤخذ به الكافة بجرائر القلة الذين ندينهم ونعريهم دون أن نحتاج لتخرّصات ومفاسد أحد بيننا، (7) وإنها فوضى وخلافات وإنها كفر وزندقة أو خلافه من المفاهيم التي لم تدخل في رأس الناس، وظلمت الصورة الحقيقة التي تمثل الصورة الأولى والراسخة.

يقول المثل العربي الشهير (إياك والسآمة في طلب الأمور، فتقذفك الرجال خلف أعقابها) وفتح لم تسأم من بذل الجهد أبدا ولم تفرط في الكفاح، بل كانت ومازالت حركة متواصلة دءوبة تجاه الأعضاء والجماهير وتجاه الأصدقاء والعالم.

فتح الصدر الحاني

رغم مناورات الخصوم وحقد بعضهم الغريب، إلى درجة تزوير التاريخ واقتلاع الجذور، ورغم أراجيف الأعداء المحتلين الذين يتنفسون الصعداء مع كل لطمة لحركة فتح، ظلت فتح الأولى في كل ايجابية فلم يستطع أحد تجاوزها لأن (دونها خرط النقاد). ففتح أن لم تكن الأولى بين الثورات العالمية فإنها المتميزة، صنعت مساحة حركتها وجذبت الموافق والمخالف لها فحققت صورة التنظيم العنيف ضد الاحتلال، الثوري، واسع الصدر على الأعضاء والجماهير، الحاني، المحافظ أبدا على الوحدة الوطنية، المهتم بأمور الناس والذي لم تتلطخ يداه بدماء الفلسطينيين أبدا.

7- يراجع كتابنا عن سلبيات وأزمات فتح وعن الفاسدين فيها المعنون: حركة فتح والتنظيم الذي نريد الصادر في رام الله عن دار عناة للنشر عام 2003.

إذا لم تكن الأول فكن متميزا، وإذا لم تكن السبّاق فكن الأفضل. فما بالك وحركة فتح حازت الأسبقية بالنضال كما حازت التميّز، وبشهادة الثائر الكبير ماوتسي تونغ، ورغم التشوشات الكثيرة، بل والأزمات، وأيضا مخططات التشويه ومحاولات الهدم والإبادة المستمرة في مسيرتها من عديد الأنظمة العربية والإقليمية[8] ومن العدو المحتل لا أحد يشير لغيرها حينما يذكر النضال الفلسطيني أو الجهد الوطني، ولا أحد يستطيع أن يتخطى رقاب الفتحاويين في أي صلاة أكانت في المسجد أم في العراء.

إن من أوجب واجباتنا أن نحافظ على هذه الصورة في أذهان الناس بأن نطور من قدراتنا وذواتنا وأن نقترب أكثر من هموم الناس وان نتمسك بمسلكياتنا الايجابية ونتخلص من السلبية، ونكون قدوة في القول والفعل كما كان الرسول الأعظم قدوتنا، وكما كان قادة النضال نماذج لنا نحتذي بها.

ثالثا: فتح والإسلام

لم يتحدث أحد عن فتح والمسيحيين، لأنهم يعلمون أن التربية الوطنية السياسية[9] الفتحوية تعتمد المواطنة والانتماء الوطني لا الطائفة أو الدين، وإنما كلّ الحديث الذي يواجه كوادر فتح خاصة من الطلاب يدور على فتح والدين الإسلامي وكأنما مطلوب من كل مسلم يوميا أن يقدم

8- الأزمة مع الأردن عام 1970-1071، والأزمة والاقتتال مع السوريين خاصة منذ العام 1975، والأزمة مع حزب البعث العراقي من خلال أبونضال، والأزمة مع النظام الليبي لاحقا، وأزمة الانشقاق المدعوم سوريا، وأزمات المخيمات مع السوريين وحلفاؤهم، وأزمات طرد القيادة الفلسطينية من أكثر من بلد. (يراجع كتاب يزيد صايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2002)، وكتاب طلال أبوعفيفة، الإستراتيجية والدبلوماسية في السياسة الفلسطينية 1897-1997، فلسطين، 1998.

9- يقول د. محمد عمارة أن الحركات الإسلامية تعاني قصورا في التربية السياسية لفقرها فكريا وقلة بضاعتها من صناعته وصنّاعه مضيفا وإنما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسي ونظرياته في مقال مظاهر الخلل ص344.

فاتورة دينية أمام مدعي النيابة عن الله في الأرض، في خلط عجيب بين البناء الروحي والتربية السياسية، أو كأنما مطلوب من كل مسلم فتحوي أن يقدم كشف حساب لأصحاب الفتوى من الجهلة المعممين وغير المعممين الذين يطلقون الأحكام والاتهامات جزافا فهذا مسلم وهذا مرتد وذالك كافر لتشتعل آلة الحقد المجنون رصاصا وإلقاء من أعالي البنايات وأرجل مثقوبة ورؤوس مهشمة وصلت لأكثر من 450 جريمة ضد الإنسانية في قطاع غزة، والقائمون عليها من مدعي الإسلام الذين لا يفقهون للحظة مدى حرمة الدم عند الله سبحانه وتعالى.

1. فتح والعقل

فتح لا تحتاج للدفاع عن نفسها أبدا أمام الذين يخلطون الزيت بالخل فيجعلون من الدين وقود السياسة، ويجعلون من الحرام والحلال طعام السياسيين ولا يميزون بين العقل والإيمان ولا يستطيعون أن يروا الدين هاديا ومرشدا للفكرة لا متحكما ومتسلطا على العقل، فالله سبحانه وتعإلى الذين خلق الخلق ترك لهم حرية الخيار يفعلون ما يشاؤون بمنحة العقل، وأنزل لهم القران هاديا ومرشدا -لمن شاء- واعد لهم جنة ونارا، ولم يوكل عنه أحدا ليكون هاديا ومرشدا نيابة عنه فينزع المنحة من الناس، وهذا ما تدركه فتح وتعمل به.

أو كما يقول الكاتب المغربي قاسم شعيب (قاسم شعيب، تحرير العقل الإسلامي، المركز الثقافي العربي، المغرب 2007، ص8): أن الحقيقة التي يغفلها النصيّون[10] هي أن القران لم يأت بديلا عن العقل بقدر ما جاء

10- يقول د. محمد عمارة الكاتب الإسلامي المعروف في مقال له بعنوان مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة من كتاب الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية ص 341 (نلحظ ضمن مظاهر الخلل تزايد جمود النصوصيين، وتدني جرعة العقلانية لدى العقلانيين) مضيفا أن العقلانية في الاخوان المسلمين (هبطت لتتناسب مع مستوى العامة) ما أدى إلى (تجنب التفكير العقلاني الذي يثير بجرأته الكثير من المشكلات) وفي ص 343 (وزاد

هاديا له ومرشد ا، فمثل العقل والقرآن كمثل البصر والضياء فلا العين يمكنها أن تبصر دون ضياء، ولا الضياء قادر على أن يجعل الأعمى بصيرا، وهذا يعنى أن العقل والنص يتكاملان من أجل خدمة الإنسان والتخلي عن أحدهما هو تخلي عنهما معا.

أن رجال ونساء فتح فرسان العقل في الحضارة العربية الإسلامية وأصحاب التربية السياسية التعددية الديمقراطية لا يقيمون وزنا لاتهامات الرجعية والزندقة والردة والعلمانية لان الأفواه ذاتها التي تكيل الشتائم والاتهامات هي ذاتها التي كانت تشتم (الوطنية) و(القومية) و(الديمقراطية) ثم عندما لمع في رأسها نور الفهم تبنتها وقبلتها -ربما ليس كليا، وربما تكتيكيا ريثما تنقلب على هذه المفاهيم- فلم تعد فتح كافرة بعد ذلك (يراجع: د. محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت 1988).

2. فتح وعلمانية الإسلام

أن كانت حركة فتح حركة علمانية فهي علمانية الدين الإسلامي كما قال المفكر العربي الفتحوي الكبير خالد الحسن، بمعنى التي رفضت الظلامية والتقديس للأشخاص والتكفير كما رفضت انتزاع السلطة بالدماء بدعوى الحق المطلق يتفجر من عيون من عبدوا الأشخاص والحزب أو أجّروا عقولهم لأصحاب أعراس المثاقب تنخر عظام الأبرياء من أبناء غزة الأبطال.

لم تقل فتح يوما إنها ذات فكرانية (=أيديولوجية) مطلقا، ولم تقل أنها تشكل حزبا سلطويا، يعشق الكراسي ويتغنى بالألقاب، كما لم تتبنى طرحا مجتمعيا علمانيا رغم الكثير مما يقال بهذا الشأن، وإنما قالت بالثورية

وضوح هذا الخلل وضاعف من تأثيراته عجز الكثير من هذه الحركات حتى الآن عن إقامة العلائق والخيوط التي تصنع وتقنن التمايز بين مؤسسات الفكر وأعلامه وبين تنظيمات الحركة وجمهورها).

كما قالت بالديمقراطية –وكفى- الديمقراطية التي خشيها الإسلامويون (المتحزبون) وكفروها ثم تبنوها، وقالت بالمجتمع المدني الذي خشية الإسلامويون وكفروه ثم تبنوه، وقالت بحقوق الإنسان وحقوق المرأة التي رفضها الإسلامويون باعتبارها نتاج الغرب الكافر ثم تبناها بعضهم إلى الدرجة التي طالبوا فيها بقيام دولة علمانية في فلسطين كما قال عضو قيادة الإخوان المسلمين في مصر عبد المنعم أبو الفتوح.

3. فتح وطلاب السلطة

قال لي صديق خرج من المعتقل حديثا أن بعض قيادات حركة حماس يتجنبون التعاون مع حركة فتح في المعتقل ويتقربون من اليسار-وكما هو الحال في الجامعات أيضا-، فلما سأله صديقنا وهو من أحد أحزاب اليسار لم تفعلون ذلك وأنتم أقرب إليهم-أي إلى فتح- فكريا منا. قال له: أنتم لا تنازعوننا السلطة وهم من ينازعنا لأنهم قريبون من الدين؟!

لذلك نرى سلاسة التفاوض بين الإسرائيليين وحركة حماس تلك التي تجري خفية على قدم وساق، ومن خلال الإعلان العلني المتكرر المتمثل بالغزل الممزوج بالاستجداء اليومي لوقف إطلاق النار من قبلهم مربوطا بهدنة مجانية لعشرات السنين، دون أي تحرك مقابل لإنهاء الانقلاب الدموي في غزة كمنطلق لمصالحة الأخوة الذي ما فتأت فتح تطالب به.

أن حركة فتح حركة الشعب الفلسطيني العربي المسلم والمسيحي، وهي نتاج تاريخ وتراث هذه الأمة العربية الإسلامية باسهاماتها المسيحية الشرقية، وهي بذلك تبث الرعب دوما في قلوب مدعي احتكار الإسلام لأنها تضرب مثلا لا يستطيعون مجاراته في التسامح والمحبة والوحدة الوطنية، والعدالة الاجتماعية التي هي حقيقة الدين الحنيف الذي لا يقبل انكماشه في حزب أو شخص.

رابعا: حركة فتح و«حماس»

حركة فتح التي حملت مشعل الثورة في زمن انحطاط الأمة وبعد انكساراتها المتكررة في الأعوام (1948، 1956، 1967) أعادت الأمل للشعب الفلسطيني وبعثت شخصيته وشكلت كيانه ورفعت اسمه عاليا من خلال كوفية الختيار التي زنّرت الكرة الأرضية حتى اليوم، ليس لعظمة في قادتها وعلى رأسهم النجم العالمي ياسر عرفات أو في حركتها فقط، وإنما لعظمة هذا الشعب الذي رأى فيها السبيل للخلاص فأسلس لها القيادة، وهفا لها قلبه، ولا يعني ذلك تفاخرا أو تبخترا أبدا فلا عصمة ولا قداسة ولا مطلقية ولاصواب دائم في العمل السياسي، لأن أي انحراف في فتح سيواجه بقوة من هذا الشعب –ربما قبل أعضاء فتح- الذي وثق بها وجعلها عنوان فلسطين، لإن الشعب الفلسطيني كما ظل يردد المرحوم أبوعمار يسبق قياداته دوما.

1. فتح أخطأت لكنها أنجزت

حركة فتح التي عملت وأخطأت وهي تجهد نفسها في مراكمة الانتصارات منذ العام 1957 حيث النشأة ومنذ العام 1965 حيث الرصاصة الأولى التي أرعبت المنطقة الساكنة، ألقت بانطلاقة الثورة الفلسطينية حجرا في مستنقع الأحزاب الميتة مثل البعث والقوميين والشيوعيين والاخوان المسلمين وحزب التحرير ذات الشعارات الطبلية الطنانة والزمرية الرنانة، التي لا تغني ولا تسمن من جوع، فكانت فتح أفضل من غيرها الذي قعد عن القتال أو حتى مجرد التفكير به، مستبدلين ذلك باتهامات للحركة مازالت متواصلة، كما هو شأن الإخوان المسلمين في فلسطين (الذين أصبحوا حركة حماس منذ العام 1987)، وكما يقول مسؤول الإخوان المسلمين في قطاع غزة سابقا د. عبد الله أبو عزة في كتابه (مع الحركة الإسلامية في الدول العربية ص 163): (إن فتح أخطأت وهي

تبادر وتعمل، وإذا كانت أخفقت في الوصول إلى الهدف -تحرير كامل فلسطين- فقد حققت عددا من الإنجازات تحسب لها بالتقدير والثناء وذلك من حيث القدرة على التنظيم، والقدرة على التحرك وسط الظروف المعقدة، كذلك يحتسب لفتح تمكنها من تعبئة قوى الشعب الفلسطيني وإنشاء عديد من المؤسسات التي أعادت للشعب الفلسطيني إحساسه بذاته، وفرضت قدرا من إحساس الآخرين بهذه الذاتية الفلسطينية).

2. فتح أفسحت المجلس

فتح الديمقراطية لم تضيق المجلس بل أفسحته لغيرها رغم أنه ظن نفسه بديلا عنها وعن منظمة التحرير الفلسطينية فتصرف بعد الانتخابات وفق ذلك، فجاء ليكرس عقلية الإقصاء والانقلاب والاتهام للآخرين وتنزيه الذات في خطابات احتفالية لأناس غير مؤهلين سياسيا، بلا مضمون سياسي وبتحريض على الآخر وتحشيد الأحقاد ضده.

وكما أثبتت الأحداث أمام كل من ألقي السمع وهو شهيد، ونستعير من نقد إسلامي للحركات الإسلاموية الحزبية ما ينطبق على حركة حماس ما يقوله أحد الكتاب الإسلاميين الكبار غير المتحزبين، حيث يقول الكاتب الإسلامي عمر حسنه في كتابه مراجعات في الفكر والدعوة والحركة الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1991، ص -24 43: (فقد لا نجافي الحقيقة كثيرا إذا قلنا أن الكثير من مواقعنا –يقصد مواقع الإسلامويين- في مجال الإعلام وغيره يحتلها أصحاب الولاء والانتماء والتحزب وفي أحسن الأحوال أهل الحماس، ويفتقد فيها أهل الاختصاص والأهلية... يكثر فيها الخطباء ويغيب عنها الفقهاء...).

3. الاعلام الإسلاموي

يضيف عمر حسنة أن (الكثير من المؤسسات الإعلامية التي ترفع

الشعار الإسلامي لا تزال تفتقد الكوادر البشرية المسلمة المتخصصة المدربة... كما أن خطابها في معظمه لا يزال داخليا لم تستطع أن تصل به إلى مرحلة الخطاب العام والعالمي) ولكم أن تقارنوا ذلك مع إعلام وخطاب حركة حماس كمثال صاخب؟!

ويضيف أيضا أنها لم تستطع أن (تحمل هموم الجماهير، وتقدم لهم الرؤية الإسلامية لحل مشكلاتهم، حيث استغرقت في الماضي ومشكلاته)، وقال ص 46 أنهم يمسكون عن (النقد والتقويم والمراجعة لأسباب واهية موهومة) ويقول ص 62 منتقدا عقلية (التبعيض) الإسلامية-كما يسميها هو- التي (تمثل الأحادية الضيقة التي تتوهم إنها اكتشفت الحقيقة المطلقة كلها... فتتحزب لها وتنغلق عليها وتلغي حق غيرها في النظر، كما تحول دون الاستفادة من جهود الآخرين) ما (يورث الفشل والإحباط ثم التخاذل الفكري والشلل التربوي والانتحار الروحي والهروب إلى عوالم الوهم والخرافة...) هذا ما يتحفنا به منصف من المفكرين الإسلاميين ما يثري رأينا الذي نعرضه لكم حول الخطاب السياسي لحماس اللهاث وراء السلطة وتدمير إرث فتح، إرث فلسطين (دراسة بكر أبوبكر، سمات الخطاب السياسي لحركة حماس، 2006) فيمايلي.

خامسا: خطاب المأزق

لماذا نكرس التعرض لحركة حماس الحزب السياسي المغلق فكريا –لنقل في تيار متنفذ فيها- في حديثنا بمناسبة ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية وفتح؟ نقول لأن فتح صعود الفكرة وانتصار التنظيم الجماهيري تجلت من خلال الجماهير التي أظهرت التفافها حول الشرعية والأصل بالاستنهاض المليوني في ذكرى وفاة الخالد ياسر عرفات بعد أن أزالت الخوف من عصابات البغض والقتل والتنويم المغناطيسي من قلوبها، فتكرست الحركة منهج حياة وفلسفة لكل الناس لذا وجب علينا لمحو أي تأثير سلبي

مستمر أن نبسط لهذه الجماهير -وخاصة الكتلة الحائرة فيها- أزموية حماس وتنظيمها وقادتها وخطابها في تعبير دائم عن احترامنا لهذه الجماهير من جهة، ومن خلال إظهار توضيح أدوار الآخرين التخريبية حيث تتكالب القوى العدوة والاقليمية والمحلية على فتح كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

1. حركة «حماس» باغتها الفوز فجاءها على حين غرة جعلها تقف فرحة ثم مشدوهة ثم عاجزة عن استيعاب ما حصل ومن ثم عن استيعاب ضرورة التغيير للخطاب وفقا لتكاليف السلطة واستحقاقاتها.[11]

2. ولم تستطع أن ترسم خطاً واضحاً بين موقفها كمعارضة في السابق وبين تسلمها لزمام السلطة كحكومة فوقعت في مجموعة من المآزق والأزمات استهانت بها في البداية وقللت من أمرها في إطار نشوة النصر والعنفوان المرافق لها، وفي إطار الإيمان بأن الله معهم.

3. وحاولت التغطية على عجزها هذا بإلقاء المسؤولية على الآخرين في الداخل والخارج من خلال عقلية غيبية تستمطر اللعنات على المخالفين، وتعد الأنصار بالنصر، وتطالب بدعم الحكومة والا فالتهديد والوعيد، لأن الثابتين على دينهم ينصرهم الله، والخونة أو الكفار هم الذين يحلمون أو يعملون على إسقاط الحكومة.

4. لم تستطع حركة حماس أن تخرج من نطاق الخطاب الحزبي الضيق إلى الخطاب الوطني إلا ما ندر، فألقت بضعفها في حل المشاكل على الناس، حين طالبتهم بالجوع وعدم الركوع وبدأت تجمع منهم

11- من النقطة 1 إلى 17 وردت في خلاصة دراسة مطولة للكاتب تحت عنوان سمات الخطاب السياسي لحركة حماس، وصدرت الدراسة قبل الانقلاب الدموي لحماس في غزة عام 2007.

الأموال ولما سيّرت القوافل لتجمع من خزائن الأمة وجدت مفاتيحها صدئة تفتح بصعوبة شديدة.

5. بدا خطاب حماس حزبياً صميما يدافع عن تماسك الحركة التي أغوتها السلطة وبهرتها إلى درجة التمسك بها بالأسنان والنواجذ، ورغبت من خلالها أن تحقق الشرعية الدستورية والسياسية بعد أن اعتقدت أنها حققت الشرعية القتالية والميدانية عبر تصويرها للرأي العام أنها قامت بتحريرغزة.

6. وسعت بالتالي للسيطرة على القرار ومحاولة تلقف منظمة التحرير الفلسطينية وترؤسها بقوة الدفع الناتجة عن حجم الفوز لها، وحجم الكبوة التي وقعت بها فتح.

7. لقد ظهر خطاب حماس قلقاً متوتراً في البداية، لذلك لجأ للأوهام ولجأ للغيبيات، ولجأت حماس لإنكار الواقع وابتعدت عن الرؤية السياسية التي تقدم الخبز للناس وتقدم الحل للمشكل الاقتصادي والمالي.

8. لقد حاولت حماس جاهدة –وهو ما يحسب لها إيجابا – الخروج من المآزق المتعددة التي وقعت فيها حيناً من خلال التحرك الخارجي المحموم، وحيناً آخر من خلال محاولة تجنيد الشارع والمساجد فنجحت في أمور وفشلت في أخرى.

9. ففي حين فشلت مسيرات الفرح بالجوع ورفض الركوع فإنها حصلت في المقابل على التفاف شعبي رغم سوء الحال إلى أن تصاعدت أصوات الجوعى بعد 4 شهور حالكة لتغطي على أصوات الاتهامات لهم بالغوغاء وتقر حقهم بالتظاهر، وكما جاء في وثيقة الوفاق الوطني المعدلة.

10. في إطار محاولة حركة حماس البحث عن مخرج، تخبطت كثيراً ووقعت في تناقض الصيحات العالية والمواقف والخطابات المغالية والمتناقضة ما كان بامتياز من حقوق حركة فتح فقط لتظهر حركة جديدة تتخطفها الأضواء وتلعب بها الفضائيات فتقع في المستنقع الذي وقع به سلفها التنظيم الذي اعتبر نفسه العمود الفقري للثورة.

11. لم يفد حماس الاستهانة بالشرعيات الثلاثة: الوطنية عبر منظمة التحرير الفلسطينية والعربية عبر قرارات الإجماع العربي والدولية عبر قرارات الأمم المتحدة بل أساءت كثيراً للعمل الوطني وعزلت نفسها والقضية والسلطة والشعب عن العالم الذي بدأ يتشدد في التعامل مع الحكومة الفلسطينية التي لم تفدها جولة وزير الشؤون الخارجية في فكفكة الحصار الخارجي.

12. إلى أن نجحت الحركة في تجاوز أزمتها الداخلية التي تأججت مع صدور وثيقة الأسرى وثيقة الوفاق الوطني بالاعتراف بالشرعيات الثلاث في المعدل من الوثيقة ما يحسب إيجابا لحركة حماس.

13. إن سوء إدارة الأزمات كان من أهم الأسباب التي جعلت حماس تعيش في حيرة وتخبط أدى بها لاستخدام لغة الترغيب والترهيب لفظاً وعملاً، لفظاً عبر الخطاب الناري وعملاً عبر القوة التنفيذية.

14. لقد فشل خطاب حماس في استقطاب الجماهير غير المنظمة، ونجح في تحديد شكل المعسكرات من حولها، ومن حول فتح، ومن حول التنظيمات الأخرى، حتى تلك التي كان صوتها خافتاً مثل (حزب التحرير) و(السلفيين)، لأن تصاعد حدة الخطاب الديني قد حفز التنظيمات الدينية الأخرى لاستغلال المساجد والدفاع عن وجودها كما فعلت حركة حماس في استغلال المساجد.

15. في محاولة لإظهار نفسها كقوة متصاعدة سعت حماس لإضعاف القوى الأخرى وخاصة حركة فتح عبر الشكوى من الفساد وخلو الخزينة بأرقام متناقضة -رد عليها وزير المالية السابق[12] مفندا كافة الادعاءات- وعبر الاتهام بالفوضى، ولكن مقدرة حركة فتح على لملمة بيتها قد حد من هذه المحاولة ووضعها في سياق الخلاف الذي يجب أن يتعامل مع الحجوم على حقيقتها في الإطار الوطني والإقليمي والدولي.

16. ما يسجل نجاحاً لحركة حماس أيضاً أنها جذبت قطاعاً واسعاً من الشارع الفلسطيني والعربي خاصة وتزنّرت بدعم حركة الأخوان المسلمين لها –باعتبارها إطار حركة الإخوان المسلمين الفلسطينية – ما كان مؤثراً، هذا النجاح الذي تساوق مع الإيمان بنظرية المؤامرة على (الإسلاميين) التي ما زالت تشكل أحد أشكال الاستقطاب والتحليل السياسي في الوعي العربي والإسلامي وخاصة عند مناصري الاخوان المسلمين -منذ عهد الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر- الذين لا يفهمون سبب النكبات والأزمات إلا بمنطق المؤامرة، وكيف لا ونحن خير أمة (حزب) أخرجت للناس؟!.

17. في الختام نقول أنه خيراً فعلت حركة حماس حينما وافقت على وثيقة الوفاق الوطني المعدلة رغم ما قد تثيره بعض البنود فيها لدى فئة متشددة فيها لا ترى السياسة إلا في لون واحد هو لونها فقط ما قد يمزق النسيج الذي يبدو مترابطا في الحركة التي تقف... على مفترق طرق صعب وبحاجة لاتخاذ قرارات حاسمة تجنبها الاضمحلال أو التفتت.).

12- هو ورئيس الوزراء السابق د. سلام فياض.

* الانقلاب كحل للمأزق

أن الصورة بالايجابيات والسلبيات المذكورة في دراستنا -المشار إلى نتائجها أعلاه- عام 2006، سرعان ما تنقلب للون الأحمر فقط بعد الانقلاب الدموي العنيف لحركة حماس في غزة ضد السلطة (شهريونيو2007) الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الثورات الفلسطينية منذ بداية القرن العشرين، والذي جاء حلا للاضمحلال أو التفتت وحلا لمأزقها القيمي والفكري وصراع السلطة فيها الداخلي والخارجي، والذي جعل من كل ما تخوفنا من حدوثه وتوقعناه حقيقة واقعة غطت على عيون منفذيها فأدمت القلوب، وغطت على عيون الحكماء فجعلوا من المتعصبين القتلة يقودونهم كالأنعام في طريق ربما لا يريدونه ولكن لا حول ولا قوة لهم. ونجمل القول بأن:

- حماس السياسة تخبط وزلل، وفتح السياسة ثبات بلا وجل.
- فتح السياسة قمر منير: فكرة واضحة، وثبات على المبادئ، وحماس السياسة خيل بلا رجلين: تخبط واستجداء للعدو وحرب على الشقيق.
- حماس السياسة فوضى سلاح وعدوان مستمر، وفتح السياسة استقرار نسبي ورفض لشروط العدو.
- فتح السياسة رأي يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ، وحماس السياسة قول مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما يدعون.
- فتح السياسة قادة إنسانيون من هذا الشعب المؤمن الصابر يصيبون ويخطئون، وحماس السياسة قادة ملائكة ربانيون-في كثير منهم- وأحيانا أنصاف أنبياء وصحابة-كما يدعون- لا يقولون إلا حقا، وما هو بالحق حيث يفتون بما لا يفقهون ويدمرون ويجهلون.

- حماس التنظيم تكالب على الدنيا والسلطة والجاه وتمييز للأتباع، وفتح تنظيم صاعد شبعان ريان من الدنيا والسلطة، وسعي حثيث لإرضاء الله، ولتحقيق الثوابت، ولخدمة الناس جميعا... جميعا، نعم جميعا دون تمييز ودون استثناء.

سادسا: الأجيال في حركة فتح:

لو مر على تنظيم غير فتح من المشاكل والأزمات والمؤامرات التي مرت بها فتح لانشطر إلى ألف قطعة أو لخبت ناره، واندثر، ولكن شعلة حركة فتح ذات الضياء لا تنطفئ والآلاف ينضمون يوميا ليعلنوا الولاء لله ولفلسطين عبر الولاء لفتح.

ولو كان في نيتنا التعرض لأزمات حركة فتح ومشاكلها ونقدها في ذكرى الانطلاقة العملاقة لفعلنا، لأننا لا نخشى في الحق لومة لائم ولا نخشى النقد والنقد الذاتي في فتح، كما لا نخاف المراجعة للمسيرة، والاعتراف بالأخطاء، تلك التي عندما تصدر عن الآخرين تعد منهم مقدسات وأحاديث نبوية أو مسلكيات شريفة لا يجوز المساس بها.[13]

1. المسيرة المليونية الغزاوية

لو كانت فتح حركة العقول المغلقة أو الأيادي الملطخة بدم الأخوة لما كان للأجيال جميعا أن تشكل مسيرة مليونية لم تشهد لها فلسطين والمنطقة مثيلا في غزة في ذكرى وفاة الرمز والثائر والبطل والزعيم الخالد ياسر عرفات.

أن فتح الأجيال تعنى التقدم براية واحدة، وسبل متعددة في داخل البناء، وكما قال سبحانه وتعإلى في سورة العنكبوت (والذين جاهدوا فينا

13- يراجع كتابنا المعنون حركة فتح والتنظيم الذي نريد، دار عناة للطباعة والنشر، رام الله-فلسطين، ط1، 2003.

لنهدينهم سبلنا، وأن الله لمع المحسنين) صدق الله العظيم.

وفتح الأجيال بذلك مساحة اتسعت وتتسع للآراء فلا تحارب ولا قتال، ولا اتهام ولا نصال، ورغم مراحل الغيبوبة التي اصطدم فيها أبناء فتح داخل فتح وأحيانا على الفضائيات تحت ادعاءات أرادها الآخرون لنا بمسمى صراع الأجيال. إلا أن فتح استطاعت لملمة نفسها وتوحيد صوتها الآن، وبعث قوتها الكامنة في شبابها مستفيدة من حكمة شيوخها وبنت أسس العمل التنظيمي عبر تداول السلطة بالديمقراطية التنظيمية في كل الشعب والمناطق والأقاليم والمكاتب الحركية ومنظمات فتح، وما انتخابات إقليم يطا والخليل وجنين وغزة، والأقاليم المختلفة الجارية الآن، إلا البداية للانتصار الديمقراطي في الطريق إلى المؤتمر العام السادس.

2. فتح والقدوة

وقف المفكر الفتحوي العنيد عضو اللجنة المركزية في حركتنا خالد الحسن في يوم من عام 1975 ليخطب في مؤتمر نقابي عقد في تونس، فتحدث وأجاد وقال وأعجز حتى ضجت القاعة بالتصفيق ليقف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على قِصَره ويحتضن خالد الحسن (أبو السعيد) فارع الطول محاولا حمله قائلا: لو كان عندي عشرة مثلك لوزنتهم بالذهب.

وفي نفس السياق يقف المناضل مروان البرغوثي رافعا يديه المكبلة بالحديد في قاعة المحكمة صارخا بملء الفم بعدم عدالة المحكمة وعدم أحقيتها في محاكمته في موقف صمود مشاركا فيه كل الأسرى والمعتقلين الذين بغالبهم من حركة فتح.

وهكذا تنتقل الراية من شهيد إلى أسير إلى كادر، فتعرف فتح برجالها الصناديد وهم النماذج والقدوة للتنظيم والجماهير، وكل منهم على العدو

(أعز من أنف الأسد)، وكل منهم يختلج قلبه بحب الوطن وعقله بالحرية وروحه بالانطلاق الذي سيرسم فلسطين لوحة للأجيال.

3. في كل خير

لا الكبار ماتوا ولا الصغار نسوا كما أراد (جون فوستر دالاس) وزير الخارجية الأمريكي في الخمسينات، وأضحت بيضة الشعب الفلسطيني بفضل حركة فتح عصية على الكسر والتي تغنى بكسرها موشيه ديان وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق أثناء معركة الكرامة المجيدة.

أن الجيل القديم مُشعِل الشرارة، والجيل الجديد حامل المشاعل وفي كل خير، وفي كل منا جديد وقديم، وما الهنات والإشكالات في جسد فتح إلا صراع يقوي الحوار أو هكذا نراه يكون دون إغفال للنقد الحثيث والحريات، فتصطبغ الحركة بلون التعددية والديمقراطية الداخلية، فتنتصر الفكرة ويصعد التنظيم الجماهيري، ولكن مع التزام يجب أن نتعلمه ونتقنه في التعبير خارج الإطار فلا حرية بلا التزام، ولا التزام أعمى، ولا ديمقراطية للقلة، وإنما التشاركية بين الأجيال تلك التي لا تعترف بالسن وإنما بالقدرة على بذل الجهد والتجدد، على العطاء والإبداع إرضاء لله تعالى، وفي خدمة القضية والشعب.

(انتهى)

كلام الانطلاقة الجديدة: حركة فتح واستثمار الذات[14]

لم يكن الخيار الذي اتخذته حركة فتح خيارا عبثيا، ولم يكن خيارا للتميز في سياق امتلاء الأنفاس بالشعارات الحارقة في محيط محطم، بل كان خيار فتح الفكري والعملي مرتبطا برؤية تميز بها المؤسسون، ومرتبطا بتجربة مرة لهم أجمعين مع التنظيمات الإيديولوجية العقدية.

أن القرار الفتحوي المستقل كان خيارا ارتبط منذ البداية بإيمان المؤسسين بالحركية ورفضهم الانقياد للقوالب الجاهزة والأفكار المعلبة والنصوص «الإنسانية المقدسة»، وكان رغبة في التعبير عن التمرد على الواقع القائم الذي كانت فيه رائحة السلبية والتراجع والهزيمة والنقد والردح رائحة تزكم الأنوف.

كان الخيار الفتحوي وعيا حقيقيا بالرابط النضالي القابل لشد كافة أجزاء الجسد بعضها ببعض، وبذلك رفضوا الفكرنة (=الأدلجة) ورفضوا أن يثقلوا ظهورهم بنظريات قد تبدو جملية على الورق إلا أنها سرعان ما تمزقها رياح الواقع وطين الأرض.

سادت في الأرض ممالك فكرية مغلقة هي مملكة الشيوعية الفكرية أو

14- كتبت وألقيت بمناسبة الانطلاقة للعام 2009.

(الاشتراكية العلمية) ومملكة القومية «الشوفينية»، ومملكة (الإسلامويين) وكلها ذات سياق مغلق إقصائى للآخر، طوباوي وخيالي الحلم لا تؤمن بوجود التقاطعات مع الآخر بل تجرمه وتتهمه ولا تراه يستحق الوجود.

وان وجدت مساحات ضئيلة للتفاعل مع الأفكار المخالفة في بعض كتابات مفكري أي من هذه الممالك الفكرية العقدية فإنها تضع ذاتها مقدمة على الآخر أو مهيمنة عليه، ولا شك لديها بصدقية نظريتها المطلقة، وقدرتها على تحقيق الأهداف وكل ما عداها يليها أو يتبعها أو يجب أن تذوب في إطارها وإلا فالسجن والاعتقال أو الاتهام بالكفر أو الرجعية أو المعاداة للقومية وأمال وطموحات الأمة وفي التجارب الثلاث علقت المشانق ومات واستشهد الآلاف في وطننا العربي، بل الملايين على مساحة العالم.

الوعي: إدراك وحرية وتمرد

لقد شكلت الممالك الفكرية الثلاث في الوعي العربي عقلية التعصب لا الحرية، وعقلية الانقياد لا التمرد، وعقلية الانفكاك عن الآخر المخالف بالوعي أو الرؤية أو الفكرة، لتأتي فتح وتكرس ثلاثية (الحرية والتمرد والوعي النضالي) التي أثمرت فكر الوطنية الديمقراطي المرتبط بالأداة النضالية وبالاستقلالية وبالوحدة الوطنية.

وها نحن أولاء اليوم نعود ثانية لذات الصراع المحتدم بين مملكة (الإسلامويين) على اختلاف مشاربهم وعدم توحد كلمتهم وتباعد آرائهم من اليمن إلى اليسار أو من الاعتدال (ومنه الاعتدال المدعى) إلى التطرف (ومنه التطرف المفترض) واحتكارهم لله والحقيقة معا، ومملكة العلمانيين أيضا بتعدديتهم ومحاولتهم سحب البساط من تحت أرجل مخالفيهم بادعاء امتلاكهم للحقيقة وقدرتهم على بناء المجتمع المدني لوحدهم

ليصطدموا بالليبراليين كما يقول المفكر د. فهمي جدعان في كتابه الهام الخلاص النهائي.

وما بين هؤلاء وأولئك تبرز فتح ثانية كفكرة ثاقبة قابلة للتقدم والتطور وهي إذ اختارت الابتعاد عن الأدلجة فلأنها تؤمن بحركية التاريخ واختلاف حوادث الزمن وتغير المكونات العقلية للبشر لذلك كان من السهل على حركة فتح أن تتبنى الديمقراطية وتقلص من حجم المركزية فيها، كما كان من السهل عليها ان تعتبر الديمقراطية تكنولوجيا سياسية وفق مصطلح (د. فهمي جدعان) أو أداة فرز في ذات الوقت الذي اعتبرت فيه الديمقراطية ثقافة أيضا يجب أن تترسخ كقيمة مجتمعية، إذ لا يكفي أن يحكم الصندوق والأوراق وإنما يجب أن تسود المجتمع ثقافة التنوع والتعدد وعدم الإقصاء والاستبعاد ورجم الآخرين بالغيب والشق عن قلوبهم وإيمانهم وأفكارهم، وتدميرهم لمجرد المخالفة بالرأي أو الفكرة أو الدين أو الطائفة ما هو ملازم لأصحاب الممالك الفكرية الإيديولوجية بطابعها الاقصائي والخيالي والتراثي أيضا ذاك الذي يفترض امتلاك الجنة في الآخرة والحقيقة في الدنيا، أو الاثنتين معا في الدنيا.

الديمقراطية سلوك وثقافة:

أن فتح التي آمنت بالديمقراطية سلوكاً وثقافة في الثورة وفي التنظيم وفي المجتمع الفلسطيني تواجه اليوم تنظيمات لا تقر مثل هذا الإيمان في عناصرها وأعضائها فهي تدعي الانقياد للديمقراطية وتعتبر في أدبياتها وفي تعبئتها لعناصرها أن الديمقراطية دين جديد لذا فهي ضد الإسلام وبالتالي مرفوضة، أو هي فقط للعلمانيين أو لا ينقع لها إلا الليبراليين، وكل هؤلاء في ضلال مبين، فكما كانت الديمقراطية العربية أو الإسلامية نتاج تاريخ عربي الإسلامي شوروي فهي تطور من ثقافة القتل والصواب الأوحد إلى ثقافة عمر بن الخطاب ذو الرأي المتغير المتطور والمتنور المرتبط بحاجات

الناس والمستند لثقافته العربية الإسلامية.

أن فكرة (الوطنية) الفتحوية ليست – ولم تكن– انقطاعا عن المحيط الذي تعيش فيه، فالوطنية كتخصيص هي جزء من السياق العروبي، والوطنية كمفهوم هي جزء من الحضارة العربية الإسلامية، والوطنية كتركيز هي حصر مجال الصراع والنضال وتحديد أولويته بالقضية مثار السجال إلا وهي قضيتنا الفلسطينية.

الوطنية كمفهوم وتخصيص وتركيز:

إذن الوطنية تخصيص ومفهوم وتركيز في سياق أدوات نضال متعددة ومراحل متغيره. لذلك اختارت فتح الكفاح المسلح طريقا نضاليا ثم ألحقت به آليات وأدوات نضالية أخرى إعلامية وسياسية واجتماعية لتخلص في إطار تحديد المراحل إلى استخدام التنوع النضالي وفق ما أبدعته الانتفاضة الجبارة والانتفاضات اللاحقة ثم المواجهات الشعبية الحالية:

أن الوطنية من حيث هي مفهوم فإنها تشكل الغراء الذي يربط المناضلين ويركز فعلهم، ويخصص أدوارهم ضمن دائرة الصراع العربية-الصهيونية فلا تعلو هامة قضية أخرى على هذه، فهي ليست تخصصنا وليست أولويتنا فنحن لا نتحدث عن كل العرب ولا نريد.

ونحن كفتح لا نتحدث عن كل المسلمين أو المسيحيين ولا نريد، فهذا ليس جزء من شخصيتنا أو فكرنا الوطني، بينما تجد الآخرين وهم غارقين في المآسي يدعون تمثيلهم للإسلام أو المسلمين عامة، ويتعاملون مع الآخرين على ضعف عدتهم كإسلام وغرب كما فعل على سبيل المثال محمود الزهار في اللقاء الأمريكي في زيورخ هذا العام (2009).

إن التنظيمات الإيديولوجية لا تعترف بالحدود كما الحال مع حزب البعث وحزب التحرير وحزب الاخوان المسلمين والشيوعيين وغيرهم،

وهي بذلك تحاول أن تلتقط حجرا كبيرا فلا تصيب وتبقى تراوح مكانها أو تتراجع خاصة متى ما ركبت سيارة الحكم الذي لا تستطيع أن تستمر فيه إلا بالدم والإرهاب والتسلط القسري دون ان تدرك أن لكل زمان دولة ورجال، والأيام دول، وان دول التجبر والاستبداد بالضرورة إلى بوار.

شيخوخة مركز العالم

يقول الكاتب عياد البطنيجي (أن الفكر صياغات عقلية نفسّر من خلاله الواقع ونحاول فهمة حيث أن الواقع يتغير ويتبدل) وعليه فان التنظيم أو القائد الذي لا يدرك التغيير يجمد عن حدود شعاراته وأفكاره المطلقة فيجد نفسه بعد سنوات خارج سياق التاريخ والناس لذلك فان (الإسلامويين) والعلمانيين والشوفينين من القوميين أصحاب العقائد المطلقة الاقصائية لا يدركون جدلية الزمان والمكان والحقيقة والتاريخ والمطلق والنسبي لذلك تفشل حينما تحكم أو تتحكم في مفاصل الأمور.

أن مثل هذه التنظيمات (تنظر للماضي بأنه يجسد ما تدعيه من أطروحات وان المستقبل لهم هكذا بشكل اعتباطي وأن أهدافهم سوف تتحقق وان على إتباعهم الصبر، وهكذا يتحولون إلى مركز العالم (؟؟!!) وان العالم يدور من حولهم) كما يقول البطنيجي فيكون مآلهم الفشل والزوال لأنهم يدخلون في حقيقة الأمر (طور الشيخوخة).

ان المشروع الوطني الفلسطيني الذي أسسته فتح مشروع يرتبط بأحلام وآمال وحاجات الشعب، كما يرتبط بالأمة من حيث أن القضية الفلسطينية فعل جامع وإطار رافع ولغة توحيد ومدخل يشد أجزاء الأمة ويحقق في مرحلة ما شكل من أشكال الوحدة المنتظرة.

إن الوطنية مشروع فكرة وفعل تجسده على الواقع يعني الإعلاء من شان الأمة بتجسيد طموحاتها على الأرض فلا تبقى محلقة في السماء أو

تظهر فقط عبر ألسنة لا قلوب المصلين حينما يؤمّنون على كل ما يقوله خطيب الجمعة فقط.

علامات طيبة

بعد المؤتمر السادس للحركة الذي أكد على الفهم والوعي الوطني وعلى الثوابت والتجدد، ضخّت في النهر مياه جديدة، وبرزت علامات طيبة من التغيير في داخل الأطر من مثل اعتماد لغة الحوار أساسا للاتفاق، والتخلي عن التحاور الذاتي والتراشق عبر الفضائيات، والاستناد للنظام ومقررات المؤتمر والقرارات المتخذة أصولا ما تبدي في مجموعة من الفعاليات الفتحوية التي نرغب في المزيد منها مثل:

- بناء جسر متين من التواصل عبر اللقاءات مع قيادات وكادرات الأطر المختلفة.
- اللقاءات مع قيادات وكوادر المنظمات الشعبية والمكاتب الحركية والتي منها من لم يعقد اجتماعا من سنوات طوال.
- عقد ورشات إعلامية هامة ستؤسس لخطة علمية إعلامية خلال ستة شهور.
- رعاية النقد الفتحوي داخل الأطر، ورفض الأساليب السابقة في النقد المفضي للإساءة لأنفسنا عبر الإعلام.
- وحدة الخطاب واللغة التي ظهرت في كثير من الندوات والمهرجانات الحاشدة.
- تنظيم سلسلة من النشاطات والمهرجانات خاصة تلك التي حصلت بذكرى استشهاد الرئيس الخالد ياسر عرفات رحمه الله، والتي أكدت على الالتفاف حول فتح كما أظهرت قدرة الحركة على التفاعل مع الجماهير.

- القرار الحركي بالبدء فورا بتنظيم المجالس الحركية، وغربلة العضوية، ووضع نظام للاشتراكات المالية، وإعادة ترتيب الصفوف في المنظمات الشعبية وفي شبيبة فتح في إطار وحدوي يمكنها أن تكون خلاقة مبدعة تطير بجناحين: جناح الإدارة الشبابية الفاعلة المرتكزة على البعد التحرري الفتحوي، وعلى جناح الفكر الوطني الوحدوي غير الاقصائي المرتبط بالمجتمع التعددي الديمقراطي الذي ينهل من نبع حضارتنا العربية الإسلامية.

مسارات الكادر:

أن حركة فتح تنظيم ثوري سياسي يسعى للحرية والاستقلال والدولة كما يسعى لتكريس العدالة والتنمية والوحدة والتعددية في إطار المجتمع المدني، إنها تنظيم التكنولوجيا الديمقراطية والثقافة الديمقراطية الذي يرحب بالآخر ولا يبتئس من المخالفين في ظل تحريم التكفير والاتهام والتشهير والانقلاب ورائحة الدم التي أزكمت الأنوف في غزة على سبيل المثال.

أن هذا التنظيم يحتاج منا أن نكون من اليوم فصاعدا فضاء حركته ووقود عمله ومياه نهره ومفاتيح التغييرفيه، واقصد بنحن أنا وأنت أي الكادر أو العضو عموما صاحب الرغبة في العمل والتغيير الذي يحتفظ بعقليته الايجابية، وهذه العقلية لا تظهر بوضوح إلا حيث الملمات تحيط بنا، لذا فالكادر مدعو لعبور المسارات الخمسة التالية كما يلي:

- **أحب وطني**: مسار المحبة للبيئة والعائلة والأصدقاء، فلن اسمح لأحد أن يخطف مني قلبي لأي سبب.
- **أنا أفكر وأتامل**: وكذلك أبحث وأقدر، لذلك أنا حر فلن اسمح لأحد أن يمنعني من التفكير والحوار بأن يحتل عقلي باسم القومية

الشوفينية أو الدين أو العشيرة أو مطلق الصواب.

- **أنا مؤمن بالله:** فلن اسمح لأحد أن يحتل روحي أبدا، لان علاقتي مع الله لا تحتاج لوسيط (ونحن قرب إليه من حبل الوريد – ق16)، ولا يحق لأحد أن يحكم على حجم إيماني.
- **أنا واثق من نفسي**: وأنا عامل ومنجز، فلن اسمح لأحد أن ينتقص من شخصيتي، أو يسئ لي، فرغبتي-وارادتي وعملي- في خدمة بلدي وحركتي (فتح) وأهلي مما أتشرف به طواعية بلا مقابل.
- **أنا استطيع لأنني قادر**: فلن اسمح لأحد أن يحد من قدراتي أو يحجّمها، فأنا قادر وأنا ايجابي وأنا متفاعل، وأنا من يستطيع أن يبدع ويستكشف، وان يجدّد ويغيّر في ذاته وفي الآخرين.

المهمات الخمس الرئيسة لحركة «فتح»

أن حركة فتح تحتاج في سياق بنائها الداخلي إلى مهمات عدة منها خمسة مهمات نراها رئيسية تؤديها دون إهمال النقد وتواصله في سياق الإبداع والعمل وضمن الأطر التنظيمية لا الفضائيات والملتقيات والمواقع أبدا، وهي:

المهمة الأولى: رسم مساحات أوسع للخطاب الموحد وتضييق مساحات التباعد الداخلية، وإعادة رص الصفوف في نطاق الخطة الفتحوية العامة، وفي الإطار السياسي الذي عبر عنه الأخ الرئيس أبو مازن في نقاطه الثماني، وتحركاته الدبلوماسية لرسم حدود الدولة القادمة، وتحركه العالمي لحشد الدعم والتأييد.

المهمة الثانية: لزوم توثيق الارتباط بالجماهير في سياق خطة لا تستثني فئة ولا تعلق العمل مع فئة، بل تجعل حركة فتح في الميدان -عبر كوادرنا في الأقاليم فما دون من الأطر- قلوبا مفتوحة وأطرا داعمة واتصالات لا

تنقطع مع هموم الناس اليومية أو الوطنية العامة.

المهمة الثالثة: تحديد العلاقات ورسم المسؤوليات وتوزيع الأدوار داخل الأطر عامة (الإقليم/ المنطقة/ الشعبة بل والخلية، وفي نطاق المكاتب الحركية...) ووفق النظام الداخلي أو ما يتسق معه، حيث يلزم أن يكون لكل عضو مهمة أو تكليف أو دور، وحيث يلزم أن يعرف كل عضو مسؤوله ليقدم له رؤيته وتقاريره.

وفي مثل هذا التوزيع الهيكلي النظامي يكون للإدارة الواعية المرتبطة بالخطة وبالمتابعة شأنا أساسيا، فالانقطاع هو المرض الإداري القاتل حيث تبقى المهمات دون متابعة أو لا تصل لمنتهاها من خلال معرفة ما تم انجازه عبر التقرير والمحاسبة والمساءلة التي تستدعي عنصر (الانتباه) من العضو والكادر والقائد في علاقة تبادلية صاعدة ونازلة ليست في اتجاه واحد فقط.

المهمة الرابعة: ضرورة استثمار الكوادر خارج الأطر الحركية النظامية، على اعتبار أن كل عمل يقوم به العضو الحركي بما فيه العمل الوظيفي هو عملية تنظيمية أو تكليف تنظيمي يمارس فيه فتحويته بالتنظير للحركة لا بالشتم أو النقد الخارجي لها وبالاستقطاب وجذب الجماهير من حولها، وبوضع نفسه أمام المسؤولين خادما للحركة والشعب.

والمهمة الخامسة: جني المحصول، فالقدرة على تحويل المبادرات أو الانتصارات الفردية الجماعية الصغيرة إلى ثمرات تُجمع لتصب في معصرة الحركة هي قدرة كبيرة وليست سهلة، فحيث خبا نجم أي فعل أو مبادرة أو انتصار تخسر الحركة، وحيثما تم مراكمة كل ذلك تظهر الحركة قوية عملاقة بكافة هذه الجهود، وأحسبنا في حركة فتح نحتاج لأن نتعلم كيف نوزع الأدوار دون الاستئثار، ولأن نتعلم كيف نستثمر الكوادر دون إقصاء

أو اكتفاء بما لدينا، ونحتاج للمراكمة وجني المحصول وإبراز ذلك في الإعلام كمقدمة لصنع الصورة المشرقة والحقيقية للحركة. (سطرت للعام 2009)

وانها لثورة حتى النصر

حتما سنجد حلاً لم تكتشفه بعد![15]

ها هناك علاقة بين التفاحة والديمقراطية وعمر بن الخطاب؟

هكذا افتتحت كلمتي في المجلس الثوري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح رداً على تقرير اللجنة المركزية للحركة وتابعت أن من يقول لا جوابا على السؤال فهو يفكر بعقل منطقي لان العلوم تتعامل مع المعادلات والتجارب والنتائج المبدئية على فرضيات أو مسلمات تختبر وتضع حلولا، وأما من يجيب عن السؤال نعم هناك علاقة فهو يفكر بعقل إبداعي وكل هذه المكرمة قدمتها تعليقا على عبارة جميلة جاءت في سياق التقرير تقول (وحتما سنجد حلا لم نكتشفه بعد)!

إن التنظيم الذي يغلق باب الإبداع والأمل والاكتشاف والمستقبل والخيال والصور هو تنظيم ذو منحنى هابط ربما بعد صعود، والتنظيم الذي لا يثق بقدرات أبنائه وكـوادره هو تنظيم عاجز ويعاني من الشيخوخة، والتنظيم الذي يظن فيه قادته إنهم الأهم والأوعى والأكمل وكل صيغ المبالغة للنعوت هو تنظيم عاجز وفاشل في آن واحد، وهكذا هي حركة فتح.

تغيرت صورة الحركة وتزحزحت عن تلك السلبية والقائمة التي سبقت

15- في تحليل بالمناسبة وضمن جلسات المجلس الثوري لحركة فتح عام 2010

مؤتمر فتح السادس ويعود الفضل في ذلك لإرادة الفتحويين كافة ما أثبتوه من نزاهة وشفافية ورقابة على الأداء أدت لتوحيد الخطاب الفتحوي كما أدت لانتظام اجتماعات الأطر بدءا من اللجنة المركزية حتى الأقاليم على طريق المؤسسة ولكن هذا لايكفي.

لقد تزحزحت الصورة قليلا أي صورة فتح في نظر الناس، وما تزال بحاجة إلى غسيل وحسن إبراز، وما تزال بحاجة لجهد منظم وإرادة فاعلة وعمل ملتزم ومتصل.

كيف ينظر الناس للتنظيم السياسي؟ سؤال هام والتعاطي معه يعني بداية وضع الأقدام على طريق تغيير الصورة بتحقيق الأهداف. يقول العالم (اينشتاين) إن الصورة والخيال أقوى من المعرفة وهو العالم المنطقي والمبدع، ونقول إن الجماهير لا يهمها الكلام المنمق أو التنظير أو (الحكي) العقلاني بلا روح لان الجماهير تعيش بالانتصارات وبالانجازات وتعيش أحيانا بما تمثله لها أهداف الحركة من قدرات على الحلم والخيال وإنعاش الآمال، تعيش الجماهير والكوادر بالقدوة والنموذج والأسوة كما تحترم من يحترمها ويتواصل معها ولا يغلظ لها القول (يقول الله تعإلى في محكم التنزيل: فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين. آل عمران 159) وتقوى العلاقة مع الجماهير وتتأثر بالقائد متى لامس فيها القلوب والأرواح والمشاعر والأحاسيس ولم يتعفف أو يتكبر عن تلبية احتياجاتها ومطالبها اليومية، لذلك فإننا في حركة فتح ومع عظم القضية التي نتولى زمامها ومع صعوبة (الاستخلاف) الذي نحمل عبئه ليس لنا أن ننفض أو نبتعد عن الجماهير وليس لنا أن نتبرم أو ننزعج من الناس أبدأ فهم مادة الثورة ومادة الفعل ووقود النصر في معركة التحرير.

إن حركة فتح تستطيع أن تستجمع قواها المتركزة في ذاتها والإنسان والكادر وها هي تقرر استنهاض وبعث الفعل الحركي عبر إعادة النظر في كافة الهياكل القائمة وفق قاعدة المتابعة والمحاسبة وها هي تضع خطاً فاصلاً ومفهومها واضحا بين العضو المنتمي المنضبط الملتزم الموالي وبين العضو النصير وما قرار الاشتراكات المالية وضبط المهمات (النشاطات) في الأطر إلا في سياق بعث الدفء في الجسد وتركيز الطاقة وتوجيهها في مسار تحقيق الأهداف الوطنية والتنظيمية.

تقع التنظيمات في كثير من المشاكل، وترتكب الكادرات الآثام والأخطاء وربما تنتهج نهجا مضللا وقد تقع في ثغرات صغيرة أو كبيرة أثناء مسيرتها مايجب أن نتلمسه ونحس به ونراه ولا نسكت عليه، قد ترتكب القيادات- وإثمها أعظم- والكوادر- والأعضاء الأخطاء، وقد ترسم على خد القمر قوسا معوجا يعطي النظرة السلبية لذات القمر فمن ثغرات الأداء التنظيمي:

أولا: سوء الإدارة من حيث افتقاد التماسك الجماعي وانحدار العقلية الجمعية، فتتعاظم الأنا على حساب المجموع، ويظهر القائد فوق مستوى الناس بل والكادر الذي يعمل معه وقد يظن بذاته الاكتفاء أو إن الحياة أو الفعل ابتدأ معه فلا ينصاع لأدبيات الحركة في قواعد المسلكية التي تحث على التماسك والتوحد والعمل الجماعي إذ سرعان ما يجد نفسه يتعثر ويعادي زملائه ولا يحقق نتيجة.

ثانيا: العمل العشوائي المزاجي غير المستمر أو المتواصل أي العمل الموسمي أو المرتبط بهوى طارئ أو فكرة عجولة أو رغبة سريعة أو نزوة لإثبات الذات مالا ينفع ولا تثير انتباهاً ولا يؤثر في الآخرين حتى لو حقق هذا العمل نتائج آنية فان توقفه أو اختلاطه أو تبدلاته السريعة ستحقق تراجعا بعد تقدم طفيف ماءس صورة وهيبة الحركة وسمعتها.

ثالثا: إن آفة التنظيمات السياسية عامة وفي العالم الثالث خاصة هو (الإرادة) من افتقار التخطيط كعقلية وسلوك وافتقاد الخطة من ورق مكتوب ومتابعة تنفيذ، فتجد من تخليط المراحل فلا تدرك هل أنت في (منطقة الأمان) حيث ارتكاب الأخطاء مسموح ولكن على الورق أي في مرحلة التخطيط أم انك في مرحلة التجهيز والإعداد بملء الفراغات في الخطة بالمكلفين وتوصيفات أعمالهم وتوقيتاتها أم انك في مرحلة العد التنازلي حيث تتكاثف الاتصالات والترتيبات أم انك في مرحلة التنفيذ والتطبيق.

إن افتقاد الخطة والتخطيط كمنهج تفكير، أو خلطها بالمراحل حرق للورق وبعثرة للجهد ما يعكس صورة سلبية ويجعل من الحركة تنجرف في وحل الفشل.

رابعا: أن تجد شخصا عاديا لا يدري ما يفعل أو عندما تسأله ما هي أهدافه في الحياة لا يستطيع الإجابة أو يتفاجأ بالسؤال فلا تخرج من فمه الجمل والحروف لا يشكل ذلك مصيبة وإنما المصيبة أن تجد قائدا لا يعرف ماذا يفعل ومسيرة الإحداث فلا يرى موضع إقدامه ولا يدرك حجم الجهد المطلوب ليحقق الأهداف التي يجب أن يفكر بها ويضعها أمام عينه يوميا ليصبح واقعا ينعكس على التنظيم وعلى الصورة العامة.

خامسا: إن تضارب المصالح بين أقطاب القيادة في أي تنظيم سياسي تعني أن يولي القائد جل اهتمامه للسيارات والمرافقين والأبهة وصورته الإعلامية ما رأينا لا جليا اثر لانقلاب في غزة حيث الجوع للسلطة افرز قيادات تولي المظاهر أهمية عظمى فما بالك وهي مرتبطة بالقداسة والتشابكات المجدولة بين الأشخاص والدين والطاعة التي تشد الناس من رقابهم قسرا ليقولوا لأمثال هؤلاء سمعا وطاعة وكان الأول أن يقال لهم، ولغيرهم في التنظيمات الأخرى ومنها في فتح لاسمعا ولا طاعة فمحددات

الالتزام والانضباط هي النظام والقدوة وقواعد السلكية والانجاز.

سادسا: قلما تجد قائدا بأخطائه رغم أن (خير الخطائين التوابون) وان اعترف- وهؤلاء قلة- فانك لا ترى تغييرا في سلوكه- أقواله وأفعاله- ولا ترى سعيا لتطوير الذات وتغييرا الأساليب.

إن تحميل المسؤولية للمستوى الأدنى هو سمة القائد الذي لا يعترف بأخطائه، ولا يرغب بان يغير في ذاته وأساليبه وهو القائد (المتذاكي) الذي يظن في ذاته الكمال أو السمو على ما دونه.

إن إلقاء اللوم على الآخرين أو تحميلهم مسؤوليات الفشل أو العجز أو التكاسل أو التراجع هو عجز بحد ذاته وتخلى عن حقيقة المسؤولية التي يتحمل عباها القائد الذي يجب أن يكون قادرا على صنع الرؤية والخط السياسي لان هذه هي سمة قادة الرأي ومحركي الجماهير.

سابعا: إن الوحدة الداخلية والتلاؤم والتوافق على السياسات ودعم الخط السياسي العام سمة من سمات التنظيم الفاعل، ونحن في حركة فتح إذ نؤكد على سياسات الرئيس أبو مازن ونقدرها ونراها المعبر عن قرارات المؤتمر واللجنة المركزية والمجلس الثوري فإننا لا نقبل ما يعارضها من أطر الحركة أو قياداتها لكل في إطاره فقط، حيث إن التوحد حول الخط العام والسياسات الحركية مرعاه للتقدم وإعطاء صورة ايجابيه عن الحركة (وحتما سنجد حلا لم نكتشفه بعد).

إن السقوط المروع أو الفشل يدفن الانجازات مما لا تقبله حركة فتح، وكما قال الرئيس أبو مازن في اجتماع المجلس الثوري لذا فان (درهم وقاية خير من قنطار علاج) كما يقولون ما يمكن أن تتجنبه بالنظر في الثغرات السبعة التي أوردناها والتي تحتاج في كل تنظيم كما تحتاج في حركة فتح إلى ورشة تخطيط استراتيجي تضم أعضاء اللجنة المركزية

والمجلس الثوري وكوادر متقدمه حتى تستطيع أن تحقق مشاركه في رسم السياسات للحركة والسلطة والقضية وتحقق التزاما أوسع في العلاقة بين القيادة والكوادر والجماهير.

في ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية: فتح تنتصر بالعمل والجماهير[16]

عندما كان ياسر عرفات يضع رأسه بين يديه كان يستقبل في رأسه هموم فلسطين والأمة جمعاء، فلم يكن ليفصل بين القضية الفلسطينية -وان أعطاها الأولوية دوما- وبين الأمة العربية والإسلامية وجماهيرها.

ولطالما ردد القائد العروبي الإسلامي الفتحوي خالد الحسن أن القاطرة الفلسطينية لا تسير بدون القطار العربي مكرسا العمق الحضاري للثورة الفلسطينية وحركة فتح.

أما الشهيد الصارم والكلمة المدفع صلاح خلف فانه ومن أعماق قلبه كان ينشد للأمة ويسابق الريح لتسمع كلماته من الشام لبغداد ومن يمن لتطوان حيث تتموضع فلسطين دائما في قلوب الجماهير، وهذا هو ديدن حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح.

فتح «الحركة»

انطلقت فتح (حركة) حيث يجتمع بين جنباتها التيار العام للشعب بكافة فئاته، الذي ينزع كل أرديه التحزب البغيضة والإيديولوجية الحصرية ليتكرس لخدمة الشعب وقضيته، ليتكرس لفلسطين لا لخدمة

16- في ذكرى انطلاقة للثورة الفلسطينية للعام 2011.

الفكرة الواسعة الممتدة والخيالية في آن (دكتاتورية البروليتاريا، انتصار الطبقة العاملة، قيام الخلافة الإسلامية، تحقيق الوحدة العربية الفورية...)

وهي حركة وليست حزبا (ايديولوجيا) كما هو حالة منظمة «حماس» أو منظمات اليسار، وان لم تكن الحزبية يوما عيبا فان التعصب نشأ في العصر الحديث في الإطار الحزبي (غير الديمقراطي) حيث تصارعت الأفكار الثلاثة الكبرى في بداية القرن العشرين وهي الاشتراكية والقومية والدينية ففشلت جميعها لأنها تعارضت دون رغبة بالالتقاء، وتصارعت في ظن شبه أكيد أنها مكتملة بذاتها فقط، ما بدا ومع الصعود العربي الحديث انها أخطأت من حيث ظنت (الحصرية) و(الحصانة) والاكتفاء الذاتي و(الشمولية)

وها هي هذه الأفكار تعود اليوم في عباءة جديدة حيث فارقت جميعها الظنون وتدثرت بعباءة الديمقراطية والتعددية والمدنية التي رفضتها تلك الأحزاب جميعا فيما سبق تحت نظريات دكتاتورية البروليتاريا أو المستبد العادل أو الخلافة أو الحزب القائد أو حزب القائد.

وتكشف للأمة وللمتنورين في هذه الأحزاب مدى محدودية الفكر عامة مهما كان منبعه، كما ظهر لها الحاجة الملحاحة لكل فكر اوفكرانية (=إيديولوجية) أن تأخذ من الأخرى في إطار منفتح وسياق متصل ورغبة في التطور والإثراء.

فلسطين جامعة النقائض

منذ البداية وحتى اليوم وحركة فتح لا تجمد ولا تتحيز ولا تقصي ولا تغتاظ من نجاحات الآخرين، بل كانت مرحابة دوما منفتحة أبدا بحيث أنها احتملت في داخلها النقائص تلك التي عاشت متحاورة ومتجاورة، متحاربة حينا ومتصالحة حينا يحدها من الجهات الستة قضية فلسطين.

فحيثما اختلفت وصعدت أو حطت رحالها كان الجامع لنقائص أو تيارات أو اجتهادات حركة فتح هو فلسطين، وليس كأولئك الذين وضعوا فلسطين على هامش مشروعهم الأكبر أو الشمولي فأصبحت ثانوية لا أساسية وفرع لا أصل.

فتح الحركة حيوية وديمومة، أصالة وتغير دائم، وفتح الفكرة والخلق والسلوك كانت تنهض من عبق الشارع واغتراف المعاني الصاعدة من نهر الحضارة العربية الإسلامية وبالإسهامات المسيحية الشرقية، وبالانفتاح على الفكر والحضارة والثقافة الإنسانية عامة وهي بذلك أبرزت مفهوم (الوطنية) في السياق المحيط.

تختص وتركّز وتكرّس

إن فتح حركة (وطنية) من حيث أنها (تختص) ومن حيث أنها (تركّز) ومن حيث أنها (تضع الأولوية)، انها ليست حركة اقليمية وانما قطرية وطنية في الفضاء العربي كما استلهمت ذلك اليوم كل الثورات العربية، ففي حين عمم الآخرون فكرهم وشرقوه أو غربوه، وحملوه ما لا يحتمل أو انقصوه، فان حركة فتح اختصت بفلسطين حيث هي الهدف أولا وما سواها من القضايا على أهميته يليها ويغذيها.

فلا قضية أفغانستان أو البوسنة أو العراق أو... من القضايا تتقدم على فلسطين وان كانت لاتهمل في الإطار الفتحوي العروبي والثوري العالمي حينما يضع ياسر عرفات رأسه بين يديه، ولكنها قضايا على أهميتها تأتي في سياق خدمة (الوطنية الفلسطينية) ذات الأولوية من جهة ومجال الاختصاص الفلسطيني من جهة ثانية.

كانت حركة فتح حركة وطنية لأنها (كرست) و(ركّزت) و(أضاءت) بشكل أساس على فلسطين من كافة الجوانب، وهل كان المطلوب من أي

تنظيم فلسطيني أن يصرخ قائلا غير فلسطين؟ وهو (الفلسطيني)؟ وهل كان على الفلسطيني أن يحمل أعباء الثوار في العالم في نفس الميزان مع فلسطين؟! وبمعنى آخر ألم يكن الأجدر بكل صاحب قضية ان يكرس ويركز ويضئ على قضيته أولا قبل ان يضع في جعبته قضايا العالم معا؟! وهذا ما فعلته حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح.

وفي سياق وطنية الحركة دافعت طويلا عن استقلاليتها وحاربتها أنظمة وجهات عدة خسرت تلك الأنظمة وفازت فتح الاستقلالية في عمقها الوطني وامتدادها في محيطها الشاسع.

تحرير فلسطين محور الفكرة

فتح الحركة الوطنية الفلسطينية كفكر هي حركة تحرر بمعنى أن شغلها الشاغل كهدف وفكرة محورية محركة للفعل هو التحرير، وتحديدا تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، دولة مستقلة ثم دولة ديمقراطية مدنية على كامل التراب الفلسطيني.

إن التحرير الوطني أو القومي هو كفاح للتخلص من العبودية للمستعمر واحتلال الأرض والإنسان، وفي هذا السياق اقتدت الثورة الفلسطينية وحركة فتح بتجارب الشعوب حتى اكتشفت طريقها الخاص.

فمن حيث هي اقتدت بالثورة الجزائرية والصينية والفيتنامية والروسية والكورية والكوبية في حرب الشعب طويلة الأمد أو النفس وجدت في مراحل متقدمة واثر نضالات بطولية تحسب لمصلحة فلسطين وفتح، وجدت أن المسار النضالي التونسي قابل للتأسي، كما وجدت في تجارب الثورات الأخرى مثل تجربة جنوب افريقيا إمكانية للاستفادة منها والاحتذاء ببعض جوانبها إلى أن اكتشفت تميز تجربتها ونضالها وقدرتها الذاتية على الابداع التجدد.

ان حركة فتح التحرير أصّلت الكيانية للشعب الفلسطيني تلك التي حاول الكثيرون اسقاطها أو هدمها ابتداء من العدو الصهيوني الذي ما زال ينكر هذه الكيانية والشعب وقيام الدولة، إلى هذا النظام أو ذاك، الا ان فتح أركبتها مركب الصعود في عربة منظمة التحرير الفلسطينية، التي قامت ونامت وقويت وضعفت، ولكنها حتى في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية، وفي ظل نزاعات عكست نفسها علينا ومن خلال التنظيمات بقيت هي الدار وهي الحامي وهي مقر الكيانية للفلسطينيين في الداخل والخارج.

الفتحاويون أبناء عمر

إن فتح كحركة تحرر وطني، فعل نضالي متصل ومخالطة وتواصل وتفاعل مع الناس، وقدرة على العطاء لا تنضب، وسعي للعمل كقيمة وصدق مرصود بحيث أن أبناء حركة فتح يعدون بحق أحفاد عمر بن الخطاب، حيث انه يؤثر عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه شهد عنده أحدهم شهادة في شخص فرفضها عمر لأنه اعتبر الرجل لا يعرفه استنادا لقواعد المعرفة الممثلة بالصدق والمخالطة والمعاملة حيث قال عمر (فهل كانت بينك وبينه معاملة، قال: لا، فهل ائتمنته على شيء، قال: لا، فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد...) وقال في موضع آخر (لا تنظروا إلى صيام أحد ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدّث وأمانته إذا أئتمن، وورعه إذا أشفى)[17].

ثلاثية صعود الحركة

فتح حركة الوطنية الفلسطينية الصادقة صعدت بعوامل ثلاثة أولها: أنها جاءت من آلام وآمال الشعب، وتواصلت بذلك فجعلت من التحامها

17- أشفى أي أشرف على شيء، وظهر، ولا يكون ظهور الورع الا بالمعاملة.

واعتمادها والتصاقها وتعليمها وتعلمها من الجماهير أحد أهم أسس انطلاقتها وديمومتها، فلا تكاد ترى فواصل أو فروقات أو أبواب موصددة بين قياداتها السياسية والتنظيمية والميدانية والناس، فهم منهم وبهم.

وثانيها أنها رفعت شعارات الجماهير بالتحرر والعودة والكفاح الوطني ومارست ذلك قيادة للجماهير أمامها ومعها فقدمت آلاف الشهداء في سبيل الله وفي سبيل فلسطين بلا حساب، في الوقت الذي اعتبرت فيه بعض تنظيمات الاستكانة والهزيمة والنكوص أن شهداء الثورة الفلسطينية وحركة فتح (فطيس).

أو أنهم يموتون كفارا أو غير ذلك من التهم القبيحة والتي ما زالت تعشعش في رؤوس أمثال هؤلاء حتى اليوم ممن ينصّبون أنفسهم أوصياء على دين الله أو على القومية أو على الوطنية أو على المقاومة في عملية تباعد عن الناس وتلاقي مع أحلامهم وعجزهم وفتاواهم التي ستلقى بهم في نار جهنم بعد أن يكشفهم الناس وينبذوهم في العراء.

القيادة في المقدمة

وثالثها أنها تنظيم الصدق، فلم يكن لكوادرها أو قياداتها أن تراوغ أو تداور مع الناس، فحيث أشعلت نار الكفاح المسلح كانت قيادة وكوادر في المقدمة

وحيث اختارت طريق الانتفاضة حملت معها كل الفئات وشاركت فيها كل الأطر، وحيث اعتمدت الكفاح الشعبي والمقاومة الجماهيرية مارستها بأشكالها السياسية والاعلامية والميدانية، فلم تلتبس عليها الوسيلة بل اختارتها بقدرة التحليل للمحيط ورصد المتغيرات وبقدرة الفرز للمعسكرات المعادية والمراوغة والصديقة، وبوعي القادم وسارت خلفها الركبان من كافة التنظيمات وآخرها حماس التي ربما استوعبت مصداقية

فتح في خياراتها وتعاملها مع جماهيرها، وقدرة أهدافها على عكس نفسها من الآخرين وعليهم.

ما شئت لا ما شاءت الأقدار؟!

اعتاد البعض أن يكون الكلام عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح بمنطق السلب، حيث اعتادوا سعة صدر القيادة الفتحوية إلى حد التسيب، وتعلموا الديمقراطية على ظهر حركة فتح الذي ألهبوه بالسياط، وتنسموا نسائم الحرية في أروقة مكاتب الحركة، وبساتينها، وحاوروا وناوروا وجادلوا وعارضوا وصارعوا في مواجهة فتح، إلا أنهم جلسوا مقيدي الأيدي والفكر حينما يتعلق الأمر بأحزاب شمولية أو أنظمة شمولية (الأفكار الشيوعية والإسلاموية الحصرية، والقومية- الشوفينية)

وكأن الديمقراطية والحرية والتعددية وإمكانية النقد تقف فقط عند عتبة باب اللجنة المركزية لحركة فتح، وتنأى عن تلك النظم والأحزاب الاستبدادية حيث تستبدل النغمة العالية بمدائح تشبه مديح ذاك الشاعر المتزلّف ابن هانئ الأندلسي الذي وقف يقول للمعز لدين الله الفاطمي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشرنا به ... في كتبها الأحبار والأخبار

أو قول أبو الحسن بن جبلة الشاعر:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها ... وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد ... ألا قضيت بأرزاق وآجال

وهذا هو الحال هذه الأيام بين منتقد لطبائع الحرية والديمقراطية والتعددية ومتوقف عند حد المديح لرذائل حزبه أو فكره الاقصائي أو نظام الاستبداد الذي يتعلق به.

فتح تهزم التفكك وتزعج المنافسين

اعتادوا تعداد سلبيات فتح، إما طعنا أو حسدا أو رغبة في التدمير لارغبة في الإصلاح والتطوير لتنظيم تكالبت عليه الأكلة (كما تتكالب على قصعتها)، ولكنه ظل عفيّا يناطح السحاب قوة، لم يستطيعوا حتى الآن أن يفكوا رموز قوته حتى باستخدام الرياضيات الحديثة أو معادلة (أنيشتين) في النظرية النسبية.

استطاعت حركتنا حركة فتح أن تهزم التفكك والصراعات، كما هزمت الشدائد والرزايا، وخاضت المعركة تلو المعركة تلك العسكرية منها أو السياسية أو الإعلامية أو الجماهيرية فتخطت أزماتها، ومنها أزمة الانشقاق الكبير عام 1983، وأزمة الانقلاب الدموي في غزة عام 2007 وأزمات العلاقات العدائية التي نصبت فيها الأنظمة الاستبدادية المدفعيات والراجمات والبنادق لتدق عنق الثورة أو تشوه جسدها كما فعل نظام القذافي أو نظام حافظ الأسد طوال أكثر من 30 عاما، ولكنها عفت وسامحت وتجاوزت وتخطت وخرجت من كل مآسيها في حروب المخيمات في لبنان ومن الانتفاضات أكثر قوة وقدرة ومحبة أزعجت المنافسين وأرّقتهم وجعلتهم ومَن وراءهم يداومون على ضربها وتشويهها بلا جدوى ومن حيث فشلوا فشل معهم الاحتلال الصهيوني.

فتح الرحابة والدولة المدنية

ولأنها حركة فتح أي الرحابة والسعة والفضاء الواسع لم تضق يوما ذرعا بمعارض، ولم توجه له سكينا أو بندقية كما فعل متطرفو حماس في انقلاب غزة عام 2007، وكما فعل قبلهم أتباع (ابن هانئ الاندلسي) مداحي نظام الاستبداد والجور والظلم الذين دكوا حجارة طرابلس عام 1993 على رؤوس الفلسطينيين، واكملوا كشف عوراتهم عبر حروب

المخيمات الطويلة في لبنان.

ان فتح الرحابة والسعة والفضاء الواسع تتغاضى وتسامح وتفتح الصدر بمودة ومحبة تماما كما فعلت مع الانقلابيين في غزة، حيث يجب أن تقف بصلابة ضد القتلة وضرورة محاسبتهم، وضد الانفراد والانتخابات لمرة واحدة عبر تكريس الديمقراطية والتعددية بصرامة، وان تقف ضد من يتوهمون ويحلمون أو تخنقهم روائح الأدخنة في الغرف المغلقة حينما يحلّقون فكريا دون وعي أو فهم أو تجربة أو تفاعل مع الناس، فلا يحاربون من اجل حريتهم وكرامتهم وحقهم في الحياة والتفكير والتعبير في ظل الدولة المدينة التي قد تحتاج منا لعشرات السنين ليستطيع الناس جميعا أن يدركوا أنها مستقبلهم في ظل الاحتلال أو حين زوال الاحتلال فلا نستبدل احتلال الأرض والهواء باحتلال العقل والرئتين.

ثغرات في المسيرة

آن لنا أن نفرد صفحات لبعض الثغرات في مسيرة حركة فتح المتجددة بعد انطلاقتها الجديدة مع المؤتمر السادس عام 2009 والتي منها.

بطء التغير: وحيث أن التغيير قد حدث في الأفكار والسياسات والبرامج والشخوص، فلم يكن لفتح إلا أن تضع كل ذلك في مسار الفعل، وهي وان أحدثت تغييرا «محدودا» في الأطر، وعميقا في الفكرة والميدان (اعتبرت العمل معيار الانتماء، وفرضت الاشتراك المالي، وقامت بالانخراط الشعبي والتواصل التنظيمي...)، إلا أن هذا التغيير سار وما زال ببطء لم يطبع بصماته على جسد الكادر وفي قلبه.

ولم يكن للتثقيف أو التعبئة الداخلية أو التدريب أو المتابعة أو التخطيط حد مقبول في الإطار الصاعد والنازل رأسيا وكذلك أفقيا، وهو وان بدا واضحا في بعض خلايا التفكير ولجان المساندة وعدد من المفوضيات

ومجموعة من الأقاليم التي نعتز بتطورها، إلا أن هذه التغيّرات لم تصبح حتى الآن سمة أو طابع أو لغة مشتركة أو بصمة أو علامة مسجلة لحركة فتح حتى الآن.

خوف من المستقبل: يتلبّس بعض الكوادر في الحركة رداء التشكي الدائم ضمن قلة الحيلة والسلبية ويتلبس الآخرون خوف من المجهول ومن القادم ومن المستقبل، وهم إذ يرون متغيرات داخلية ولدى الاحتلال، وفي المحيط العربي تصطك ركبهم كما ركب أولئك في حماس من القادم، فهؤلاء يخشون التلاشي كما يخشاه أولئك، والطرفان يمثلان شخصيات مليئة بالثغرات أو الحذر المبالغ، وعدم الرغبة في التقدم.

إن كان الخوف ضرورة فانه يجب أن يكون حافزا ودافعا ومحرضا على الفعل لا على القعود ونكران الفعل، وإلقاء كل شيء في وجه القدر. إن الآلة تدور بتروسها جميعا، و(الاوركسترا) لا تصدر اللحن الشجي إلا بتناغم كامل عناصرها، فلكل فرد أو عضو دوره في مسار الفعل الجماعي ولكل موقعه ولكل عمله الذي يعرف به حيث يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وقيمة المرء ما قد كان يحسنه، والجاهلون لأهل العلم أعداء).

التشاؤم والسوداوية: إن من ابرز عيوب (القلة) في جسد فتح هي نظرة التشاؤم الدائمة والسواد الحالك الذي يحيط عيونهم وعقولهم، فالماضي جميل والحاضر سيء والمستقبل مخيف، وبمثل هؤلاء تتقهقر الحركة وبمثل هؤلاء ينطفيء لظاها وتخبو نار مشعلها، المضيء حتى تحرير فلسطين وعودة اللاجئين وتحقيق الدولة الديمقراطية المدينة.

إن فكر (النعي) والتذمر الدائم والشكوى هو سم قاتل في جسد أي تنظيم خاصة إن ارتبط بالقعود والتثبيط للذات والآخرين، حينها يتحول

النشاط إلى تخريب مقصود ومتعمد.

إن الفكر الايجابي لا يبرز إلا في المحيط السلبي، وإلا فان الايجابية في المحيط الايجابي لا تعد فضيلة، بل الفضيلة بالتفكير الايجابي الذي ينتزع ذاته من بين أنياب السواد والجو المحبط، وهنا يظهر الشجعان حيث يقول الشاعر جرير: قل للجبان إذا تأخر سرجه/ هل أنت من شرك المنية ناجي؟

النقد الفضائحي

في حركة فتح تعلمنا أن ننظر بالعينين الاثنتين فتعلمنا النقد، ولكننا معه تعلمنا أن نأخذ بيدنا اليمنى زمام أمرنا فنعمل ثم نعمل ثم نعمل، لأن العمل في فتح لخدمة القضية والناس والتنظيم ما يمثل فضيلة حركة فتح، وهي-أي الحركة- إذ تضع الله سبحانه وتعإلى نصب العينين، فانها ترى في الناس مفتاح الحل ومبرر الوجود وهدف الفعل لأن تحرير فلسطين تحرر للجماهير، ودحر الاحتلال لمصلحة الناس، وإعلاء قيمة الفرد وخدمته في شؤونه الصحية والاقتصادية والاجتماعية الصغيرة والكبيرة واجب.

في فتح تعلمنا النقد ولم نترك العمل، فلم يكن النقد لمجرد تعداد السلبيات أو التنفيس أو التشفي أو دلالة الكراهية، وإنما بغرض تصفية النفوس وبطرح أفكار الإصلاح وبالقيام بأعمال تنافي ما تم النقد عليه، وحافزا للتقويم ودافعا للعمل، لا كما نرى اليوم أشباه مثقفين أو بضعة أشخاص يعتلون المنابر فقط للذم المرذول والشتم غير المقبول أو الشكوى المذلة أو الشتم الملفوظ أو الاتهام غير المغفور، أو تلقط سقطات الآخرين فقط كمبرر للنكوص أو التراجع أو السكون أو التدمير وعدم العمل، وأظنني أجد مثل هذه النوعيات قلّت أو كثرت على امتداد الهرم القيادي من أسفل إلى أعلى أو العكس وفي كافة التنظيمات.

- **ضعف التواصل**: يمكننا القول أن الثورة التونسية أو المصرية الحديثة انتصرت بإرادة الشباب وتصميمهم وفي ذلك الكثير من الحقيقة، وان وضعنا عامل القدرة والتخطيط ووضوح الهدف نكون اقترابنا من الواقع، وان قلنا أن الالتزام كان محركا، والفعل والجهد المبذول بدأب كان يمثل العامل الرابع فأننا لا يمكن ان نغفل ابدا ان العامل الخامس هنا هو حسن التواصل أو حسن استخدام الوسيلة.

إن التواصل في حركة فتح على إقراري بوجوده فهو ضعيف نسبيا، وعلى أهميته فهو يحتاج لجهد فكري وإداري رفيع يلزم المسؤول الأول أن يكون راعيا لرعيته كما يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ويكون في نهاره كما ليله لا يشغل فكره إلا خدمة شعبه ووطنه وحسن استخدام الوسيلة من متابعة واجتماعات دورية واتصالات هاتفية وشابكة (الانترنت) وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، وعبر التقرير الدوري ومن خلال الالتحام اليومي الذي يستشعر فيه الفرد والمواطن العادي أن ابن فتح في موقعه القيادي الميداني أو موقعه الوسيط أو المتقدم هو جزء لا يتجزأ من جسده وروحه ودمه.

ان حركة فتح بحاجة أكبر للنظر في عيون الكوادر والتفاعل مع ما يشغل فكرها، وتصوير ما يعتمل في قلبها وتجنيد أرواحها لنتقدم وننتصر.

- **نقص الثقافة والتثقيف**: قلت في أكثر من محفل أن المثقف يحتاج ليكون كذلك لأن يعبر عن بيئته، ولكل بيئة وفئة ومجتمع ثقافتها، ولكي يتميز الكادر في فتح فلا مناص من الصعود لمنصة الثقافة عبر مركب القراءة، فمن لا يقرأ لا يتجدد كمن لا يستحم اذ تتراكم على جسده الأوساخ، كذلك المقلّ أو المفارق للكتاب الورقي أو الالكتروني حديثا حيث يتراكم على فكرة الصدأ من كل جانب ما لا يجلوه إلا القراءة ومن لا يقرأ لا يكتب.

إن التثقيف في الحركة حصانة والتثقيف في الحركة قوة للشخصية والتثقيف في الحركة ثقة بما نقول ونعمل فان لم اسعَ للتحصين واكتساب القوة والثقة من خلال التفاعل مع ثقافة الجمهور، وعبر الكتاب ومن خلال الممارسة فمن أين سأكون قيمة في التنظيم؟! ومن اين سأختط لنفسي مسلكا مميزا وكيف سأتماثل مع أقراني في آلية العمل بروح الفريق؟

ان التعبئة والتثقيف الداخلي في الحركة ليست مهمة لجنة التدريب فقط وإنما هي مهمة كل عضو نحو ذاته أولا، فالنهر موجود والشربة لا تحتاج إلا لمن يغترفها، وهي مهمة الإطار (خلية، شعبة، منطقة، إقليم) وكذلك في المكاتب الحركية، فحيث نهمل الفكرة وقيمتها والأخلاق وانعكاسها في سلوكنا وحيث نهمل الاحتكاك بالآخرين والاستفادة منهم تجتاحنا نوازع الأنانية وحب الذات والتقوقع والظن السيء.

- **الفردية وفقدان الإدارة المحكمة**: إن مرض الفردية أو الشخصانية قد يصيب الكثيرين خاصة ممن يعشقون صورتهم، وبدلك يصبح سعيهم الأساس نحو تكريس هذه الصورة بحيث لا يرغبون أن يروا إلى جانبهم إلا من يكيلون المديح لهم بحق ودون وجه حق ويتزلفون.

قد يبرع أمثال هؤلاء في أعمالهم ولكنها وان حققت نتائج إلا ان محركها الرئيس صورة الفرد ومكانته بحيث لا يرغب في رؤية الآخر المخالف أو حتى المتفق معه، فظهوره ألى جواره يصبح مجال مقارنة لا يرغب بها (النرجسي) الفرداني الشخصاني.

ان العمل الفردي قد ينجز، وقطعا يحتاج التنظيم لمبادرات أفراده، ولكن العمل المثمروالأكبر تحقيقا للأهداف، وبزمن مرتبط بالخطة هو العمل الجماعي أو العمل بروح الفريق من حيث أنه:

- يخلق التقارب
- ويحقق الترابط والتناغم
- ويزيد الثقة المتبادلة
- ويكرس الانتماء
- ويحقق الانجازات
- ويوفر الجهد والوقت والمال

وان كان هؤلاء الشخصانيين في حركة فتح وفي التنظيمات الأخرى قطعا يستبسلون لإبراز ذاتهم، ويخشون العمل الجماعي فان مهمة الكوادر في الأطر هو مزيد من العمل الجماعي والمنظم ومزيد من روح الفريق الذي يجعل مثل هؤلاء محاصرين وأسلوب 'دارتهم منبوذ.

أما الإدارة المحكمة من حيث تطبيق عناصر الإدارة الستة المعروفة من تخطيط وتنظيم للجهود وتوجيه (قيادة واتصالات وتحفيز) وتشغيل ورقابة (ومحاسبة) وتنسيق فإنها وفي ظل تعدد مدارس الإدارة التنظيمية نجدها في حركة فتح ونحس بها وهذا متغير جيد، ولكنها صفة تحبو وفكرة تشق لها طريقا صعب للتطبيق في مختلف الأطر، وسبيل تتنازعه رغبات الرجال والارتجال والاتجاه نحو العشوائية وردود الفعل كبديل عن التخطيط والتوجيه والمتابعة.

إن الاتجاه نحو الإدارة التنظيمية بعناصرها يستدعي تغيرا فكريا أداريا، وتغييرا في الثقافة السائدة حيث لا يعقل وكل وسائل الاتصال الحديثة بين يدينا أن لا نقدر على بناء جسور التواصل والثقة والمحبة والمخالطة بيننا وبين أعضاء التنظيم؟ ولا يعقل أن نهمل الكادر ليبحث عن متنفس آخر يجده في مساحات افتراضية متاحة عبر وسائط التواصل الاجتماعي وقد

يجهد نفسه بما هوبلا طائل، وكان الأدعى أن نجذبه بنشاطات المناطق والأقاليم والنقابات والمؤسسات والمركز.

إن الإدارة الفتحوية يجب أن تكون هي الإدارة بالقدوة، وهي الإدارة بالعمل والانجاز، وهي الإدارة بالتعاون وهي الادارة بالالتزام، وهي الادارة بالجماهير، وبدون ذلك فاننا سنظل نعاني ونعاني ونتراجع ونتقهقر ونتساءل لماذا؟ ونحن نعرف الجواب.

ان كان على حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح كقيادة وكوادر متقدمة مآخذ فان آليات الحوار في الحركة مفتوحة ضمن كافة الأطر، وهي مكان الاستيعاب الأكبر لكل نقد هو ضروري، ولكل اقتراح هو واجب ولكل صاحب رأي يعتقد أن لديه ما يقوله وعليه ما يفعله.

فتح الفكر السياسي

استطاع الرئيس أبو مازن وحركة فتح أن يرسموا استراتيجية نضالية ارتكزت وفق ما عبر عنه المؤتمر السادس للحركة عام 2009 ومسار الأحداث السياسية وقرارات اللجنة المركزية والمجلس الثوري في اعتقادي على الأمور التالية: -

1. **التمسك بالثوابت الفلسطينية:**

وذلـك وفق ما استقر عليه الإجـماع الفلسطيني ممثلا بالدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين، ولحقت جميع الفصائل بحركة فتح بهذا المجال دلالة على قدرة الفكر الفتحوي الواقعي أن يفرض نفسه ويحقق إجماعا وتوحدا هو من شيمة الفتحويين.

2. **الكفاح الجماهيري:**

شددت الحركة على حقها بممارسة كافة أشكال النضال وفق ما أقرته الشرائع الدولية وبما غيها الكفاح المسلح، واختارت في المرحلة الراهنة الكفاح الجماهيري أو النضال الشعبي أو المقاومة السلمية كخط نضالي، يجب أن يتصاعد ليس فقط في نقاط المواجهة حيث يتواجد الجدار، وفي بعض القرى وإنما ان يتحول بفعل نضالي يومي متصاعد لا يقر للاحتلال بتواصل بغية وعدوانيته، ويشكل من الجماهير جدار حماية وطاقات نضالية، وفي هذا البعد فان حركة فتح مقصرة ومطلوب منها ومنا جميعا حجم ومساحة اكبر لهذا الفعل.

3. تعزيز المواطنة والانتماء لفلسطين

ما بين الانتماءات التنظيمية لهذا الفصيل أو ذاك أقدم الرئيس أبو مازن والسلطة الوطنية الفلسطينية على الفصل بين الانتماء التنظيمي وبين الوظائف في السلطة الوطنية الفلسطينية بشقيها المدني والعسكري، وعليه أضحت التعبئة والرسالة الداخلية في مختلف المؤسسات والوزارات والأجهزة رسالة وطنية فلسطينية لا تميز بين المنتمي لهذا الفصيل أو ذاك.

ورغم أن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح هي حركة الشعب الا أنها لم تدعي يوما أنها تمثل حصريا الشعب الفلسطيني، أو تمثل حصريا الإسلام (كما يدعي الآخرون) أو تمثل حصريا العمق العروبي الإسلامي الحضاري لذلك كان مسارها مرتبط بالإطار الجبهوي التآلفي التوافقي ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية ولاحقا ما حصل في ’طار السلطة الوطنية الفلسطينية.

تتميز حركة (فتح) في أن أول حرف من اختصار اسمها هو حرف الفاء المأخوذ من كلمة فلسطين، وقسمها ليس قسم الإخلاص لحركة فتح وإنما قسم الإخلاص لفلسطين، ويتوسط شعار العاصفة فيها خريطة فلسطين

الكاملة، وهي لم تشعر في يوم من الأيام أنها متمايزة عن جماهيرها فلم تفرق بينهم في الرعاية والدعم والمساعدات والاحترام.

4. الديمقراطية والوحدة الوطنية والشراكة

الديمقراطية تمثل حياة في حركة فتح، عكستها في المجتمع اذ يشعر الفلسطيني بحريته في ظل وجود حركة فتح الضامن لاستقرار وحرية الفرد والمجتمع كما أفادنى أكثر من أخ مستقل مشبها حركة فتح بعود الخيمة أو أساس البناء أو العمود الفقري للثورة الفلسطينية...

ولان الديمقراطية ليست صندوق انتخابات فقط بل فكرة وثقافة وممارسة تنعكس في البيت والحزب والبلد ارتفع صوت الفتحويين عاليا بالنقد الصادق والحوار وتعزيز المسار، فلم يتركوا مثلبه أو إساءة أو فسادا عاما أو خاصا إلا فضحوه بادئين بأنفسهم وملحقين الآخرين بهم، فالمؤمن لا يكون كذابا أبدا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ولا طعانا ولا لعانا ولا شتاما وإنما ناقدا باحترام وضمن القوانين.

وإذا كانت آية المنافق تتمثل في أنه: إذا حدّث كذب وإذا وعد اخلف وإذ اؤتمن خان وإذا خاصم فجر كما يروى في الحديث الشريف فان الحركة العملاقة لم يؤثر عنها في تاريخها إلا تطبيقها الأمين لهذا الحديث الشريف، لذا كانت مساحة الديمقراطية تتعزز، لأنها تعري وتفضح من يكذب ويخون ويخلف ويفجر.

وإذ استطاعت الحركة أن تعكس الديمقراطية في علاقاتها الداخلية والخارجية وفق مقولة الرئيس الشهيد الخالد ياسر عرفات أنها (ديمقراطية غابة البنادق) فان حماس كمثال لم تلتزم بهذا المبدأ ونقضته علنا عبر حربها على الشعب الفلسطيني في غزة من خلال الانقلاب الأسود عام 2007 حبا بالسلطة وسعيا لها، الذي أودى بأكثر من ألف شهيد، لم يسبقها

لمثل هذا الفعل الا نظام الاستبداد والظلمات عام 1993.

ومع ذلك فان فكر الوحدة الوطنية هو فكر فتح التي قادت والفصائل الوطنية عامة وفي الانتفاضة الأولى ثم الانتفاضة الثانية وصبرت على تفرد حماس بفعالياتها ونشاطاتها وانشقاقها على القيادة الوطنية الموحدة إلى إن جاء اليوم الذي يجلس فيه خالد مشعل إلى جانب الرئيس أبو مازن مقرّا بالخط الواقعي لحركة فتح ولمنظمة التحرير الفلسطينية، وإلى أن جاء اليوم الذي يعترف به موسى أبو مرزق علنا أنهم في حماس كانوا ينظرون للمنظمة أنها الأخر، رغم وجود الكثير مما يوحد على حد تعبيره.

إن الوحدة الوطنية لدى حركة فتح مفتاح رفض القداسة أو العصمة التي يدعيها بعض التنظيمات اليوم سواء العصمة الوطنية أو الدينية، وهي مفتاح قبول الآخر لا استبعاده أو النظر له كنقيض إن لم يكن كعدو يجب إقصاؤه كما المح أبو مرزوق مؤخرا.

إن الشراكة في صلب فكر فتح المستنير والرحب الذي يتقبل ويتفهم ويتجاور ويتحاور مع الآخر بكل محبة وكل تقدير وكل احترام، وهاجسه الأساس كما كان يردد الشهيد القائد صلاح خلف (أبو اياد) ولم يملّ من التكرار (أنني أخالفك بالرأي ولكنني أقاتل دفاعا عن حقك بإبداء الرأي). وما مآل الأمور مؤخرا عبر المصالحة الوطنية إلا تكريسا حقيقيا لفكر حركة فتح السياسي في الديمقراطية والتعددية والوحدة الوطنية والشراكة السياسية.

5. **العمق الحضاري العروبي الإسلامي:**

جهد المخالفون بأن يضللوا الشعب الفلسطيني ويصموا حركة فتح بأنها حركة كافرة أو علمانية (بمفهوم أن العلمانية كفر)، وما زال هناك فئة غير قليلة تحمل هذه الفكرة الملغومة، والتي هي امتداد لاتهامات

تشويهية تبرز عند كل مفصل أو في الانتخابات حاليا، وما هي اتهامات باعتقادي صادرة عن عقلاء أو مؤمنين وإنما عن حاقدين اقصائيين لا يرون إلا أنفسهم، إذ يفجرون بالخصومة ويتطاولون على الآخرين وعلى فتح ويستعلون عليها في سياق فهم مضطرب يدعي قداسة (الولاء والبراء والاستعلاء).

إن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح هي التيار العام الذي يضم كل مكونات وفئات وأفكار الشعب الفلسطيني من أولئك الذين خلعوا رداء الحزبية المتعصبة وانضموا لقافلة التحرير، لذا فحركة فتح هي حركة هذا الشعب المنتمي قطعا لبيئته ولمحيطه ولحضارته، وأنى له أن يخرج من عباءته هذه؟ وكيف له أن يتناقض مع مكوناته الذاتية؟ وهي تلك المنفتحة على الحضارات دون تعصب أو تأزيم أو تحيز.

إن الحضارة العربية الإسلامية المنفتحة، وبالامتدادات المسحية الشرقية هي حضارة هذه المنطقة وهي تشكل أبرز مكونات ثقافة هذا الشعب وهي خيار حركة فتح منذ البداية حتى اليوم، وما كان اسم (فتح) إلا استلها ما للفتح المبين لا الحتف والانتحار والدمار.

إن قدرة حركة فتح على احتواء التيارات الفكرية الثلاثة في حضنها في مرحلة سابقة إنما كان دلالة الرحابة والتكرس لفلسطين كما هي الدلالة على العمق الحضاري الملتزم بالأصالة والمنفتح على الحداثة.

ان حركة فتح فكر الوسطية وفكر الاعتدال المجتمعي فلم تكن يوما تنظيم متهاونين في القيم أو الأخلاق أو الدين، كما لم تكن تنظيم متشددين مذعورين من رائحة الورد القادمة من الآخر، انها تنظيم الحداثة والأصالة حيث التجاور والتحاور والاغناء.

لم يكن الإسلام في يوم من الأيام مشكلة أو عائق أو يمثل فجوة في

الحركة، وإنما كان واستمر وسيظل دينا حنيفا لا يستطيع أي احد أن يمسه بسوء أو يقصيه عن التأثير في الجماهير، وذلك لان للإسلام الدور الفاعل في رسم الشخوص وتشكيل الثقافات وبناء الحضارة العربية الإسلامية.

إن محاولة إيجاد تناقض للإسلام مع حركة فتح إنما هو لعب بالنار وشق للشعب، ويأتي في سياق ادعاء بعض التنظيمات أنها هي وكيل الله على الأرض، أو أنها والقداسة صنوان، أوان فكرها فقط هو المعبر عن الله والإسلام والدين، أو أنها حيث تلتف فإنها تحتكر (الإسلامية) ما لا يجوز قبوله وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمان الكواكبي (لا يوجد في الإسلامية نفوذ ديني مطلقا في غير مسالة إقامة شعائر الدين، ومنها القواعد العامة التشريعية...).

فالرأي عامة هو فكر أنساني سواء أكان هذا الفكر سياسي أم اقتصادي أم مجتمعي أو غيره، ولذا فهو قابل للخطأ والصواب، والإسلام (أو الأديان عامة) غير قابل للخطأ والصواب، لذلك قالوا إن مصطلح (الإسلام السياسي) مصطلح خاطئ فالإسلام ثابت ومطلق والسياسي نسبي، والإسلام لا يخطئ والسياسي يخطئ ويصيب، ومن هنا وقع التحديد إن (الأمور) الإنسانية عامة والشؤون البشرية هي في موقع النظر الفكري الإنساني المرتبط ثقافة وحضارة بفكرنا الوسطي المعتدل الفكر العروبي الإسلامي قطعا وهو الفكرالمنفتح على الحضارات الأخرى دون استغلال للدين أو تمسحا به.

إن (التدين) وحجم (الإيمان) ونطاق (إسلامية) (أو مسيحية) الشخص أو ما يحمله من أفكار لا يصح الحكم عليه بشريا، فالله سبحانه وتعإلى هو الحكم فحيث لا يقاس إيمان المرء وتدينه بالمقياس الدنيوي لان الله هو الحكم يوم القيامة لذا لا يجوز أن يدعي أي كان وكالته عن الله سبحانه وتعإلى والذي هو اقرب لأي منا من حبل الوريد كما يأتي في القران الكريم.

إن الرأي السياسي والمجتمعي والاقتصادي أو أي رأي في شؤون الناس لا يحق لأحد أن يدعي انه يمثله أو ينطق به نيابة عن الله، وإنما عن نفسه أو تنظيمه كي لا نقع في منطقة القداسة أو الكهنوت التي توهم الناس أن هذا الشخص (أو الفصيل) أو ذاك هو وحده الذي يعبر عن الحق لأنه يطلق لحيته أو يصلي في المسجد أو على جينه زبيبة الصلاة.

إن الفكر الفتحوي فكر الشعب الفلسطيني فكر الثورة الفلسطينية، هو المستمد والمستلهم من بيئتنا وتفاعلاتها أي من حضارة الشعب والأمة، الحضارة العربية الإسلامية وتجارب الشعوب، لذا فلتحبط دعوات أو تخرصات من يحاولون اتهام الحركة بالاتهامات الباطلة وكأنها أو غيرها من الفصائل على طرفي نقيض من الله سبحانه وتعالى أو الإسلام أو التدين.

6. المؤسساتية والدولة المدينة.

إن المؤسساتية عقل إداري منفتح وفكرة تستمد قبولها من أن الكل هو القادر على البناء، وان الفرد جزء من الكل، ولذلك فان النظام أو المؤسسة لا تبني على عقل الاستبداد (الديكتاتورية) المرتبطة بشخص لوحده.

يقول الشيخ عبد الرحمان الكواكبي (الاستبداد أعظم بلاء لانه جدب مستمر بتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب والغصب، وسيل جارف للعمران وخوف يقطع القلوب وظلام يعمي الأبصار)

وان كان حديث الكواكبي عن الاستبداد الديني والسياسي فهو يصح في أي مجال وفي أي حزب أو مؤسسة ما نرفضه فتحويا ونسجل انتصارنا عليه من خلال عقلية المؤسسة والعمل الجماعي أو العمل بروح الفريق، ولذلك صيغت الهياكل التنظيمية ليستطيع من خلالها ووفق النظام الداخلي أن يعبر كل كادر أو فرد عن ذاته وفكرته ضمن فكر الحركة، وعن مقترحاته

ونشاطاته وأعماله كل في إطاره وكل في منظمته الحركية التنظيمية أو النقابية.

إن عقلية المؤسسة في الحكم وفي التنظيم وفي البيت وفي الدولة هي نقيض الاستبداد أو الذي يقول عنه أيضا الشيخ الكواكبي انه (ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله...).

حركة فتح والفكر التنظيمي

إن الفكر التنظيمي لحركة فتح ينعقد له اللواء بالتعانق ما بين فكرة التحرير والهياكل التنظيمية ومقومات الأداء، حيث يتحقق الرابط الوثيق بين الإيمان بالفكرة والمسارب أو المسارات التي عبرها يتم تمثيل وتكريس وتحقيق الانتماء والالتزام ما يعبّر عنه بالهياكل التنظيمية من القاعدة إلى القمة التي تمارس العمل أو القيام بالمهمة أو الأداء.

إن مهمة الكادر وواجبه يحدده النظام الداخلي بوضوح لكل إطار، وبلا عمل لا يوجد تنظيم إذ أن العمل هو مكمل خماسي التعريف للمنظمة أو التنظيم (الفكرة، أعضاء، هياكل، نظام، عمل مشترك)، وكما أوضحنا أن فتح تنظيم العمل الدائم المرتبط بالفكرة والقضية والناس.

إن آليات العمل ضمن الهيكل هي محقق الفكرة وقناة الأداء وسبيل التواصل عبر الاجتماعات والتقارير والمؤتمرات.

لذلك فإنه يصح أن نقول أن الفكر التنظيمي يستند للمفاهيم التالية:

1. **الإيمان العميق بفلسطين جامع لنا، وبفكرة التحرير**، وضرورة النضال بكافة الأشكال ابتداء من الكفاح المسلح وحرب الشعب إلى إبداعات الفلسطينيين بالانتفاضات والكفاح أو المقاومة الشعبية.

2. وكما ينص النظام الداخلي فإن **الانتماء والالتزام** بالفكرة والأهداف والمنطلقات وتواصل العمل، والسرية فيما هو محظور ومرتبط بالوقت والمهمة والشخوص، إلى جانب علنية الأفكار والسياسات والرؤى ثم النقد والنقد الذاتي تشكل ركنا رئيسا في الفكر التنظيمي للحركة.

3. الخطاب الحضاري المستمد من بيئتنا ومحيطنا وكياننا وامتدادنا العروبي الإسلامي، فحركة فتح بكادر تنظيميها المسلم أو المسيحي المؤمن بالله وبقدرته على العطاء هو من صلب هذه الحضارة وهذه الثقافة مهما تعدد عنده الرأي لأن الرأي مكون شخصي إنساني قابل للأخذ والرد وللخطأ والصواب ما ينزع أي مفاهيم ظلامية بقداسة أو مطلقية الرأي الذي يجب أن ينضبط للفكرة والأطر.

4. إن حركة فتح فرسان العقل في الحضارة العربية الإسلامية بعطاء دائم وحضاري ومنفتح على كل تجارب الشعوب، وباحترام شديد لكل الإسهامات المسيحية والإسلامية في أتون هذه الحضارة، وكذلك بالنهل من الحضارات الأخرى ضمن الانفتاح والوسطية والاعتدال الذي تمثله حركة الشعب الفلسطيني.

إن **الإبداع في صلب التنظيم** يرفض ورقة النعي أو السوداوية أو البكاء واللطم، وإن كان الإبداع يرحب بالنقد وفق أرضية الإصلاح والتطوير والتقدم، وفي ذلك دوما تكون البداية من عندي (عندك)، حيث لا يقبل الفكر التنظيمي الفتحوي مفهوم علاقة الملابس (الشماعة) سواء كانت متمثلة بالقيادة أو بالنظر أحادي الزاوية للسلبيات والإخفاقات.

إن كل إخفاق أو سلبية يجب أن تنقد وتقابل بفعل إيجابي، وكل

تراجع أو أزمة يجب أن تكون دافعا وحافزا للمراجعة والاستفادة لتشكيل دفعة للأمام وليس إلى حافة الهاوية.

إن الإبداع سياق فعل متصل، وأفكار وخطط لا تنضب فإن تكون فتحاويا فأنت صاحب الإلهام للآخرين، ومدرسة الإقدام والشجاعة، ورمز الانجاز قبل أن تتصدى للآخرين بشجاعة أيضا مشيرا إلى سلبياتهم أو مساوئهم.

5. **التواصل التنظيمي**: لم تعد الفكرة وحدها والإيمان بها والتعبئة باتجاهها هي عامل الاستقطاب أو الحفاظ على العضو، ولم تعد النشاطات هي المحفز الوحيد للأداء حيث أن الاتصالات بأشكالها المختلفة في السياق الرأسي والأفقي، والشفوي منها والكتابي، الفردي منها والجماعي والجماهيري كلها تشكل حقيقة التعاون والتنسيق والتساند.

إن دخول العالم في عصر الفضاء والشابكة (الانترنت) ولغة التواصل الاجتماعي أصبح يوجب على كادر الحركة أن يقود هذه الوسائل بما ترسمه الحركة من سياسات ورؤى وخطط، ولكن ذلك على أهميته ما ثبت بالثورات العربية الحديثة فانه لا غنى أبدا عن الاجتماع التنظيمي واللقاءات التنظيمية المهرجانات الجماهيرية والمؤتمرات، في آليات متابعة يومية ودورية تجعل من التواصل قنطرة توحيد الأفكار ومكان التنفيس كما طلب البعض، ومساحة تصارع أو تقابل الآراء واتخاذ القرارات أو التوصيات وتحقيق المحاسبة، وحيث يجب أن يكون عامل التوافق هو محركنا في ذلك.

إن الإدارة الحكيمة أو الرشيدة في التنظيم تجعل من التواصل التنظيمي مدخلا لتحقيق الخطط والبرامج عبر تنظيم الجهود

وتوجيهها وقيادتها والمحاسبة عليها.

6. **الارتباط مع الناس**: إن فتح لم تقبل أن تكون حركة الطليعة أو النخبة المنفصلة، أو الصفوة المنقطعة عن الناس أبدا فمزجت بين طليعية كوادرها، وجماهيرية تطلعاتها وعلاقاتها مع الناس بالمحبة والاعتماد والتعلم من الجماهير وتحسس شؤونها وحاجاتها ودوام الاقتراب والتواصل معها، فحركتنا كالسمكة التي تعيش بين الجماهير، متى ما انقطعت عن العوم في هذا البحر تلاشت وانتهت.

إن حركة فتح الجماهير محبة غامرة، وفعل خدمة لا تنضب لمصلحة الناس، مادة الثورة، ومعينها، فلا يجوز في الحركة أن نترفع عن الجماهير وندعي العلم أو القداسة أو المعرفة أو النزاهة أو الاستعلاء كما هو شأن تنظيمات أخرى تضع بينها والجماهير حاجزا نفسيا أو دينيا بادعاء عصمتها أو فوقيتها ما هو في حقيقته سقوط للفكرة والقائد التنظيمي معا.

إن الجماهير هي مقياس النجاح أو الفشل، ومهما كانت الأفكار عظيمة فإنها تظل حبيسة العقل أو الأدراج أو الأوراق أو الشابكة (الانترنت) إن لم تعتنقها الجماهير وتجعل منها كائنا حيا يرزق.

7. **الإيجابية والمؤسسية**: إن حركة فتح لم تكن يوما من أولئك الذين يردحون أو يدعون المظلومية التاريخية أو البكائين على أمجاد عابرة، أو من مستدعيي التاريخ لينقذهم، لأن فكر العمل والانجاز يعيش بالعقلية الإيجابية، والعقلية الإيجابية تظهر بالمنعطفات الصعبة، في المآسي وفي الضائقة والأزمات فتتغلب عليها بآليات حل الأزمات وبالاستفادة من التجارب وبدفع العربة إلى الأمام.

إن قاعدة البكاء واللطم والسلبية ليست من شيم الرجال أو النساء في

حركتنا، لأن مشعل الانتصار يسير في فضاء عقلية الإنجاز والتطور والتدفق الحر إلى الأمام.

إن الايجابية والإبداع والالتزام والارتباط مع الناس والتواصل التنظيمي مع فكر التحررالوطني كلها من مقومات المؤسسة التي تشكل فيها الإدارة الحكيمة فرضا لازما وليس سنة، ومن هنا فان القائد الحقيقي هو الذي يشيع المناخ الايجابي الحافز تحت إدارته أو قيادته، وهو القادر على دفع للآخرين للتحرق شوقا لتنفيذ واجباته، وحيث أن البداية دوما من عندي (عندك) عند أي عضو أو كادر فإن المسؤولية تكبر بكبر الموقع حيث لا يجوز أن نلقي اللوم على الأعضاء أو الكوادر في ظل تقاعس أو خذلان أو ضعف القائد.

إن عقلية المؤسسة وإيجابية التفكير والمناخ الحافز هما من أركان البعث التنظيمي، والنهضوية في حركة فتح حيث لا يصح أبدا الاستناد إلى حوائط غير ثابتة، وإنما إلى الفريق الذي يسند بعضه بعضا من خلال توزيع الأدوار والمهمات والواجبات.

إن حركة فتح هي حركة المستقبل وهي ضمانة الثورة والمجتمع وهي حركة الجهود المجدولة باتجاه فلسطين وهي حركة تكريس الأسس التنظيمية والإدارية والسياسية في سياق أركان معادلة التقدم الثلاثة حيث العمل مرتكز وحيث العمل عمود الخيمة وسارية السفينة، وهو العمل المرتبط بالإيمان بالله والفكرة والقدرة على تحقيق الأهداف ثانيا، وليكون التناغم والتناسق العمود الثالث أو الركن الثالث لتنظيم مقدام، لن يهزم، قادر على التطوير والإبداع والتغيير ما هو في حقيقته قدرة على الحياة.

حركة فتح ودور يتجاوز الجغرافيا[18]

تقف حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح اليوم أمام منعطف أو مفترق طرق إجباري فإما تستطيع أن تتقدم وإما يكون مآلها التراجع في مسار من التخبط والتضارب والتدهور.

إن القادم بمتغيراته التي صعدت إلى السطح في أواخر العام 2010 قد برز منه مجموعة من التفاعلات التي ستقلب المعادلات وتعيد رسم المنطقة جغرافيا وسياسيا، وعليه فإن الأدوار والمواقع لكل «مادة تغيير» سواء كانت دول أو منظمات أو أشخاص ستكون مرتبطة ومتساوقة مع مجمل المتغيرات.

أن المنطقة العربية التي تدخل في العام 2012 مرحلة (التشكل الجديد) لن تعدم عوامل الفوضى والقلاقل والأزمات حيث أن كل جديد يحتاج لفترة من الزمن ليستطيع أن يرسم مرحلته وشكل النظام المنبثق عنها، فكيف إذا كان هذا (التشكل) يتقاطع في عملية رسمه أو اعادة رسمه عوامل دولية وإقليمية و(انبعاثات) داخلية جديدة.

إن المنطقة العربية مرت بثلاثة مراحل منذ القرن العشرين كان أولها الصراع مع الاستعمار في ظل تنافس شديد بين التيارات الفكرية الكبرى

18- من المقالات المتعلقة بالحركة في الانطلاقة للعام 2012.

حينها على تحقيق الاستقلال والحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية، وإذ استطاعت الدول العربية أن تحقق استقلالها في المرحلة الأولى، فإنها في المرحلة الثانية انشغلت كليا في بناء دولها لتدخل في مرحلة الصراع الداخلي بين مختلف التيارات التي ساهمت بشكل أو بآخر بالاستقلال عبر ثورات أو مفاوضات أو اقتباسات غربية أو سلفية.

لقد كانت الدعوات الايديولوجية وأحزابها عامة في معظم الدول العربية ولسبب ارتباطها بالاستقلال واعتقاد جماهيريتها وحصرية انبعاثاتها، بمعنى أن من يؤمن بها يمثل الشعب ومن لا يؤمن بها فهو الآخر المرفوض تحت أي صيغة دينية أو قومية أو اشتراكية.

وهذا السياق الايديولوجي في غالب الدول العربية جعل من الأنظمة تتجه لممارسات استبدادية أو أحادية أو قسرية لا ديمقراطية أو لتلك الأفعال التي تشوش الناس بصيحات الحرب أو الحفاظ على الأمن أو الاستقلال أو وحدة الوطن أو الدين في مقابل استمرار عذابات الناس وظلمها.

في هذه المرحلة التي طالت حتى دخلنا القرن 21 التفت الناس إلى أن الشعارات الكبيرة كلها لم تحقق لهم شيئا مما قالته- أو على الأقل ذابت شعاراتها بالحرية والعدالة والكرامة والوحدة والاشتراكية لتخص ولا تعم- في ظل انفتاح عالمي واتصالات فاقت التصور ونظرات فكرية وثقافية وجماهيرية واسعة تعدت البحار والمحيطات

إذ أصبحت في المرحلة الثالثة من الزمن العربي صرخة الشارع المسالم هي صاحبة القرار في التغيير ما بدأ مع معجزة الثورة التونسية عام 2011 وما لحقها بالثورة المصرية وغيرها.

في التمهيد لهذه المرحلة ومنذ الثمانينات تحديدا كان للفعل النضالي

الكفاحي المتواصل الذي شقت طريقه حركة فتح والثورة الفلسطينية منذ العام 1965 الدور الأكبر في اعادة بناء الوعي العربي وتعظيم احساسه بكرامته وانجذابه للتحررالذاتي والديمقراطية، ورغبته في ردع الظالم والنهد نحو العدالة لا سيما وما قامت به حركة فتح وباقي التنظيمات من استقبال لآلاف المنضمين للصفوف من كافة أبناء الدول العربية الذين تشربوا الثورة فعافوا الظلم في بلادهم.

وأيضا فقا لما انعكس في الجماهير العربية من تأثيرات الصمود أسطوري لأبطال الفتح والثورة الفلسطينية في مختلف المعارك ومنها في معركة بيروت 1982 ووفقا لما تعلمته من حروب (م. ت. ف) التي فرضت عليها لتكريس استقلالية قرارها، ثم تعلما من تجربة الانتفاضات الفلسطينية الثلاث كما قال الرئيس التونسي المنصف المرزوقي مؤخرا.

يحق للثورة الفلسطينية أن تفخر بأنها كانت ومازالت مشعل النضال في العالم العربي والعالم أجمع، كما فخر بها التوانسة والمصريين مما قالوه مؤخرا، ويحق لها أن ترسم شارة النصر التي ظلت ملازمة للختيار وكوفيته حتى لقي ربه راضيا مرضيا باذن الله

إن متغيرات الوعي العربي والثقافة الشعبية في المرحلة الثالثة الحالية اتخذت منحيين الأول هو تركيز فكرة رفض الاستبداد والأداء السلطوي من جهة حركت الجماهير للثورة، وطلبا للعدالة الاجتماعية، والمنحى الثاني تمثل بخلو الساحة للتنظيمات العريقة التي كان من المتوقع حلولها مكان الأحزاب السلطوية التي ذابت، نظرا لتجربتها الطويلة في المعارضة وصفوف الجماهير، وحيث لم تجد هذه الجماهير من تركن اليه الا من تعتقد امكانية أن تضعه أمام شعاراته تلك ذات الطابع الشعبي -الإسلامي فيحقق لها ما لم يتحقق في العهود السابقة.

على الرغم من أن الحراك الشعبي بدأ شبابيا وليبراليا ديمقراطيا مستندا على عمق الشعور بالأذى والظلم والرغبة في التغيير في ظل إرادة التحدي، فإن الحصاد لم يأتي في مظنّة أحلام الشباب وإنما تلقفته الأحزاب الإيديولوجية العريقة وخاصة (الإخوان المسلمين) لعدة أسباب منها امتلاك القدرة التنظيمية التشابكية والتواصل مع الناس واستغلال حاجاتها من جهة، وتوفر المقدرات المالية للصرف عليها من جهة ثانية ونضيف ثالثا الخطاب الإسلامي الديني الشعبوي الذي جيّر قطعا لمصلحة الحزب وليس العكس، والذي استعل الدين لاستقطاب الناس للحزب وأهدافه التي تصور في وعي الناس على أنها متطابقة مع أهداف الإسلام، فلا يكون هناك أي فواصل بينها، مما أدى لربط نفسي تلقائي في المخيال الشعبي بين الدين والحزب وشخوصه ما ستنكره الأيام القادمة فيعود كل ما هو بشري إلى طبيعته حتما.

لا شك أن المنطقة العربية أو ما باتت تعرف دوليا (بمنطقة الشرق الأوسط) تعاني من احتقانات كما تعاني من ضغوط وتعاني من صراعات وأزمات، وما الأحزاب الصاعدة حديثا والمتمثلة بالإخوان المسلمين وأحزاب أخرى في سياق ما سبق إلا ستواجه حتما بكل هذه المتغيرات الداهمة وامامها الفرصة لإثبات نفسها للجماهير أو العكس حيث تنزل الشعارات لتسعى مع الناس، خاصة وخيار الديمقراطية والتعددية والرقابة الشعبية أصبح أكثر فعالية عند الناس التي باتت تأبى حياة القطيع وترفع عقيرتها بالصراخ متى قرصت لتحقق مطالبها وهي بالأساس تأتي من السعي للقمة العيش والحرية والحياة الكريمة أولا وفي ذلك حياة أو مقتل أي حزب.

إن كانت الانتخابات في عدد من الدول العربية قد قدمت السلطة على طبق من ذهب للتنظيمات الأيديولوجية فإن الناس لن ترحم ولن تدع مجالا لأي حزب أن يتفلت من التزاماته التي يجب أن تحقق مطالب

وحاجات الناس أولا، وفي ظل الصراعات والاحتقانات والأزمات التي تسود المنطقة والتي تسعى لها الدول الكبرى وخاصة أمريكا عبر إعادة ترتيب المنطقة على أساس مذهبي طائفي من جهة وعبر إضعاف الأزمة العربية وتهميش القضية الفلسطينية، فإن الأحزاب الصاعدة ستواجه بالعواصف إن تساوقت مع (التفتيت) الطائفي المذهبي، أو مع معاول الهدم في جسد الأمة العربية بحيث يقتطع جزء من هنا وجزء من هناك، وهي تتفرج، أو حين تهمش في برامجها (كما هو حاصل حتى اليوم) دعم وإبراز وتقوية القضية الفلسطينية دون انجازات أيديولوجية كما كان شأن الأنظمة العربية السابقة. كما ستواجه الأحزاب الصاعدة أيضا بالرفض الشعبي إذا ما تعمقت الأزمة الاقتصادية في أي من بلدان التغيير.

إن الصراعات الإقليمية إلى جانب تلك العالمية قد تأخذ بالأمة العربية إلى إبعاد لا يعلم الا الله مداها فثلاثي السيطرة (إسرائيل، إيران، تركيا) لا تحكمه القيم أو المبادئ أو رفعة الأمة العربية أو وحدة شعوبها أو تقوية اقتصادها أو تحريرها لفلسطين وإنما تهمها وتحكمها المصالح وهو سمة السياسة ومفاعيلها.

إن (إسرائيل) في طل ما بات يعرف (الربيع العربي) في حالة هيجان وانفلات ما يؤهلها لافتعال أزمات كبيرة سواء على الصعيد الفلسطيني أو الإقليمي، وما تغوّل المستوطنين والمتدينين اليهود، وسد الآذان في حكومة نتنياهو وتهربها من استحقاقات السلام الا مظاهر أولية لأزمة أو أزمات تسعى هذه الحكومة لافتعالها على الصعيد الفلسطيني رغبة في تعميق شرخ الانقلاب والانقسام الفلسطيني وربما منعها لأي انتخابات فلسطينية قد تؤدي لوحدة الجسد.

وفي المقابل فإن الهاجس الإسرائيلي الأكبر المتمثل بالقنبلة النووية الإيرانية قد يؤسس لضربات استباقية عسكرية محدودة أو واسعة، أو عبر

تعظيم العقوبات الاقتصادية كما أشار عدد من الساسة الإسرائيليين، عدا عن الدور الذي تلعبه القيادة الإسرائيلية في هدم مقدرات الأمة العربية ومحاولة اختراقها سياسيا واقتصاديا بل وتهديدها أمنيا وعسكريا وكما يحصل في السودان.

إن لكل من إيران وتركيا مصالحها السياسة والاقتصادية التي لا يمكن أن تضحي بها من أجل عيون الأمة، فكما حل اردوغان مع مائتين من رجال الأعمال في القاهرة وغيرها في سعي لاكتساب أسواق جديدة وموطيء قدم ثابتة فإن نفس الهدف هو ما تسعى له مع الدول العربية الأخرى حيث يطغى مسعى تحقيق النفوذ السياسي والاقتصادي على أحلام المتظاهرين المصريين الذين خرجوا منبهرين لاستقبال رئيس الوزراء التركي ظانين أنه جاءهم معتمرا عمامة الخلافة فخيب أردوغان فيهم الرجاء مؤكدا على مصالح الدولة التركية وديمقراطيتها وعلمانيتها.

إن الدور الإيراني في المنطقة يراد له أمريكيا أن يكون (فزّاعة) دول الخليج العربي، فكما لا ينكر أحد أن التيار الفارسي في الحكم الإيراني يضع المذهب على جناح السياسة ويخترق جسد الأمة، فإن في إيران تيارات متنورة لا ترى إلا الضرر والخراب من التمدد الإيراني السياسي المذهبي القسري في الجوار، ومع ذلك وفي سياق تضخيم الخطر النووي الإيراني ومحاولات الهيمنة الاقليمية والتمذهب فإن عملية الاستدراج الدولي التي تتقاطع معها القيادة الإيرانية الحالية قد تلقى بالمنطقة في غياهب المجهول وتجعل من العرب يتخذون إيران وليس (إسرائيل) العدو رقم واحد.

في خضم هذه المتغيرات الإقليمية يبرز الحدث الفلسطيني متأخرا، إذ أن الجمود يلف الوضع فحيث تتقدم أولويات إعادة ترتيب المنطقة تتوقف الإحداثيات عن استيعاب التخطيط في القضية الفلسطينية، التي ألقت الولايات المتحدة الأمريكية مرساها في بحر الإسرائيليين فعين على

أمن (إسرائيل) وعين على النفط خاصة في ظل الانتخابات الأمريكية.

إن جمود الوضع السياسي الفلسطيني ينذر ببدائل ما بين الحراك السياسي على صعيد وفي اتجاهات عدة، كما ينذر بتململ شعبي فلسطيني قد يجد له متسعا ليبدع آليات مقاومة جديدة تعبر عن تواصل إحباطه وألمه من ظلم العدوان والاحتلال المتواصل فينفجر كالبركان.

إن الحراك السياسي الذي قاده الرئيس أبو مازن وحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح والقيادة الفلسطينية أخذ بالاعتبار متغيرات المنطقة وإفشال الإسرائيليين المستمر لأي تقدم سياسي وانحسار الدور الأمريكي الفعال فانطلق على قواعد راسخة من:

1. التمسك بالثوابت الفلسطينية المتمثلة بالدولة الفلسطينية ذات السيادة وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين.
2. إن لا مفاوضات دون تجميد الاستيطان والاعتراف بالحدود.
3. إن البيت العربي هو الحاضنة الحقيقية لأي حراك فلسطيني.
4. الاستمرار في التحركات الأممية (تقديم طلب عضوية دولة فلسطين في مجلس الأمن، وانتصار بالحصول على العضوية في اليونسكو، والقرارات الجديدة المؤيدة لفلسطين في الجمعية العامة...).
5. فتح قنوات العلاقات مع الأحزاب الجديدة على الحكم في الدول العربية وحثها على تمتين مواقفها من القضية الفلسطينية ودعمها، دون انحياز لطرف ضد آخر كما كان شأن الأنظمة السابقة؟.
6. لا بديل عن الوحدة الوطنية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية ذات الطابع الجبهوي الائتلافي التي يجب إعادة تفعيلها وفق إستراتيجية وخطة وبرامج جديدة.

7. المصالحة وإنهاء الانقلاب وما نتج عنه من دماء وأطر متناحرة وانقسام تظل أولوية وطنية ذات قيمة عالية في فكر وتطبيق حركة فتح الوحدوي، إذ لا بد من إنهاء انفصال شطري الوطن وعلى قواعد قانونية ووفق ما تم الاتفاق عليه.

إن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى لرسم خطة عمل مستمدة من إستراتيجيتها التي قررتها في المؤتمر السادس للحركة تأخذ بالاعتبار (الانقلاب) الحاصل في المنطقة من حيث الأدوار والتوازنات ومن حيث الأولويات الجديدة، ومدعوة لتكريس النهج الوطني النضالي المتمثل لوجه ورؤية حركة فتح المرتبطة بالدائرة الحضارية العربية الإسلامية.

إن حركتنا أمام مفترق طرق سياسي وتنظيمي ومجتمعي وإعلامي ومن الممكن القول أن ذلك في مختلف المجالات فهي أمام تحديات وطنية داخلية تتمثل بالتالي:

1. الإعداد الجيد للانتخابات الرئاسية والتشريعية في ظل عدم رغبة الرئيس أبو مازن على الاستمرار والتي ما زلنا نتمنى أن نستطيع تغييرها.

2. إعادة تجديد الجسد الفتحوي من خلال انتخابات في الوطن نظامية تستطيع أن تفرز قيادات فاعلة وقادرة على البناء.

3. التصدي لمفاسد الحكومة الفلسطينية وما قامت به من إضرار بالجماهير عبر الضرائب وارتفاع الأسعار، وما تقوم به ضد الموظفين من مثل قانون التقاعد المبكر المجحف إضافة للفساد الذي ما زال واقعا وإن في دوائر محدودة في الوزارات.

4. حل مشكلة قطاع غزة المستعصية والتي فرضها الآمر الواقع عبر

الانقلاب الذي أثقل الضرائب والاتاوات على كاهل المواطن، واستنزفه عبر الإرهاب الأمني وسيطرة الفكر الواحد وقمع الحريات.

5. تعميق الفكر الفتحوي النضالي والوطني ذو العمق المرتبط حتما بالحضارة العربية الإسلامية، ما هو شأن كل الفلسطينيين، فلا يتكسب هذا الحزب أو ذاك على ظهر الإسلام بادعاء امتلاكه الحصري له أو امتلاكه لمفاتيح الجنة في محاولة لجر المجتمع لتصادم ديني على حساب الفعل النضالي الذي هو كان وما زال أولوية الثورة والوطن.

ان حركة فتح تعي جيدا حجم الانقلاب الحاصل في المنطقة كما تفهم المتغيرات وواقع (التشكل الجديد) وحجم تأثيراته وانبعاثاته وزهو اللحظة التي قد تعمي الأبصار عن الرؤية العميقة، فمازلنا في مرحلة يجب أن نكرس فيها كل طاقتنا وقدراتنا لإنهاء الاحتلال الصهيوني في أولوية يجب ألا يسبقها شيء آخر، كما يجب ألا تضعفنا أو تردنا الشعارات الكبيرة والمنفصلة عن الواقع التي قد ترفع كغطاء قد تؤدي لشق الشعب الفلسطيني عبر تصنيفه إلى «فسطاطين» أي مسلم وكافر أو وطني وخائن أو شريف وغير شريف سعيا وراء الكسب الحزبي الضيق وخدمة لأهداف الاحتلال وتدميرا لمقدرات الشعب والوطن.

ان حركة فتح بقيادتها وكل أعضائها في كل مكان مدعوة هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى للتآلف والتعاون والتفكير الايجابي والسعي الموحد والعمل الجاد لتكون كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد فتضيع الفرصة بذلك على أدعياء الفرقة والانقسام، وتضع في أولوياتها كأطر وأعضاء أهمية السعي الحثيث للعمل والعطاء وخدمة الجماهير في مطالبها اليومية المحقة وفي توجيهها نحو غاية النضال الكبرى غاية حركة فتح والثورة الفلسطينية فلا تتوه البوصلة التي هي أبدا باتجاه فلسطين

والقدس، ولا تطغى الفئوية والانتهازية والشخصانية على مستقبل هو حتما أفضل لفلسطين ولشعبنا وحركتنا العملاقة بشعبها وأعضائها وفكرها المستنير.

الفكر الصاعد والتنظيم المنهك، ومياه التجدد في كلام ما بعد الانطلاقة[19]

راقب السلطان المملوكي المنهك بالفكرانية (الايديولوجية) والنزاعات الداخلية قنصوه الغوري بفزع جيشه ينهار من حوله.

كان غبار المعركة كثيفا لدرجة جعلت الجيشين لا يكاد أحدهما يرى الآخر. لجأ «قنصوه» إلى مستشاريه الدينيين (كان ممثلي المذاهب الأربعة والخليفة العباسي الصوري يحفّون به) وحثهم على الدعاء لتحقيق نصر لم يعد يؤمن أن جنده (المنتكس) يستطيعون تحقيقه.

وحين أدرك أحد قادة المماليك أن الموقف ميئوس منه، أنزل راية السلطان وطواها وتوجه اليه قائلا: يا مولانا السلطان، إن عسكر ابن عثمان «وهي الدولة الصاعدة حينها» قد أدركنا، فأنجُ بنفسك واهرب إلى حلب.

وحين أدرك السلطان المنهك صدق كلمات الضابط أصابته سكتة دماغية جعلته شبه مشلول، وعندما حاول أن يمتطي صهوة جواده سقط ميتا في الحال.

19- في إطار الكثير مما قيل في جلسات المجلس الثوري لحركة فتح، وعدد من الندوات والمحاضرات التي ألقيناها للعام 2013

تركت الحاشية المشغولة بالفرار جثة الملك - وكان ذلك في معركة مرج دابق الشهيرة مع السلطان الصاعد بدولته العثماني سليم الاول عام 1516 م– فلم يعثر لها على أثر قط، وكأن الأرض انشقت وبلعتها

الدول المنهكة والصاعدة

وماذا يهمنا نحن بعد أكثر من 500 عام تقريبا من هذه الواقعة أو الوقفة التاريخية؟ لقد وقف أحمد داوود أوغلو(20) وزير خارجية تركيا في 29/ 11/ 2012 بشكل مغاير من وقفة الغوري، إلى جانب الرئيس أبو مازن في قاعة الأمم المتحدة في نيويورك ليتلقى التهاني بميلاد دولة فلسطين ملقيا من على كتفيه الإرث الفكراني (الايديولوجي) وصانعا دولة إقليمية عملاقة بسياستها العلمانية المعتدلة، وباقتصادها الثري فضرب مثلا، وأرسل رسائل للعالم أن دولة فلسطين الفتية والصاعدة تلتقي مع دولة تركيا الجديدة غير المنهكة، وترسم خطا فكريا وسياسيا واقتصاديا صاعدا لذلك وضع يده بيد حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح وأبو مازن، ليسقط الوقفة الثالثة أو الصورة الثالثة في عصرنا الحديث حيث تحالفت الإمبراطورية المنهكة اقتصاديا أمريكا مع الحزب المنهك أيديولوجيا (الإخوان المسلمين) في القاهرة لتعلن وزيرة الخارجية الامريكية ووزير الخارجية المصري وقف اطلاق النار بين حماس و(إسرائيل) أو بين الامبريالية العالمية والإسلامويين فيتوقف الصعود ويبدأ الانهاك.

إن الانهاك السياسي أو الفكراني (=الايديولوجي) أو التنظيمي قد يصيب أشجع الرجال (أو النساء) أو التنظيمات أو الجيوش ويصيب الدول وله أسباب عدة، ولكن الصمود في محطات الأزمات، والصعود في مواضع الألم والقفز عن الحواجز وتخطي المشكلات، وبث روح الفخر والحماسة

20- أصبح رئيسا للوزراء لاحقا لفترة معينة في عهد رئاسة رجب طيب أردوغان، وهو من صناع السياسة التركية الحديثة.

والانجاز والأمل المقرون بالعمل الدائب يحوّل مثل هذا الإنهاك إن توفرت الإرادة إلى منصة انتقال إلى المستقبل، وان استسلم التنظيم/ الحزب أو صاحب الفكرة أو الدولة لمكونات سلبية الواقع فان العجز نصيبه، ومن إنهاك إلى انهيار إلى موات.

سراج التجدد والفكرانية (= الايديولوجية)

دوما ما تكون انطلاقة الثورة الفلسطينية مناسبة عظيمة للمراجعة، خاصة ومليونية فتح في غزة قد أزعجت الأعـداء والحاقدين معا إلى الدرجة التي أطاحت فيها بالتوازن للكثيرين، وما تتضمنه هذه المراجعة من استعراض وإشارات تشتمل على مواضع التقدم أو الاضاءات، وعلى مواضيع الخلل أو الزلل أو بقع الضوء.

لقد شكلت انطلاقة الثورة الفلسطينية إضاءة بحجم نجم في سماء معتمة باليأس وملبّدة بالقهر والانتكاس والهزائم حيث كانت الأمة العربية قد نفضت عن كتفيها للتوّ عصرين من عصور الظلمات كانت فيها القناديل تنطفئ ولا تجد فتيلا للاستعمال، أو تفتقد فيها الزيت.

عندما أطل العام 1948 على الأمة العربية كانت شعوب الأمة تحبو نحو الدولة الحديثة بعد أن تخلصت من إرث الدولة التركية الظالم والفاسد والاستبدادي لتقع بين براثن الاستعمار الجائر والاحتلالي والذي يسعى لاستغلال ثروات الأمة وشعوبها عبر الاقتسام للنفوذ والاحتلال بين فرنسا وبريطانيا وايطاليا واسبانيا.

فلم تكن الأمة حينها قد رسمت ملامح الفكرة أو الطريق أو المسار المحدّد لا سيما وأن دولها المتحررة من الاستعمار حديثا كانت قليلة، فكانت دول المغرب العربي والخليج العربي محتلة ودول المشرق العربي وبالأخص سوريا ومصر تعاني وتناضل للتحرر من ذيول الاستعمار وتخوض

صراعات ذات بعاد ثلاثة: أولها صراع تحرري من الاحتلالات الاستعمارية.

وثانيها صراع مع التاريخ في محاولة للتخلص من إرث الجمود العقلاني وانطفاء سراج التجدد الذي كان للحكم التركي الفضل في ذلك خاصة في مرحلته الأخيرة والإمبراطورية العجوز تحتضر.

وثالثها: صراع داخلي بين تيارات الأمة التي ظهرت تتصارع على المستقبل ما بين الجامعة العربية أو الجامعة الإسلامية، ثم لمّا أصبحت الأحزاب واقعا قائما ظهرت التيارات الفكرانية (الايديولوجية) التي توزعت عليها جماهير الأمة العربية.

نكبة العرب في نكبة 1948

ظل الحنين للرعاية «العليّة-من العلو» العثمانية عند فئة من العرب والمسلمين الذين لم يروا في الامبراطورية العثمانية ذات الإرث المثقل بالفساد والاستبداد والقمع إلا فضيلة «الخلافة» عن كل المسلمين المشبعة بأوهام العدل المنسوجة من خيط الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين، وسعت تيارات أخرى لبناء «خلافة» جديدة عربية الشكل أو إسلامية (منذ بداية القرن العشرين تحديدا) لم يكتب لها نجاح حيث كان منهج الجرّاح الاستعماري قد جعل من الأمة الصاعدة من انهاكين فُتاتا وأقساما، فلم يعد ممكنا معها جمع المجزأ أو المقسم بسهولة فكان لا بد من بروز أفكار ملهمة ونهضوية سياسية وعملية واجتماعية وثقافية ارتبطت بمشاريع كان من نتيجتها في عالمنا اليوم ظهور «الدولة الوطنية».

كان العام 1948 ليس عاما لنكبة الفلسطيني فقط، وإنما نكبة للعرب لأنه وضعهم أمام أنفسهم وحقيقة أحلامهم وقدراتهم، يتألمون وينظرون ويفكّرون في (الأولويات) و(الأفكار)، وربما فكروا في (المصالح) بعد أن أدركوا أن القيم والمباديء والأخلاق لا تحكم عالم السياسة، رغم أن الأفكار

الكبرى تضع لها أهدافا فوق محلية، قومية أو عالمية.

فانخرطت الأمة تخوض صراعاتها الثلاثة (الصراع التحرري من الاستعمار، والصراع التحرري من الأفكار الجامدة المثبطة، وصراع على شكل بناء المستقبل)، وربما تأخروا بالاكتشاف زمنا أطول أنهم يخسرون وحدتهم الجغرافية والاقتصادية والسياسية والأمنية والثقافية.

سنابك الخيل والانعطافة

لقد خسر العرب بخسارة فلسطين القلب النابض، والجسر الجامع بين الجناحين، ونقطة الانعطاف من ماضي داسته سنابك خيل سلاطين العثمانيين، ثم دبابات الاستعمار إلى مستقبل قادر أن ينفض عن ذاته التراب، ورغم أن سياسة التتريك العثمانية قد ألهبت المشاعر القومية العربية وكوامن الرفض للطغيان والاستبداد والتخلف النسبي إلا ان دعوات تحرر العرب وبناء مملكتهم لم تلقى قبولا استعماريا مع انهيار الامبراطورية العثمانية عام 1918 إذ قام العالم الجديد حينها على القواعد الأوروبية لا على قواعد الرئيس الامريكي (وودرو ويلسون) الذي طرح ضرورة وحق الاوطان بتقرير مصيرها وفق نقاطه ال14 الشهيرة.

أدى الاستعمار الغربي إلى صدام بين الدول العربية الناشئة (العراق/ سوريا/ مصر) والفكرانيات (=الايديولوجيات) الناشئة ذات العمق القومي. ولما لم تستطع الاستجابة للتحديات (القومية) وفي ظل ضعف تلك التي ارتبطت بمفهوم الجامعة الإسلامية، وعلى رأسها الاخوان المسلمين منذ العام 1928 فلقد شكلت الدول الوطنية النموذج الذي خيب آمال العرب حينها أولئك الذين كانوا يسعون لمملكة أو دولة أو وحدة عربية من المحيط إلى الخليج.

كان العام 1948 بابا آخر هبت من خلاله رياح قوية اطفأت قنديلا

من قناديل (ظاهر العمر الزيداني – ملك الجليل) إذ سقطت فلسطين بيد الحركة الصهيونية وأصبح العرب ما بين مشروع تحرير جديد ومشروع الوحدة العربية والقومية وأولويات أي منها في سياق الاستقلالات لهذه الدول (من الاربعينيات إلى السبعينيات من القرن العشرين).

نور الفكرانيات والكرسي

تنازعت الأحزاب اللامعة النجم حينها (القوميين والشيوعيين والبعثيين) جماهير الأمة وطرحت كما طرح الاخوان المسلمين المنطفئين أفكارا شمولية جامعة، وأفكاراً وحدوية تسلّطية وأفكار هيمنة اقتصادية. وأصبح الصراع بين الفكرانيات (الايديولوجيات) الثلاثة (القومية الشوفينية) والشيوعية والاخوانية صراع حياة أو موت، صراع وجود واقصاء، فكل لا يرى النور أو الجنة أو التقدمية أو المستقبل وإلا وهو الوحيد الممسك بالشمعة المضيئة والجالس على كرسي الحكم والمسيطر على رقاب الناس.

وها نحن بعد 60 عاما سقطت فيه الشيوعية وتهاوت فيها القومية الشوفينية، وكانت أثناءها الفكرة الاخوانية تعاني الموت السريري، ها نحن نعود لنخوض صراع أولوية بناء الدولة والوطن أم تكريس المفهوم الواحد والفكرة الواحدة والرأي الواحد وما يتلبّسها من عمليات اقصاء وطرد للآخر.

رغم التغيير الهائل الذي حصل في العالم الذي انتقل في مفهومه للديمقراطية من المركزية الديمقراطية (المرتبطة بالاشتراكية العلمية) إلى (الديمقراطية) التي تحترم ليس رأي الاغلبية فقط وإنما حاجات الأقلية أيضا، وانتقل بمفهومه (للوحدة) من المفهوم القسري الجبري الاستبدادي إلى المفهوم التشاركي (الوحدة الاوروبية)، وانتقل من المفهوم الفكراني (= الايديولوجي) الذي يقدس الحزب والشخص والنظام الداخلي وأفكار

الحزب المقدسة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها أو خلفها إلى الفكر التحريري (=الليبرالي) والفكر الواقعي (=البراغماتي) والفكر المدني الذي يقر بالتعددية ويتفهم الاجتهادات في سياق إعلاء شأن الشعب واهتماماته والجماهير ومقتضيات العصر، الا أننا وبعد «الربيع العربي» نعود إلى المربع الأول.

إطلالة واستفادة وأثوابنا

كانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح إطلالة عن كثب على المتغيرات، فلم نتقطع عن سياق الحضارة العربية الإسلامية (عربية اللسان وإسلامية الحضارة المسلمة والمسيحية، وثقافة الانفتاح والتجدد)، واستفادت من إرثها الثقافي كما استفادت من الأهداف والهياكل وأساليب العمل التي استقتها من تجارب الشعوب الثورية في كل من كوبا وكوريا وروسيا والصين دون أن تتبنى فكرها الشيوعي وإن ضمنت في جنباتها من اليساريين أولئك المستقلين والمبدعين، كما استفادت من الأفكار المنفتحة والتعددية من الدول الغربية دون أن تتبنى ايقاع الحياة الرأسمالية التي تفتقد الاتصال مع الجماهير الكادحة وفئات الشعب الفقيرة.

استفادت حركة فتح من الثورة المصرية عام 1952 والثورة الجزائرية عام 1956 والثورات العربية الأخرى في عصر انتهاء الاستعمار (تونس كمثال آخر) فصنعت نسيجا فكريا متماسكا ربط ما بين الثورية بصيغة عملية، حيث صحة الفكرة النضالية وتعددية الوسيلة.

لقد جعلت حركة فتح من التوحد نحو الهدف الاكبر (تحرير فلسطين) هو الضابط لإيقاع الأفكار المتنوعة، وجعلت من (الأولوية) و(البوصلة) لا تشير إلا لفلسطين لا لموسكو ولا لواشنطن، ولا الي فكرانية (=أيديولوجية) ما، ومنها كان (التركيز) و(التكرس) للفكرة الجامعة وهي فكرة تحرير

فلسطين أن أصبحت بعيدا عن كل (الثانويات) إطارا جامعا حتى لأصحاب الفكرانيات (= الايديولوجيات) المتصارعة.

لقد قبل أصحاب الفكرانيات (الايديولوجيات) وان بعد زمن طويل، قبلوا أن يلبسوا ثوب حركة فتح وهو ثوب (الوطنية والثورية والاستقلالية والكيانية الجامعة والوحدة والتشاركية والوسطية) ما هو في حقيقته فكر حركة فتح الجامع الذي استطاع أن يصهر كثير من التناقضات الثانوية في الهدف الأكبر، والذي استطاع والبوصلة ذات اتجاه محدد أن يجعل من مكونات الشعب الفلسطيني كله تسير وراءها نشطة ومحبة وواثقة غير جافلة أوخائفة أو متوترة.

الخوف والجفلة الفلسطينية

إن الخوف والجفلة والتوتر، والقبول المغلف بالرفض الداخلي عند الشعب الفلسطيني (والشعوب العربية) كان يأتي من محاولات إلباس هذا الشعب (أو الامة) أفكارا أو مسلكيات لا تتفق مع حضارته العربية الإسلامية، إذ كانت تأتي من المساومات الفكرية لمستوردي الأفكار من خارج نطاق حضارتنا، وأيضا لمدّعي الدين الذين يقدسّون الفكر الإنساني على إدّعاء أنه من الخالق ماداموا هم ممثليه حصريا، ومتناسين سماحة وقدرة الدين الإسلامي الحنيف على التجدد في مصالح الناس ما أفرز في الفكر الديني مدارس ومجتهدين وآراء، لم تفرز أحزابا أو فرق أو طوائف في التاريخ العربي الإسلامي إلا كان مآلها الانهيار (800 فرقة عبر التاريخ الإسلامي انتهت)، أو التقوقع والانفضاض عنها من عامة الجماهير، أوتحولها لطوائف أو فرق (أو أحزاب حديثا) خاصة بمعتنقي فكر و(عقيدة) هذه الأحزاب.

(لماذا خرجت غزة عن بكرة أبيها في 4/ 1/ 2013 لتحتفل بانطلاقة

الثورة الفلسطينية 48؟ ألم يكن في ذلك سيل من الرسائل ضد الاستبداد وضد الخوف وضد الكبت وضد مدعي القداسة ووو...)

إن الخوف والجفلة والتوتر كانت تأتي من تبادل أنظمة الاستبداد حكمها علينا فمن سيف الضرائب الباهظة المسلطة على رقاب الفلسطينيين والعرب في ظل جور العثمانيين الذي تصدى له ملك الجليل الثائر والمناضل الفلسطيني ظاهر العمر الزيداني في القرن 18 إلى انتفاضات وهبّات التحرير الوطني من الاستعمار الانجليزي الذي ضرب بلادنا والعباد قتلا وارهابا، وصولا للخوف من أفكار خائبة متخلفة تضع مصالح الناس وحاجاتهم وسعادتهم في سلة الزبالة، أو في الصفحة الخلفية من قائمة الأولويات.

(اجتاحت القوات العثمانية مدينة يافا في مايو 1775 وأعملت السيف في أهلها، واجتاح الذعر المدن الأخرى...) ولم يكن ذلك غريبا في عرف السلاطين المستبدين عامة إذ (اجتاح الجيش العثماني الظافر مدينة القاهرة – بعد هزيمته للمماليك – عام 1517 وظل يعمل فيها السلب ثلاثة أيام، ترك السكان تحت رحمة الجيش الغازي وهم لا حول لهم ولا قوة.. كما بقول المؤرخ المسلم ابن إياس).

ومما لا جدال فيه ما قامت به قوات الاستعمار الفرنسي والانجليزي (والايطالي والاسباني) من مذابح في فلسطين والدول العربية ما تحفل فيه كتب التاريخ.

انتفض العرب والمسلمين على الظلم والاستبداد حتى ذاك المتبرنس بدِثار الدين، والدين من الاستبداد براء، ثم ضد الاستعمار، وكان ذلك ما دعى الشيخ عبد الرحمان الكواكبي ليكتب كتابه الثمين في (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) لتلحق به الدولة العثمانية في مصر وتقضي عليه، وليشكل الشيخ رفاعة الطهطاوي قبله حالة نهوض عارمة لحقها

رفض أحمد عرابي في مصر لمنطق الاستبداد الشركسي وتحكم القناصل الأجانب في مصر.

فلا اختلاف حول رفض الاستبداد والاستعباد من أي سلطة أو نظام أو شخص جاء، لذلك كان مفهوم التحرر الوطني من الاستعمار والاحتلال، ثم الثورات العربية الحالية بعد العام 2011 في أحد أهم تجلياتها طلب الكرامة والعدالة والعيش المشترك ورفض الاستبداد.

(الله يرحم أبوك السبع!) والفلسطيني

قص علينا الرئيس أبو مازن في 28/ 12/ 2012 في دورة المجلس الثوري العاشرة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح قصة المثل العربي الفلسطيني (الله يرحم أبوك السبع) حيث أنه كان أيام العثمانيين تأتي فوات (الجندرمة) لتأخذ المكوس أو الضرائب الباهظة من الفلاحين، ومن لا يدفع يضرب ضربا مبرحا ويتم الغداء على حسابه حتى يدفع، وكان ذلك يحدث لأحد الفلاحين في قصتنا كلما جاءت قوات الأمن إلى بيته، إلى أن توفي وتعلق بعنق ولده دفع المبالغ، فكان ولده هذا قبل أن تصل قوات القمع يخرج لهم بكيس الفلوس وحينها قالت له أمه (الله يرحم أبوك السبع) كان لا يرضى يعطيهم المال إلا بعد ان يشبعوه ضربا لخمس أو ست أو سبع مرات.

في هذه الحكاية الشعبية غضب كامن على الظلم والاستبداد ثم على الاحتلال والاستعمار، ورفض فلسطيني وعربي عتيق للاستبداد عبر عنه الغزّيون بوضوح في 4/ 1/ 2013، فأصبح الفلسطيني رمز النضال العالمي لأنه ذاق من خلال مورّثاته (= جيناته) معنى الاضطهاد بأبعاده المتعددة في الاتجاهات المختلفة، ومن ذلك تشكلت شخصية **المناضل المرّ في بعدها الوراثي، والمناضل الحر في بعدها الانساني والمناضل صاحب الرؤيا والهدف**

في بعدها الفكري والعملياتي.

في اجتماعات المجلس الثوري للحركة بدورته العاشرة دار حوار طويل وعميق حول ماذا حققنا أو أنجزنا وأين أخفقنا، وما المتوجب علينا، وللحق فلقد كانت دورة ثرية جاءت مع الانطلاقة 48 للثورة الفلسطينية أو قبيلها بيومين (26-28/ 12/ 2012) ولحقت الإنجاز الفلسطيني المشهود في الأمم المتحدة حيث ولادة دولة فلسطين مع ما تقاطع من صمود متكرر للشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال في الضفة الغربية وفي غزة، وأقرت دورة المجلس مجموعة من التوجهات للإسراع بعقد المؤتمرات الحركية في المناطق والأقاليم تجهيزا لعقد المؤتمر السابع في موعده في صيف 2014.

كلمة السر والشبيبة

لقد اشتملت تقارير 4 لجان (مفوضية الأقاليم الشمالية، وتقرير المجلس الثوري، وتقرير الرقابة الحركية، وتقرير وفد المجلس الثوري إلى غزة بعد العدوان) على كلمة سر واحدة، ولكنها هامة مدلولها الرغبة في التجدد ورسم ملامح مرحلة حديثة في ظل المتغيرات السياسية الواسعة والميدانية على الصعيد الوطني وعلى الصعيد العربي والإقليمي والعالمي.

قال المفكر الاقتصادي والإداري الكبير «بيتر دراكر»: إن الشبيبة دوما على حق، لأن الزمن معها، لذا فمن المتوجب علينا أن نتغير.

منذ 2010 وانطلاق الربيع العربي وما أنتجه من بروز قوى جديدة، وانطفاء قوى أخرى وتمدد القوى الاقليمية على حساب الأمة العربية، وفعل القوة العظمى الوحيدة، ومحاولات تشتيت قوى الأمة وإضعاف دولها..، واتجاه المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين، وتمسكه برفض الدولة الفلسطينية، وظهور أوروبا القِلقة من المتغيّرات، واتجاهها أكثر ولو نسبيا

نحو الحق الفلسطيني، وبدايات صعود قوى عالمية على رأسها الصين وربما الهند والبرازيل... منذاك حتى الآن والمنطقة بشعوبها ودولها وأحزابها تعيش مخاض التغيير فإما حسن الاستجابة والفهم، والشبيبة دوما على حق وإما السقوط الذي لا يرحم..

إن المتغيرات الوطنية والإقليمية والعالمية وانعكاساتها كانت كبيرة الحجم بحيث عكست نفسها على الأبعاد الوطنية ما يحتاج منا لبناء سراطية (=استراتيجية) جديدة عبر عنها أعضاء المجلس الثوري كما عبر عنها مختلف الكوادر في الأقاليم (والاخوة والاخوات الذين استشرناهم على مواقع التواصل الاجتماعي عند كتابة هذه الورقة) بضرورة إعادة صياغة البناء والخطط والأهداف وآليات العمل والعنوان الكبير هو قدما نحو التجدد ونحو عقد المؤتمر السابع لحركة فتح.

عمى العينين أم عمى القلوب؟

بلا شك أن العمى ليس عمى العينين ولكنه عمى القلوب التي في الصدور، يقول الله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46)، بمعنى أن الإنسان قد يرى الكثير مما حوله بعينيه، ولكنه لا يدرك كُنه وحقيقة ما يرى، ولا يعرف أنه إن لم يستخدم بصيرته أو رؤيته أو قدرته على استكشاف المتغيرات ما المتوجب عليه عمله، أو ما المتوجب عليه تجنّبه.

وفي المرحلة منذ العام 2010 ومع المتغيرات العربية الساحقة انطفأت قناديل دول، وأضاءت قناديل دول اخرى، فسقطت دول الاستبداد والإهانة والظلم، وسعى الحالمون والثوار والديمقراطيون والمدنيون لبناء

دول العيش المشترك والكرامة والعدالة والحرية (في مصر وتونس واليمن والمغرب وليبيا وسوريا)، وجهدوا بإخلاص لتحقيق ذلك، وإن كان الثوار يثورون، والانتهازيون يقطفون الثمار، فإن الصراع في هذه الدول يتفجر الآن في أبعاد ثلاثة من الجدير النظر اليها لما لها من تأثير على الحصان العربي الذي وحده من الممكن أن يُسرَج ليختال بين الخيول، ويندفع إلى القدس.

أولا: **دخلت دول الربيع العربي في ذات المشكلة التي برزت بداية القرن العشرين** وإن بلباس جديد سلاحه اليوم الإعلام الطاغي وميدان الأفكار المتصارعة بشراسة وتجليات المجتزأ من التاريخ، مشكلة صراع متجدد على السلطة والناس في معركة القديم والجديد، الديني والمدني، والتدين والتمدن، والبدع والشرك، والأصالة والحداثة، والدعوي والسياسي، ومفهوم الشرعية، ودور رجال الدين في الحكم، والتعامل مع المعاهدات والاتفاقات الدولية الخاصة بحقوق الانسان والمرأة.

لم تكن هذه المواضيع جديدة على الإمام محمد عبده أو على جمال الدين الافغاني أواخر القرن 19 وأوائل القرن العشرين، وتصدى لحلها مفكرو العرب والمسلمين ومنهم ميشيل عفلق وحسن البنا وأكرم الحوراني ومالك بن نبي، وعبد الحميد بن باديس قبلهم وخير الدين التونسي في أزمنة أخرى وعشرات المفكرين والمصلحين والثوار والسياسيين، إلا انها تعود اليوم مع ضمور معسكر اليسار (الشيوعي والاشتراكيين) والقوميين (البعث، القوميين، الناصريين...)، وصعود معسكرات جديدة هي معسكر الإسلامويين (الاخوان المسلمين والتنظيمات المنشقة عنهم، وتنظيمات السلفيين المتنافرة وحيث يشار لوجود أكثر من 300 تنظيم سلفي عبر العالم اليوم كما يقول الكاتب الجزائري محمد بن بريكة) والحرياتيين (الليبراليين) أو المدنيين (ويطلق عليهم العلمانيين أحيانا).

إن الصراع الجديد تختلط فيه الفكرة والقيم بالسلطة، فان كانت معركة صَدّ الظلم والاستبداد قد بدأت مشتركة بين كافة المكونات السياسية والمجتمعية والفكرية بغض النظر عمن سبق الآخر أو حجم مشاركته، الا أن السلطة والكرسي والنفوذ فرقتهم، وشيئا فشيئا بدأت تظهر محاولات الاستئثار من جهة والإقصاء من جهة اخرى.

ثانيا: كانت **القضية الفلسطينية أحدى العوامل التي شكلت تدريبا للثورة/ الانتفاضة ضد الانظمة الاستبدادية** القمعية، وكان تحدي الجماهير للسلطة في الانتفاضات، ودعمها لغزة والضفة بصمود أهاليها وما خالط ذلك من تظاهرات عبارة عن رواسب صلبة استقرت في الدماغ العربي، حيث استطاع هذا العقل الجمعي العربي عندما تهيأت البيئة وحان القطاف أن يستدعيها من مخزون ذاكرته، وينفض من على كتفيه الوجع والخوف والوجل وينطلق رافضا ثائرا ليسقط عروشا ظنت أنها مخلدة.

إن **القضية الفلسطينية** بتأثيراتها الجماهيرية العربية كانت ع**امل إلهام أولا (وكما قال الرئيس التونسي المنصف المرزوقي)، وكانت عامل تحفيز ثانيا، وعامل اقتداء** ثالثا، كما كانت **مشعل ضوء ووقود** للمعركة ضد الظلم، **وهي كانت بأهدافها وأساليبها ووسائلها قدوة خامسا للمتظاهرين** الذين حطموا الاغلال، ورسموا لبلادهم شمسا جديدة.

على الرغم من تأثيرات القضية الفلسطينية المتراكمة منذ الانطلاقة عام 1965 في الجماهير العربية، وما كان لترسبها في الدماغ العربي من تشكيل كوامن الغضب ثم شحذ الارادة للتغيير فتحقيق النصر، الا أن المفارقة في الحراك (الربيع العربي) أن العمق العربي أو القومي قد تراجع بوضوح (وان إلى حين) مقابل الانخراط الكلي في الشأن الوطني.

إن (الوطنية) كمفهوم أو كفكرة ملهمة للعطاء والثورة والنضال الجماهيري كانت فكرة 1- تكريس، و2- فكرة تركيز، و3- مسار تخصص و4- منطق أولوية، و5- سياق فعل يجتهد الجميع لتحقيقه.

كانت فكرة الوطنية أحدى ابداعات حركة فتح التي منذ انطلاقتها رفضت الركود والسلبية كما رفضت الشعارات الكبيرة المطاطة بلا رجلين من مثل (أمة عربية واحدة) أو (يا عمال العالم اتحدوا) أو (دولة إسلامية أو الخلافة قادمة...) قبل التحرير، بحيث أن مثل تلك الشعارات كانت تطرح كأولوية ذات أسبقية على مشروع التحرير ما أثبت التاريخ فشلها حتى الآن، فأعادت حركة فتح الحصان أمام العربة بعد أن كان خلفها.

إن (الوطنية) كفكرة لحركة فتح رفضت (ديكتاتورية البروليتاريا) حصريا، و(تحالف الشعوب الكادحة) أيضا في سياق شعارات سقطت، بل أصرت على ابراز القضية الفلسطينية والنضال بكافة الأشكال (القطرية) مع الحرص المتين على السياق (العروبي)، فلم تملُّ من تكرار أن القاطرة الفلسطينية تسير ضمن القطار العربي، إنما بإرادتها الحرة والاستقلالية التي خاضت الحركة فيها حروبا ضد أنظمة القمع العربية والاستبداد مثل النظام السوري الآيل للسقوط، والنظام الليبي الهزلي.

إن فكرة (الوطنية) بمعنى الاهتمام بالشأن الوطني الداخلي المحلي وبقدر ما هي فكرة صحيحة في إطار **خماسية التكرّس والالتزام والتركيز والأولوية والتخصص في النضال** فإنها ضعيفة لو سارت لوحدها دون القطار الكبير (قطارنا العربي).

إن ما يحصل حاليا في دول التغيير العربي هو التركيز المفرط على الشؤون الداخلية والوطنية بما ذكرناها في البند الأول ما يعني وربما لفترة قد تطول أن تصبح القضية الفلسطينية ليست في متناول الجماهير العربية

أو الأنظمة العربية الأخرى التي تعاني إما من رعب التغيير في الجوار أو رعب الخطر الإيراني، وتلك المشغولة بمتغيراتها الداخلية فلم تستطيع حتى الآن أن تكشف معادلة الاستقرار تلك التي تربط بين الحفاظ على أمن الوطن واقتصاده وحرية أو مشاركة أفراده في تقرير المصير.

ثالثا: لقد ظهرت **أجيال جديدة شابة «ممانعة» للجمود، رافضة لمفاهيم التسلط والقسر والجبر**، تؤمن بالاختيار والتعددية، وتستطيع أن تسير في أي بستان لتقطف زهرة من أي نوع أو مكان شاءت.

لقد شكّل العالم (المعلواتصالي) المفتوح تحديّا حقيقيا ليس لأنظمة الاستبداد والتسلط والظلم والقمع فقط، وإنما للأحزاب والتنظيمات الفكرانية (= الأيديولوجية) في دول الربيع العربي، وفي فلسطين.

لقد سقطت مفاهيم عديدة، ونبتت مكانها مفاهيم كثيرة جديدة فما كان (سمعا وطاعة في المنشط والمكره) كما يقول قَسَم «الاخوان المسلمين» أصبح وهْما لدى الكثيرين، وما تقوله التنظيمات القومية والوطنية من (التزام وانضباط كامل) أو (التزام حديدي) أصبح التزاما تنكيا أو سرابا كلما ضعفت نسبة المشاركة والالتفات لحاجات الجماهير والأعضاء، كما تراجعت المركزية (صنو الاستبداد ولكنه المقنّن) لصالح الشوروية (= الديمقراطية) في مختلف الأحزاب/ التنظيمات، ومن لا يرى المتغيرات فإنها لا تعمى العيون ولكن القلوب (العقول).

إن ثورة المعلواتصالات عصفت بالعقل، بالمستقر منه، بالثابت، فأصبح الثابت متحولا، والمتغير أكثر تغيرا، فلم يكن باليد حيلة أن يخرج شخص على طاعة الأمير أو الزعيم الملهم في تنظيم ديني إسلاموي أو مسيحاني أو بوذي، لأن أي شخص الآن يمكنه ببساطة دون أن يشعر بذنب خرق القداسة أو الالهام للقائد المعلم أن يؤسس حزبا جديدا أو فكرة جديدة

أو منتدى أو مجموعة تستقطب العشرات أو الآلاف وربما الملايين، ولنا بعشرات الأحزاب الإسلاموية أو المدنية في مصر وتونس وليبيا النموذج، كما لنا بمئات المجموعات والمنتديات على العالم الافتراضي وقفة للتأمل.

إن فكر الانطلاق والتجدد والقدرة على الإبداع (وهو أس فكر حركة فتح)، أسقط فكرة التلقي السلبي التي عكسها قادة الأحزاب والحركات الثورية والاجتماعية والدينية السابقين (ومثلهم من الحاليين) على (أتباعهم) ليظلوا مهيمنين على عقولهم وعلى عقول الناس (كان الحسن الصباح نموذج مقدس في عملية غسيل الدماغ للأتباع يشابهه العديد من قادة الأحزاب اليوم وان لم يكن الخنجر إلى جانبهم)، إنهم يطوّحون بهم في أي اتجاه شاءوا، وما على العجزة السلبيين إلا ترقب تحقق الأوهام التي يتشبعون بها بلا طائل.

المحمديون

جاء الأنبياء عامة ومنهم الرسول عيسى عليه السلام ثم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالدين الإسلامي السمح من الله تعإلى ليس ليجمّد العقول، وليس ليمجّد الأشخاص، وإنما ليمجّد الله وحده، ويطلق العقول تتفكر بحرية، وتبدع وتنشط وتعمل وتنجز، وهو جل وعلا القائل: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (**الملك 15**)، والقائل: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (البقرة: 219).

ركب الشباب العربي في دول الربيع العربي دابة (البراق) التي ركبها نبينا الكريم، وانطلقوا بفكرهم وروحهم وأدائهم نحو الغيوم، فلم يعودوا يركنون لأكاذيب الغرف المغلقة، ومظاهر التوقير للمحنطين من أدعياء الحقيقة المطلقة، بل اختاروا أن يكونوا عيسويين ومحمديّين بسلوكهم وتفكيرهم وعطائهم وأدائهم، فما أن تنفض الصلاة حتى يسعون في

مناكبها، والله يظلّلهم، لقد اختاروا الحرية والكرامة والمحبة والانسانية.

إن ثورة الفكر المتحرر من أسر القوالب الجامدة والتراكيب الثابتة، والمعاني التي لا تتغير، والسياقات السجعية قد انتصرت، وهي لن تقبل ردّة، فمسيلمة الكذاب وسجاح التميمية والأسود العنسي لن يتكرروا أبدا فيفتنون الأمة.

لقد أصبح بإمكان أي كان أن يتمثّل حكمة أكثم بن صيفي أو شجاعة خالد بن الوليد أو عدل عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز، أو أن يستفيد من انفتاح على شريعتي أو مبادرات ياسر عرفات أو العلامة محمد حسين فضل الله أو الشيخ محمد الغزالي أو مالك بن نبي، أو أي من (تجمع) المفكرين والساسة والعلماء والمثقفين، فيقتطف أو يقتطفون من كل في مجاله، مع الحفاظ على صفاء العقيدة والوحدانية لرب العزة.

باختصار فإن العوامل الرئيسية الثلاثة وهي: انخراط دول التغيير أو الحراك العربي بعملية صراع وتنازع الرؤى والأفكار والمفاهيم، وإغراقها في الشأن الوطني المحلّي، وتحرر الجماهير وخاصة الشباب من أسر القوالب الجامدة وانعكاسات ثورة الاتصالات، كلها عوامل تعكس نفسها على وجوب التفكير من باب جديد أو من منصة انطلاق تخرجنا عربيا وفلسطينيا من جمودنا السياسي والفكري وأيضا ذاك التنظيمي.

لقد انتهى عهد التنظيمات الحديدية الواهمة، وبدأ عصر أحزاب وتنظيمات (المشاركة) الحقيقية فكلما اتسعت المساحات كلما زاد عدد الركاب، وكلما قلت المقاعد في الحافلة اما تزاحم الركاب أو انفضوا عن الركوب.

إن تنظيمات/ منظمات المساحات القادرة على استيعاب الابداعات والأفكار والخطط المتنوعة قد بزغ نجمها، ولمن لا يرى لا تنفع معه لا

النظارات ولا المكبرات، فالعالم يخلق من جديد، ونحن على أعتاب ثورة كونية فإما أن نتجدد وإما أن نمسك بذيل الأمم أو نندثر.

من مظاهر الإنهاك التنظيمي

إن من مظاهر الإنهاك والتقهقر في أي تنظيم سياسي، ما نعاني منه في التنظيمات الفلسطينية عامة وفي حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح له خمسة مظاهر أساسية باعتقادي، أجملها بالتالي:

1. ضعف أو انعدام التواصل: فهو تواصل ضعيف أحياناً وفي بعض المستويات إلى درجة الانعدام، بحيث أن القائد/ أمين السر المعني في موقعه مكتفي بذاته، لا يجد بنفسه حاجة للتواصل والمشاركة مع زملائه فما بالك بمن هم ضمن مسؤوليته.

   كما أن التواصل قد يأخذ شكلاً موسميا أو مرتبطا بحدث (مهرجان/ انتخابات/ حشد...) مما يفقد القاعدة التنظيمية كما يفقد الجماهير ثقتها، وتنظر لهذه الأطر/ المستويات نظرة انتهازية.

   أضف إلى ذلك ضعف الوعي الديمقراطي الذي يؤدي لتعطيل الحياة الديمقراطية المتوجب استمرارها عبر الاجتماع والتقرير والندوة والمؤتمرات، والتي حين فقدانها وماهو حاصل فعلاُ فإن تراكم الفشل يصبح موهبة أو مهنة.

2. جمود العقليات: وتبرز في شكلين رئيسيين الأول التمسك أو النضال للتمسك بمسميات بلا مضمون من جهة، وعدم تقبل التجدد أو التغيير في الفكرة أو الموقع باعتباره نسف للواقع القائم المريح، وبالتالي هو طريق سالك للتخلص من أصحاب العقول المتكلسة أو الجامدة ما ترفضه مثل هذه العقول بإباء فتعطل وتدمر وتخرّب.

   إن التغيير عدو الجبناء وعدو الفاشلين وعدو جامدي التفكير ناقصي

الفعل يقاومونه دفاعاً عن مركب الفشل فيهم، وحماية لمواقعهم التي قد تكون في كثير من الأحيان شكلية.

إن التجدد بالاغتسال بمياه جديدة كل يوم هو سمة المبتكرين المبدعين والطموحين والايجابيين الراغبين برقي ذواتهم ومحيطهم، لا يخشون ولا يجبنون ولايجفلون.

3. انعدام الهياكل/ الأطر: إذا كان الترابط التنظيمي في أي مؤسسة وسيلة لنقل المعلومات في الجسد من أسفل إلى أعلى، ونقل التوجيهات والقرارات والتعاميم من أعلى إلى أسفل، ووسيلة لإحداث التفاعل المطلوب، وتحديد صلاحيات ومهمات عمل كل مرتبة فإننا نجد هذه الهياكل أو التراتبية مفقودة عامة، وإن وجدت في بعض المفاصل فوهمية أو شكلية.

إن العطاء والعمل والتفاعل والمحاسبة والتواصل كلها في الهيكل التنظيمي كالدماء التي تسري في الجسد والهيكل هو تماماً كالهيكل العظمي بالإنسان يبرز الجسد ويعطيه متانته، فلا جسد صحيح والعظام متكسرة، ولا جسد حيّ لا تسري فيه الدماء.

4. السوداوية: لطالما تحدثنا عن حالة السوداوية أو السلبية، أو النقد المفرط إلى حد جلد الذات أو التغني بأمجاد الماضي أو أننا تنظيم الأوليّات في حركة فتح، ولطالما برز من بين الجموع في الميدان وعلى مواقع التواصل الاجتماعي من يلبس نظارة سوداء يأبى أن ينزعها عن عينيه.

إن ورقة النعي التي طالما تحدث عنها المفكر هاني الحسن مشيراً لأمثال هؤلاء السلبيين تدلل على وجود فئة منقبضة، مبتعدة، متهربة من المسؤولية أو لفئة راكمت السلبيات فلم ترى من بين

كومتها أي بارقة أمل، أو هي فئة من التطهريين الذين يسقطون في أول امتحان.

إن كان النقد ضرورياً وهو حتما كذلك، فهو شائن للكادر التنظيمي أن كان لذاته وانفصل عن العمل، وهو ضار بالجسد التنظيمي إن لم يقترن بالعمل، وهو مما لايستمع أحد له أن جاء من شخص سلبي.

إن السوداوية أو السلبية على سوئها، إلا أن هناك عوامل حقيقية تدفع بالبعض من العناصر والكوادر لهذه الزاوية وأهمها إغفالها أو إبعادها أو عدم مشاورتها أو عدم التواصل معها وعدم الاعتراف بدورها أو مكانتها ما هو خلل قيادي.

5. عدم التطور في الأفكار: ان الفكر كائن حي ينمو ويتطور فلا يجمد عند فكرة ملهمة ويتوقف، ولا يرى المتغيرات الداهمة فيقف متفرجاً بل متفاعلاً، وأزعم أن التطور في الفكر السياسي لحركة فتح سمة من سماتها، ولكن.

إن الفكر إن لم يرتبط بمركز أبحاث أو لجان تخطيط سراطي (= استراتيجي) ومراكز دراسات ولجان عمل أو خلايا تفكير يصبح مجموعة اجتهادات هامة ولكنها متناثرة ولا ترقى لتصبح برنامج عمل تنظيمي.

إن الإبداعات والاضاءات والإشراقات في حركة فتح كثيرة تلطم خدود السوداويين فيها والحاقدين من خارجها، ولكن التطور والتغيير الممنهج والجماعي في الأطر والأفكار والشخوص ضرورة لا محيد عنها، تتكامل حكما مع تفعيل الحياة الديمقراطية بما تجلبه من حراك وتواصل ومشاركة دورية لا موسمية تفجر الطاقات وتقدّر الإبداعات وتشد على يد أصحاب الانجازات حيث الطريق مفتوح والمساحة متاحة للجميع أو يجب أن تكون كذلك.

محطات الراغب للتفكير

بمناسبة انطلاقة حركة فتح الـ 48، انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، حيث تصرّ حركة فتح وفصائل (م. ت. ف) على اعتبارها انطلاقة الثورة الفلسطينية الحديثة في سياق وعي وحدوي، بهذه المناسبة واستتباعا للتحليل السابق ذو الطابع السياسي والفكري سأضع محطات للتفكير والتأمل بين يدي الراغب والحريص على الاستفادة والنهوض بذاته ومجتمعه وتنظيمه وبلده.

أولا: استثمار الفرصة

عندما وضع رفاعة الطهطاوي قدميه على سلّم السفينة التي أقلته إلى فرنسا كان شابا في ال 27 من عمره، لم يرى (أو ما درسه باتجاه أحادي ليرى) إلا مجد الأمة الإسلامية والدين، وتطورها الذي لا يمكن «للكفار» أن يصلوه، ولكنه منذ الخطوة الأولى التي وطأت فيها قدميه ثرى فرنسا حتى اكتمال السنة الخامسة هناك وهو يعيش (أزمة) بين المستقر الثابت وبين الجديد المختلف، بين عمق إيمانه بدينه ووطنه وعروبته وبين المتناقض من عظمة ما رآه هناك من انجازات سياسية واقتصادية وعلمية أبهرته حتى الحد الأقصى.

على درج السفينة وهو عائد إلى مصر –عام 1831م في القرن التاسع عشر- من فرنسا كان قد أدرك جازما أن العالم أصبح غير العالم الذي اطمأن له وخبره، فخرج بخطوة واسعة انتقل فيها من المريح المستقر ولكنه الضيق إلى الفسيح الواسع لكنه المقلِق.

في باريز (باريس) استثمر وقته الثمين في الدرس والمطالعة والقراءة والترجمة حتى أضر بعينيه، لقد رأى الفرصة السانحة فلم يترك لحظة الا واستثمرها، وكان قد ترجم 12 كتابا، وكتب كتابه الهام في الإصلاح

والنهوض المعنون (تخليص الأبريز فى تلخيص باريز)، وهو الكتاب الذي ارتبط إسمه به، ووصف فيه الحياة في باريس وعادات أهلها وأخلاقهم، وهو ليس وصفًا لرحلة أو تعريفًا لأمة بقدر ما هو دعوة للارتقاء، وصرخة للبعث والنهوض.

وفي العصر الحديث وتحديدا عام 1954 عندما وضع ياسر عرفات وهو في الـ 25 من عمره قدمه على سطح السفينة التي أقلته إلى أوروبا، منتقلا إلى مهرجان الشباب العالمي في وارسو كان مع صحبه يسابق الزمن، ويقفز مراحل عدة. فالشاب الذي انخرط عضوا في الوفد المصري بقوة شخصيته (لم تكن فلسطين موجودة لا على الخريطة ولا على أي صعيد) مع زملائه كانت الدقائق والثواني تعني له الكثير فهو لم يقضي وقته في المهرجان حيث الثقافة والرياضة والفن والترفيه وإنما كان في عقله استثمار الفرصة.

قام ياسر عرفات بثلاثة أمور رئيسة: أولها أنه ميّز وفده (وفد الطلبة الفلسطينيين) عن الوفد المصري بعد أن جعل بينهما فاصلا يوم العرض للوفود، وثانيا قضى ليلته فيما أفصح عنه صباح العرض العلني للدول في وسط الملعب الحاشد، ففي الوقت الذي رفعت فيه الدول أعلامها ولافتات مكتوب علي كل منها اسم الدولة كان ليل ياسر عرفات مكرسا لعمل نفس اللافتة كبقية الوفود (رغم أنهم جزء من الوفد المصري) ولكنه **كتب عليها كلمة واحدة هي: (فلسطين) ورفعها في صف (طابور) العرض أمام مئات الآلاف المحتشدين يتفرجون.**

أما ثالثا فلأنه رجل عملي لا يكلّ ولا يمل ولا يهدأ أبدا - إذ أن حياته كما خبرنا حافلة بالنشاطات والانجازات- فلقد رتب جدول مواعيده ليلتقي بالوفود التي فاقت المئة الحاضرة للمهرجان، ونسج معها علاقات صاحبته عندما أطلق والرواد الأوائل الرصاصة الأولى في 1/ 1/ 1965.

وياسر عرفات الشاب ذاته وفي نفس المهرجان (مهرجان الطلبة والشباب العالمي) ولكن بعد 20 عاما استلم علم الثورة العالمية من فيتنام وكان قد دق باب الأمم المتحدة في خطابه الشهيرعام 1974، ما لحقه به أبو مازن في خطابين هامين، آخرهم كان في العام 2012

ليست درجات السفينة التي صعدها كل من الطهطاوي وعرفات هي وجه الشبه بينهما، ولكن القدرة لكل منهما على إدراك وفهم الواقع والمتغيرات والتعلم منه، والاستثمار للفرص ما نحن بحاجة له اليوم في ظل واقع معقّد التغيير سياسيا، ومتقاطع أو متداخل المصالح كليّا، وفي ظل الشركات عابرة القارات، والانفتاح المعلواتصالي، وبعد أن قطع العرب عهود الظلام والاستبداد والانهاك السابق بسيف «الربيع العربي» في انطلاقتهم الجديدة نحو مستقبل واعد لكنه ما زال قلِق وتكسوه علامات الترقب والتربص والحذر.

إننا فلسطينيا بحاجة لنَفَس جديد وسراطية جديدة وفعل أكيد حيث الإقدام لا يعني التهور، والشجاعة لا تعني فقدان التوازن، وتخيّر البديل النضالي المناسب في الظرف القائم لا تعني شطب البدائل الأخرى، بل أن تبقى مشتعلة أو متجلجلة في النفس، وحيث الصعود لا يعني كسر الدرج وانما تحسين السبيل.

ثانيا: فكرة الوطنية والوحدة

لم تكن الفكرة الوطنية (أو القومية) وليدة القرن العشرين أو القرن 19 بل كانت أقدم من ذلك، وكان الوعي بها فلسطينيا في ظل هيمنة سلطنة استبدادية هي الدولة العثمانية تلك التي أرهقت (رعاياها) بالظلم والضرائب والحروب، وكبت الحريات، ووقف الاجتهاد والتفكير، وإظلام النفس في مراحل طويلة بعيدا عن العلم والثقافة وأسباب التقدم.

في طبريا برز ظاهر العمر الزيداني (1695-1775م) مدافعا عن حقوق الناس والفلاحين وحقوق زراعة القطن ورد المظالم، فلم يهدأ له بال وهو الذي رضع حليب الفرس إلا بعد أن اقام دولته في الجليل وحيث الناصرة وطبريا وعكا ويافا وصولا إلى غزة والقدس.

شكلت دولة فلسطين في عهد ظاهر العمر الزيداني الذي حكم لستين عاما مستشهدا في الـثمانينات من عمره، نموذجا متميزا في بعث (الفكرة) والافتكاك من أسر قيود وهمية ربطت بين السلطان الظالم والإسلام، حيث نظرت العامة آنذاك للسلطة المهيمنة باعتبارها «خلافة»، وما أحيط بها من قداسة موهومة رغم الكرب والبلاء والظلام الذي أحاط بالناس، لكن خطل الربط بين الاستبداد والإسلام كان كبيرا ما حطمه ظاهر العمر الزيداني ثم رواد الاصلاح والتجدد أمثال رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي ومحمد على باشا في مصر، وعلى اعتاب القرن العشرين الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، ومن تبعهم باحسان.

لقد عانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح أم الوطنية الفلسطينية كما عانى ظاهر العمر الزيداني ملك الجليل من اتهامات لأعوام طويلة حيث تم النظر إلى أن (الوطنية) ضد القومية، والوطنية ضد (الاشتراكية) والوطنية ضد الإسلام في مقابلات ظالمة، إلى أن تبنتها التنظيمات «الديمقراطية» العربية حديثا ومنها الإسلاموية (الوطنية) مهرولة وراء فكرة كان القصد منها ليس رفض الوحدة العربية أبدا أو الوحدة الإسلامية أبدا، ولكن التكريس والتركيز والتخصص والأولوية والالتزام ما ذكرناه آنفا في موضع آخر في سياق بوتقة أو كيان (م. ت. ف ثم السلطة مع بقاء الأولى)، وفي إطارالتجدد الشعبي والوحدة الجامعة غير الاقصائية أو الرفضوية للآخر التي ما زالت تمثل أساس من أسس فكر حركة فتح حتى اليوم.

إن هذا الآن هو نهج كل دول «الربيع العربي» التي نأمل ان تتخلص من صراعاتها الداخلية لتوظف «الوطني» في مصلحة الوحدة، قضية الأمة العربية والإسلامية قضية فلسطين.

ثالثا: رؤية المتغيرات

عندما وقف أحمد داوود أوغلو وزير الخارجية التركي في الأمم المتحدة إلى جانب الرئيس أبو مازن شامخين، كان بذلك يرسم معالم للنظام الجديد الذي هو من صنّاعه الكبار في المنطقة، فهو إذ يقف وحيدا دون العرب ليتلقى التهاني بسطوع شمس دولة فلسطين فإنه كان يرسل ثلاثة رسائل للعرب وللعالم.

الرسالة الأولى هي أن خط العملانية (البراغماتية) والاعتدال والوسطية في الفكر والسياسة والمجتمع هو الخط القابل للحياة في عالم اليوم المفتوح على الصعيد المكاني والزماني والفضائي (المعلواتصالي)، ويؤكد في رسالته الثانية أن بناء المؤسسات والتنظيمات والاقتصاد بما يلبي حاجات الناس والبلاد مكون رئيسي لمن يريد بناء بلده أو دولته، وليس الخطل ولاختلاف «الرغائي-من رغاء الجمل» في البناءات الفكرانية (=الايديولوجية) المعيقة، ورسالته الثالثة تقول: أن الانسان هو الجوهر وليس البناء التحتي، فهذا البناء التحتي على أهميته يجيء لخدمة الانسان بما لا يفعله الانهاك المنظم لفكره وإرادته.

ومن هنا جاء التلاقي بين أبي مازن في دولته الصاعدة، دولتنا الصاعدة، والدولة التركية الصاعدة (استطاعت تركيا في 10 أعوام أن تسدد ديونها، وتقوم بتسليف البنك الدولي 5 مليارات) التي تخلصت من الانهاك والحيرة لزمن طويل.

إننا نرسم هذه الصورة بمناسبة انطلاقة الثورة الفلسطينية لنقول

أن: حركة التحرير الوطني الفلسطيني- **فتح الفكرة جاءت وهي تحمل في طياتها 3 عناصر: فهي متغيرة، متجددة، منطلقة**، إذ جاء التغيير من رفض عنيف للواقع الاحتلالي، وجاء التجدد بإطلاق ثورة بأساليب مختلفة اعتمدت الكفاح المسلح ثم الانتفاضات ثم عناق المقاومة الشعبية مع النضال السياسي في مراحل عدة ووفق قواعد رؤية معمقة للواقع المتغير ولآليات الأصوب أو الخيار الأمثل للتعامل معه.

وكان الانطلاق في حركة فتح ثالثا بمعنى ديمومة الحركة والفعل والنشاط، حيث أسقطت الحركة وما زالت الشعارات الكبيرة فارغة المضمون والفعل، وركزت وكرّست وخصّصت نضالها في البعد الوطني الفلسطيني ما لحقها به كافة ثورات الربيع العربي اليوم، وإن أكدت أن القاطرة الفلسطينية لا تصل المحطة الأخيرة إلا في القطار العربي.

إن حركة فتح قد حسمت أمرها في اجتماع المجلس الثوري الأخير على تكريس الديمقراطية باطلاق الانتخابات الداخلية التي سيتلوها المؤتمر العام السابع صيف 2014 علّه يستجيب لمنطق لمتغيرات الداخلية والاقليمية واالعالمية الداهمة.

إن القدرة على التجدد تدركه المقلة الواسعة التي ترى المتغيرات بعين فاحصة فتقرأ الواقع بنظرة مختلفة تمازج بين الداخلي والإقليمي والقدرات والفرص ومكامن التأثير فتلقي بالبالي من الثياب ثم تغتسل لتلبس ثوبها الجديد.

رابعا: إعادة قراءة التاريخ والتجدد

إن التاريخ الفلسطيني كما العربي والإسلامي طالته يد العبث المقصود والتزوير، أو الخلط، وشابه من (الإسرائيليات) ما لا يحصى تلك التي استقرت في الوعي العربي والإسلامي مسلّمات أصبحت بقداسة القرآن الكريم أو

الكتب الدينية، ما يجب أن نتصدى لها اليوم بفكر ثاقب وعقل مفتوح.

لقد أكد علماء الآثار الإسرائيليين ومن علماء التاريخ الأجانب عدم دقة أو صحة، وأشاروا إلى أسطورية أو كذب كثير من أسفار التوراة، ولمن يريد الاستزادة أن يجهد نفسه قليلا على أي من محركات البحث على الشابكة (= الانترنت) ليقرأ عن (إسرائيل فلنكشتاين) أو (زئيف هرتزوغ) أو (شلومو ساند) والثلاثة أساتذة في جامعة تل أبيب اليوم، أو يقرأ في موقع جمعية التجديد الاجتماعية الثقافية البحرينية، أو يقرأ للباحث فاضل الربيعي ليبلع ريقه مرارا، ويبسمل ويحوقل وينكر الكثير مما درسه، أو ينكر نفسه.

يؤكد علماء اليهود الثلاث وغيرهم أنه لم يكن لأي من انبياء اليهود (موسى وداوود وسليمان عليهم السلام) أي وجود في هذه البلاد – فلسطين – ويقر منهم أن من أسفار اليهود ما هو أساطير محضة مختلقة، ليأتيك من أمة العرب والمسلمين من يصّر على تكذيب ذلك، والعلماء المذكورين خاصة (فلنكشتاين وهرتزوغ) علماء آثار يؤمنون بما يقول الحجر لا الورق، فأين السبيل وما في كل ذلك لا تناقض لا مع القرآن العظيم ولا أي من آياته؟! كما قد يظن النصوصيين.

إن إعادة قراءة التاريخ – ما يدخل في صلب الصراع العربي الصهيوني والصراع الإسلامي الصهيوني – يحتاج لفكر منفتح، ويحتاج لجهد العلماء كما يفترض أن تتسع الصدور للحقيقة ليس لأنها تخدمنا كفلسطينيين بل لأننا نضاليا ودينيا مأمورون بالنظر والتأمل وإعادة التفكير حيث يصبح البحث العلمي أحد مناهجنا في الثورة الفلسطينية لنكتشف أن جبال السُراة في اليمن القديم مدفون فيها ارث اليهود واللخميين (بيت لحم) والكُنانيين (الكنعانيين) وجبل القدس وأسوار أورشليم.

إننا لا يمكن في محطات النضال أن نكتفي بالمستقر المريح أو الثابت السعيد، أو القديم أو المصبوب سواء تاريخيا أو سياسيا أو مدنيا ولو كان الأمر كذلك لما انطلق الحجر بصرخته المدوية عام 1987 ولما كانت الانتفاضة الثانية عام 2000 بإبداعات جديدة، ولما كان لصمود غزة معنى أو لفلسطين دولة في الأمم المتحدة أهمية، وقبل كل ذلك لما كان لانطلاقة الثورة الفلسطينية وحركة فتح مثل هذا البريق.

إن التعلم والتأمل والتجدد والتغيير سمة من سمات الثوار والمناضلين، والمتجددين والشخصيات الابداعية كما كان خالد بن الوليد في مختلف معاركه، وكما كان أبو الطيب المتنبي وحفيده محمود درويش في شعره، وكما كان كل العظماء في المناحي المختلفة.

خامسا: ضد الفكرانيات (=الايديولوجيات) الاقصائية

تحكمت الأفكار الإنسانية «المقدسة» في عقول الناس، وطوّحت بهم في الاتجاهات المتعددة، بإيمانهم الثابت والمقدس بالفكر الإنساني، وان استند لمعتقدات دينية أو غير دينية فلقد أذهب العقول بعيدا عن جادة الصواب.

إن الفكرانيات (=الايديولوجيات) قد فعلت فعلها السلبي في كثير من العقول والتنظيمات، فهي وان استطاعت الحفاظ على تماسك البناء الفكري واعتباره الخط المميز والحاكم الذي تُستمد منه السياسات التي تخضع لها السراطيات (=الاستراتيجيات) والخطط، إلا أنها ولعوامل الجمود أو الترهل وعدم التجدد أو الاستجابة للمتغيرات جمدت عند أقوال وأفكار (ما أصبحت مسلمات ومقدسات ومرجعيات ثابتة) المؤسسين أو الرواد أو الذين يُنظَر لهم في حقيقة الأمر كقدسيين أو زعماء أو نماذج خالدة يصبح

كل ما تقوله مصباحا منيرا، وكل إشارة ولو عابرة منها مفتاحا للحلول لكافة المسائل.

إن آفة الفكرانيات (وان كان لها فضل التجميع وتحقيق الغراء اللاصق والالتزام) هي الجمود والتصلب في الشرايين، وافتقاد التجدد وبالتالي غياب القدرة على الرؤية وعلى إدراك المستجدات، ومن ثم يصبح الشلل الفكري كابحا للتطور والعمل الذي يخدم مصالح الناس، ومتغير حاجاتهم وتطلعاتهم.

ويصبح التمسك بالثابت رفضا للآخر على اعتبار أن ثوابته لا تأتيها الباطلات أبدا فيتعمق الاستبداد الفكري واليقين وإقصاء الآخر.

سقطت في مسيرة الثورة الفلسطينية الطويلة ومنذ انطلاقتها الحديثة كل الفكرانيات (على الأقل بثوابتها المهترئة وثوابتها المنهكة وتنظيماتها غير المتجددة)، وبقيت حركة فتح لأنها استمدت فكرها وطني الصبغة، وحدوي اللون، ثابت السعي الجماهيري، نضالي الأساليب، أصيل التجدد من حركتها وتفاعلها العقلاني مع المتغيرات وإن كان ثمن ذلك أن عجّت الحركة بأصحاب النظرات والأفكار والرؤى المختلفة سواء الوطنية أو الفوق وطنية، وسواء جمعية الطابع الغاية أو الشخصانية.

1. استطاع منهج التفكير **السياسي-الواقعي** في حركة فتح أن يهزم المناهج الثلاثة الأخرى التي طالما أشار إليها المفكر العروبي الإسلامي الكبير عضو اللجنة المركزية للحركة خالد الحسن رحمه الله وهي: **المنهج التفكيري القضائي** حيث الحكم على الأشياء والمواقف والسياسات بعين الخطأ والصواب دون مستويات أو بعين الكفر والإيمان أو بعين الوطنية والخيانة دون دليل يشير للمسافة في حدي الوتر المشدود يمينا ويسارا.

2. **منهج التفكير الفلسفي**: الذي ينظر من زاوية شمولية تغطي مساحة واسعة متكاملة، فلا تتعامل مع الجزئيات أو التفاصيل أو الفرعيات إلا باعتبارها لازمة الارتباط (وان لم تكن) مع الفكرة أو النظرة الشمولية، وعليه فلم يكن الاعتراف بالفكرة الاستقلالية أو الوطنية أو الداعية لشخصية وكيانية فلسطينية إلا عبث فلسفي أو عقدي عند هؤلاء.

3. **منهج التفكير التاريخي الماضوي**: وهو المنهج الذي يقدس أو يقدّر الأمجاد باعتبارها لم تكن (ولن تكون) إلا بعصور غابرة، وعليه فانه يمجد الأموات ونبلهم وكمالهم، كما يقدس أو يمجّد أو لا يرى نفسه إلا تبعا مخلصا لنماذجهم كنسخة طبق الأصل، رغم بعد المسافات والأزمات ومتغيرات الحال.

لقد أدى الفكر الماضوي إلى البكاء على أطلال مدينة طليطلة والحمراء كما حصل مؤخرا لركاب موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) الذي سخنت فيه الدموع تذرف بمناسبة سقوط الأندلس في 2/ 1/ 1492 دون أن يرف جفن للمدن المحتلة في المغرب والجزر التي تستولى عليها اسبانيا منذ ذلك الحين إلى الآن.

وبنفس المنطق المعوج يتم تبييض صفحة التاريخ بالجملة دون أخذ العبرة من الانتكاسات والهزائم والجرائم والاستبداد والاندحار، والتفكير المظلم الذي ساد طويلا حتى غطي رؤوس العباد وأحوالهم في فترات هامة بالتاريخ العربي الإسلامي، ويصبح الناظر للتاريخ بعين الفاحص الممحص الناقد كافرا فاسقا فاجرا.

لقد هزم فكر حركة التحرير الوطني الفلسطيني- **فتح المتجدد والمتغير والمنطلق** هذه المناهج الثلاثة في التفكير، ومن هنا جاء التلاقي بين دولة

فلسطين ودولة تركيا الحديثة الفتية، وقبل ذلك كان فكر الانطلاقة مسلحا بالبندقية عندما رسمت الساحة تحت وقع قعقعة السلاح الذي رفعته الثورات العربية والعالمية في الخمسينات والستينات من القرن العشرين.

إن العقلانية هو اتجاه معاكس للظلامية التي هي العيش في جاهلية الفكر في تاريخنا وثقافتنا العربية الإسلامية، وحيث **تشكل العقلانية آلية تعامل مع 3 مساحات متقاطعة هي مساحة القبول ومساحة النقد ومساحة التعبير**، بمعنى أنني بمقدار ما أنقد الآخرين وبالتالي أمسك بيدي اليمين حق التعبير فأنني يجب أن أتقبل من الآخرين نفس مساحة النقد في تقاطع مثمر للمساحات الثلاث ما تميزت فيه حركة الوطنية والإبداع الفلسطيني حركة فتح حيث (القبول والنقد والتعبير).

وقبل أن ننهي هذه النقطة لا بد أن نختم بهذا النموذج الرائع ويقابله نموذج سلبي، فلقد عرض الأصحاب على الإمام علي بن أبي طالب مسألة الخوارج على أنهم كفار أو فساق فرفض تسميتهم بأي من هاتين الصفتين رغم حربهم عليه، قائلا أنهم يصلّون ويصومون ويقرأون القرآن فكيف يكونوا أي مما سبق؟ فلما حار صحابته في تصنيفهم، سألوه فما هم؟ فقال فيهم قولته المشهورة والرائعة والمتسامحة في كلمات ثلاثة فقط، حيث قال: (إخواننا بغوا علينا).

وفي المَثَل المقابل وبعد انقلاب عام 2007 في غزة سألوا خالد مشعل عن الصراع الدموي والانقلاب على حركة فتح في غزة مستشهدين على فضائية الفجر بالآية الكريمة: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الحجرات: 9).

قال لا فض فوه كلمتين فقط تدلل – حينها على الأقل – على عمق الفكرة الفكرانية (الايديولوجية) المستهينة بالآخر والطاردة له، اذ قال خالد مشعل (لا تنطبق)، ولم يعقب.

سادسا: تفاعلية العالم اللامحدود (الفضاء الالكتروني)

لا تثقل أكتاف حركة فتح أحمال الفكرانية (الايديولوجية) المانعة للإبداع أحيانا كثيرة، والمحطمة للمبادرات، والرافضة للانطلاق. لذا كانت مساحة الفعل في الفضاء الالكتروني للحركيين (وأحسبها اليوم لكافة التنظيمات أيضا) مما يعوّض النقص الحركي الخطير فتحويا في وسائل الإعلام الأخرى من صحافة ورقية أو فضائيات.

في العالم الالكتروني مواقع وصفحات ومجموعات وملتقيات ومنتديات حركية ناشطة ومميزة بإبداعات أبناء الفتح المبين، وعلى صفحات التواصل الاجتماعي يتواجد أعضاء الحركة وكوادرها وخاصة الشباب وبعض قياداتها في حوار يجب ان يتسع ضمن ضوابط وآداب الحوار والحديث.

تفاجأ العالم عندما انتشرت الحواسيب وبرنامج النوافذ (ويندوز) ثم صعق عندما أصبحت الشابكة (= الانترنت) في كل بيت تزاحم الرائي (=التلفزة) والمذياع، وبُهِر عندما وجد نفسه يركض وراء مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة (الفيسبوك) الذي أصبح بسكانه المليار ثالث دولة بالعالم، وأكبر تنظيم بالتاريخ.

إن المقدرة التفاعلية الحركية الفلسطينية والتي شكلت اشراقات حقيقية في ظل تنامي الصعود العربي على الشابكة تعد عبئا ثقيلا على صانع القرار حيث أصبح تجنب المساحات التفاعلية كمن يرفض القاء ندوة في الجماهير، أو كمن يتعدى المشاركة في أفراح وأتراح الناس ومناسباتهم،

وأصبح النظر للمشاة من غير ركاب الفيسبوك كالقابعين في برج عاجي، أو كأصحاب السيارات الفارهة ذات النوافذ السوداء.

إن الأعضاء والكوادر يقولون: انزلوا من هذه السيارات الفارهة، واركبوا الحافلات أو سيارات الأجرة أو القطارات معنا، وشاركونا منشوراتنا على (الفيسبوك) وأخواته، وإلا لن نسكت لكم.

لقد غدت وسائل التواصل الاجتماعي صحيفة حائط في الجامعة، ومذياع للجماهير في الحافلات، ورائي (=تلفزة) في كل بيت، كما أنها تماثل منصة خطابة لحكماءالعرب أمثال: أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة والاقرع بن جابس وعبد المطلب بن هاشم جد الرسول عليه الصلاة والسلام، وهند بنت الخس، من حكماء العرب الاقدمين.

لقد تشتت الورق وغارت الجرائد، وفقدت الصحف هيبتها (قال لينين: أعطني صحيفة اصنع لك حزبا) وبكت التعاميم والرسائل التنظيمية إن لم تكن الشبكة العنكبوتية مستقرها، وفي حركة فتح حركة دؤوبة لا فتة تُحتَرم في هذا المجال قد تصل لقوة التأثير الذي قدمته وسائل التواصل الاجتماعي وشبابها في (الربيع العربي).

سابعا: التنظيم والجماهير

كتبنا سابقا في حركة فتح وصعودها بالجماهير، وتحفل أدبيات الحركة وتاريخها بالارتباط الوثيق بينها والناس، وما زالت الفكرة لم تتغير هنا حيث أن (طليعية) حركة فتح لم تتناقض يوما مع (جماهيرية) الحركة. فلم تكن الطليعة لتعني النخبة المنفصلة أو الطبقة المتحكمة مقابل ما كان يطلق عليهم بالعامة من الناس وفي صفات أخرى الرعاع.

لقد آمنت حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح (بالاقتران) ولم تؤمن (بالانفصال) بين المفهومين، فكما شجعت الفنانين والمثقفين والمفكرين

والكتاب والأدباء على احترام واعتبار تخصصهم بصفتهم (طليعة) فإنها أدرجت (الثوار) المبادرين في نفس الصف أو الفرقة.

وارتأت حركة فتح وما زالت أن العناق والاقتران بين الطليعة والشعب لا يعني أن توجد (بين الأعضاء، أو بين الكوادر والناس) مسافات فوقية، أو فوارق فئوية أو طبقية أو ثقافية، وإنما أسست لعلاقة تبادلية لم يشعر فيها الطليعي أو الكادر بأنه فوق الناس، ولم يشعر فيها الناس أنهم اقل من الكادرات أو القيادة، وكل المظاهر المخالفة ما وجدت في الحركة فهي إدانة لأصحابها فقط بصفتهم نماذج منفرة أو ملفوظة حركيا.

إن مستوى التفاعل والتواصل بين الطليعة أو القيادة في حركة فتح والجماهير مستوى يضرب به المثل فلا حوائط اسمنتية أو حتى زجاجية تفصل بين رأي العضو أو شكايته وبين المسؤول، وان حصلت تجاوزات في العلاقة فان مستويات التقاضي الثلاثة في الحركة غير الأطر جاهزة للفصل (لجان المجلس الثوري والرقابة الحركية وحماية العضوية والمحكمة الحركية).

إن جماهيرية حركة فتح تأتي من:

1. **عملية الاقتران بين الطليعة والشعب.**
2. **حجم التواصل والمشاركة مع الجماهير، وبين الأعضاء معا والتي كلما ارتبطت بخماسية التنظيم أثمرت وإلا فالفشل يحف بنا (الاجتماع الدوري/ التقرير الدوري/ الواجب أو المهمة المحددة لكل عضو/ معرفة المسؤول ومتابعته الدورية/ القيام بالعمل والابداع).**
3. **الفكر المتجدد والمتغير والمنطلِق وهو الفكر الذي يلبي تطلعات وحاجات الجماهير وحراكها الاجتماعي، وتجددها والمتغيرات التي تحيط بها.**

في هذه النقطة التي حاولنا أن نسلط الضوء قليلا على (الجماهيرية) ولنضعكم بالقصة التالية التي نقلها لنا الأخ هاني الحسن المفكر العروبي وعضو اللجنة المركزية للحركة حيث نقل لنا: أن خالد بكداش رئيس المكتب السياسي في الحزب الشيوعي السوري، وهو حزب صغير زار الرئيس (ماو تسي تونغ) رئيس الصين على عادة الأحزاب الشيوعية. ولما علم (ماو) بالحجم المتواضع للحزب الشيوعي السوري سأله ماذا تفعل الجماهير وكيف هي حياتها اليومية؟! وكيف تتفاعلون معها؟! فذكر له خالد بكداش أنهم يعملون ويدرسون ويصلّون ويصومون لأنهم مسلمين، فقال وانتم ألا تصلون وتصومون معهم؟! ولما حارت الإجابة عرف الرئيس ماو أن انقطاعا وانفصالا حقيقيا بين الحزب والناس فقام بحثهم على احترام الناس وقيمهم ودينهم وعاداتهم لا ما يقومون به من عليائية وانفصال.

خاتمة

لم تكن تباشير عيد الميلاد المجيد لوحدها التي أطلقت في عقلي شرارة التجلي، وإنما عناق السيد المسيح الفلسطيني الأبدي مع هذه الأرض، وعناق الفلسطينيون الأبدي والمتجذر في أرضهم النابتة بالحب.

وكان لرايات فلسطين العالية المتعانقة مع رايات الثورة الفلسطينية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح وكافة الفصائل في عيد الانطلاقة في رام الله ونابلس والخليل ولبنان وأقاليم فتح بالخارج أن اشعلت أوار الفكر.

ولا أكتم سرا عندما أقول أن فرحة الانجازين الكبيرين في غزة والأمم المتحدة المتعانقين مع مهرجان الانطلاقة العظيم في ساحة الشهيد ياسر عرفات في غزة كان لها أيضا ذات الفعل المحفز لنقول كلاما شفافا بالقلم الأحمر حيث الفكر الصاعد والتنظيم الصاعد يحتاج لمستوى عالٍ من

الإدراك والوعي وإحداث التغيير، وحيث أن الإنهاك التنظيمي قد يشوش الرؤيا ويطيح بالهيكل.

(كتبت الورقة بمناسبة الانطلاقة 2013 للثورة الفلسطينية وحركة فتح)

بمناسبة ذكرى انطلاقة الثورة
نظرات في ثقافة الحركة[21]

بكر أبوبكر

بمناسبة اليوبيل الذهبي للثورة الفلسطينية وانطلاقة حركة فتح نضع للتفكير المتمهل ورقة لنتداولها حول الفكرو الثقافة والتثقيف في الحركة الوطنية الفلسطينية علنا نكسب الأجر أو الأجرين.

لدى السياسي تصبح الثقافة فعلا ضروريا لأنه معني بمخاطبة مساحات واسعة ونماذج متنوعة وجماهير ذات اهتمامات وتطلعات متعددة. مهما كان جامعها (قضية) موحدة فإن احتياجاتها لا تشكل عندها أمرا ثانويا وإنما مترافقا مع نداء الواجب.

ولكل شعب أو تنظيم أو جماعة ثقافتها التي من المحقق امتلاكها لعدد من المقومات هي: التعدد والتنوع، الانفتاح والاستفادة من الآخر، العراقة والتجذر والتراكم، والأهم من ذلك كما يسترسل الخويلدي الرباط الجامع وتأسيس المشترك، والتقريب بين وجهات النظر المتباينة، وأيضا تحقيق التواصل ومد الجسور بين الأجيال، والتجاوز والتسامي عن

21- بناء على طلب الأخ أمير سر اللجنة المركزية لحركة فتح أبوماهر غنيم عام 2014 كانت الورقة تقتفي الثقافة الوطنية والحركية.

الخلافات والأمور الجانبية.

إن اهتمام التنظيم السياسي بالثقافة يأتي من أنها تقوم ببناء الشخصية أو الشخصيات، لذا اهتمت كافة الدول والتنظيمات والأحزاب بشأن التربية والتثقيف أو جهاز الدعوة الذي يعتبر في مقدمة الفعل الحزبي المهدّف.

يقول المفكر العربي مالك بن نبي (القدرة على إنتاج الفكرة هي ميزة الإنسان وحده، بحيث أنها تمثل الحد الفاصل بينه وبين جميع الكائنات الأخرى، ويجمع هذه الأفكار المنتجة يظهر النسق الفكري على هيأة أفكار مرتبة، وهذه الأخيرة عند ضمها بعضها إلى بعض تعطي مذهبا أو فكرانية (= إيديولوجية) معينة، وهذا التركيب إن هو وجد مساحة له في الواقع، ليظهر عبر الممارسات المختلفة للأفراد، وبعدما يكون قد شغل حيزا هاما بين مقدساتهم المتنوعة، فإنه يطل عليه مصطلح الثقافة، لذلك فالثقافة هي: «... ما يبقى عالقا بالأذهان عندما ننسى ما تعلمنا على مقاعد الدراسة والجماعات...».

يقول لينين (أن التثقيف السياسي يعني نتائج عملية، يعني تعليم الشعب كيفية بلوغ ذلك..) (يجب على هيئات التثقيف السياسي أن توجه عملها كله نحو الهدف، إن مكافحة الأمية أمر ضروري ولكن معرفة القراءة والكتابة وحدها لا تكفي. إذ لا بد من تلك الثقافة التي تعلم النضال ضد الأمية والغطرسة الشيوعية والرشوة).

إن الثقافة الحركية تعد المكان الأول في بناء الشخصية، وتنمية الفكر الفتحوي، وتمثّل حقيقة التعبئة ومضامين المبادئ والأهداف والمنطلقات التي يجب أن تكون الهادي والمرشد لمسيرة الحركة والشعب، ولطريقة عمل الأعضاء والكوادر وفي نظرتهم للأمور، وفي استعدادهم للعطاء والبذل، وبناء الشخصية في اتجاهاتها الخمسة: الجسد والنفس والروح

والعاطفة والعقل.

إن تكامل الفكرة الحركية في «فتح» تتجلى من حيث هي فكرة وطنية جامعة، فكرة تحررية للوطن والإنسان، ومن حيث هي فكرة عقلانية تشاركيّة ديمقراطية بالمجتمع، ومن حيث هي فكرة بناء لا هدم للكيانية الوحدوية الجامعة، ما يعني أنها فكرة عميقة وأصيلة متجذّرة.

الوطنية والتحرير والثقافة الحركية

تأخذ «**الوطنية**» عندنا معنى التخصيص والتكريس والأولوية لفلسطين، لا معنى الانعزال أو الإقليمية والانكفاء عن المحيط العربي، وهي بذلك مبدأ أو فكرة لا تنطلق من فراغ، وإنما من واقع الارتباط الحضاري العربي الإسلامي في الأفق الحضاري العالمي، العقلاني والمتفتح على تجارب الشعوب قاطبة.

وبذات الوقت فإن فكرة }التحرر{ في حركة فتح لا تقتصر على منطق تحرير الذات والمجتمع من رواسب الجهل والتفكير السلبي، لسبب النكبة والواقع الفاسد وغيرها، ولا تنطلق فقط من واقع الظروف الصعبة وما تحمله من مشاعراليأس والقنوط لدى البعض، وإنما تبغي إلى ذلك تحرير الوعي الحضاري الشمولي.

وتسعى فكرة أو مبدأ التحرر للتخلص من واقع الاحتلال الجغرافي للإسرائيلي لبلادنا عبر **المقاومة الشعبية بكافة الأشكال** وليس هذا فقط، وإنما التحرر أيضا من شِباك الغزو الثقافي-الاقتصادي الصهيوني الاستعماري لعقولنا وأرضنا ومقدراتنا في فلسطين والمنطقة العربية.

إن القدرة الحركية في «فتح» وفكرتها أيضا تتجلى في «**التشاركية**» حيث تؤمن بالعقلانية لا بالأساطير والخرافات الممزوجة بسياقات فكرية، وتؤمن **بالحوار والاختلاف والديمقراطية ضمن معادلة الحرية والالتزام**

في داخل التنظيم، وهو ما أسس فيها للفكر «**الوحدوي**» الذي يجمع المؤتلفين والمختلفين معا في إطار الثورة و(م. ت. ف) ثم في إطار السلطة والدولة القادمة الذي وهو الفكر أو المبدأ الفتحوي الذي يرفض الإقصاء والاستعلاء ورفض الآخر.

إن حركة فتح في سعيها لأخذ دور «**فوق وطني-إنساني**» تسعي لأن يكون لها موقع في النسيج العربي والإسلامي والعالمي من حيث دعوتها الشمولية لتحرر الفكر والثقافة وارتباطها البناء بالحضاري العربي الإسلامي وإسهاماته المسيحية الشرقية، الذي يتقبل الآخر وفي نطاق تحقيق الأهداف **الإنسانية الجامعة بالحرية والمساواة والعدالة والتقدم.**

مكونات التثقيف الحركي والتعبئة

من الممكن أن نتعرض **للثقافة وعملية التثقيف والتعبئة للشعب الفلسطيني وفي حركة فتح في سياق 7 أمور:-**

الأول يتمثل في: سعينا الدائب لتحقيق هدف وغاية **النضال الفلسطيني المرحلي** المتمثل بتحقيق مشروعنا الوطني بالتحرير والعودة والدولة في سياق النضال الثوري السياسي

ثانيا: إن ثقافة الحركة، والثقافة الوطنية الفلسطينية عامة هي ثقافة النضال الوطني الفلسطيني وهي ثقافة البناء لمكونات الوطن، وهي ثقافة الجماهير بكل شرائحه، لأنها ثقافة مشروعنا الوطني، ولأنها ثقافة الكفاح والمقاومة بطابعها الجماهيري الشامل وليس النخبوي أو الضيق، **ما يستدعي برنامجا وطنيا متكاملا لإمضاء ما أطلقنا عليه (الحرب الشعبية طويلة النفس) اليوم بصيغة المقاومة الشعبية الشاملة.**

والثالث: يتمثل في بناء ونشر الفكرة والرواية التاريخية الحضارية التي تمثلنا والتي تبرز حقيقة التمايز (والتأكيد) بين **إيماننا المطلق بأن أرض**

فلسطين (التاريخية) لنا منذ الأزل وإلى الأبد، وبين سعينا لحل واقعي يأخذ بالاعتبار قواعد علم السياسية وفن الممكن ومتغيرات الإقليم.

الرابع إن ثقافتنا يجب أن تكون ثقافة **وعي وفهم وتصدي ومواجهة تواجه طبيعة الاحتلال الصهيوني (الاحتلالي الإحلالي الإلغائي للآخر)** الذي يحاول إلغاء وجود الشعب الفلسطيني عبر تزوير الحقائق التاريخية والسياسية وعبر التكريس للوقائع على الأرض، وعبر طمس هويته الوطنية، وتشويه صورة نضاله، وسلبه حقوقه المشروعة

أما خامسا فإن على الثقافة الفلسطينية والحركية خاصة أن تجهد في بناء أو دعم **طرائق تفكير علمية عقلانية ايجابية تحفيزية ابداعية في عقول المنتمين للحركة** بحيث يتمكنون من رفد الحركة بعطاءاتهم وبرامج عملهم اليومية، ولا يكونوا كما مهملا أو أرقاما في سجل العضوية بلا نفع، فدرب الثورة طويل وشاق ولا يصمد فيه إلا الرجال والنساء المؤمنون بيقين، لا تخالطه شكوك بضرورة التحدي والتضحية والنصر.

وفي ذات السياق العقلاني يتم **دعم الانتماء الوطني فوق الانتماء الحزبي العصبوي الضيق** ما يؤكد فكر حركة فتح الرحب الذي ينهد للحرية والحوار والديمقراطية، وهو الفكر الوحدوي الجامع، الذي يرفض التفرد أو الهيمنة أو الحصرية أو الإقصاء للآخر.

سادسا أن بناء الذات والتعبئة والتثقيف في حركة فتح يقتضي **تكريس معنى الحياة التنظيمية الديمقراطية بما هي التزام وحرية، وتأكيد دور التنظيم الأساسي بتحقيق الالتحام بالجماهير** بكافة فئاتها وشرائحها، وما يمتزج مع ذلك من ممارسة بث الوعي وخدمة الشعب، ما يقتضي من التنظيم بالآليات المناسبة: تكريس مبدأ الاجتماعات الدورية والدورات واللقاءات والندوات والثقافة الذاتية والجماعية للكوادر وللجماهير، ما

يقتضي قيام العضو من تلقاء نفسه ببناء شخصيته بالعلم والعمل عبر التجارب والقيام بالنشاطات، أي بالممازجة الفعلية بين **النظري والتطبيقي**، وبين ما يقوله ويفعله، وبين الحرية المتاحة في الإطار ومنطقة الالتزام، وبين ما ينتقده ويقابله بمبادرة يجتاز بها الطريق النضالي الطويل، كما يتجلى دور القناة التنظيمية الواجب بالبناء الكادري والجماهيري.

سابعا: كما أن الإيمان بالفكرة لا يظهر إلا بإتباعها قولا وعملا، فإن **قناة التعبير عن الفكرة والثقافة الحركية يجب أن تكون سالكة**، ويجب أن تكون مهنية، ومتطورة بحيث تصبح هذه القناة أو الوعاء أو الإطار **أداة صالحة للاستيعاب** وحُسن الاتصال وممارسة القيادة والإدارة والتخطيط والنقد ودقة المتابعة والرقابة.

إن ركائز الاهتمام في الفكر الحركي لا تتمحور حول الإيمان بصحة الفكرة أو الغاية أو المبدأ فقط لأن المبادئ بدون أرجل لا تنتشر، والأفكار دون حَمَلَة مشاعل يضيئون بها طريقهم وطريق الآخرين قد تموت، والفكرة بما هي إنسانية إن لم تخضع للتجدد والتطور والتغيير في ظل معادلة الثابت والمتغير منها فإنها مرشحة لأن يتجاوزها الزمن، وهذا التجدد أو التطور من المهم للفكرة وحملتها أن يكون ضمن قنوات سالكة.

جامعة الفكر الفتحوي

الثقافة والتعبئة والتربية التنظيمية في حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» ترتكز حول «**ذات الفكر الفتحوي**» الذي يمثل النور الذي نحمله لفلسطين والعالم منطلقين بحافز النفس الطويل، بما يشتمل عليه من مضامين: تاريخية حضارية تعبوية جذرية، ومضامين سياسية واقعية متغيرة، ووعي ثوري متجدد يأخذ تجارب كل الشعوب في التحرر والاستقلال والثورة بالاعتبار، وأدوات فعل ثورية متطورة ما بين الكفاحي

والمقاوم والشعبي، وإيمان ديني مستنير، وأسس تنفيذ إدارية قيادية علمية إنسانية، وسياقات اتصال وتواصل ديمقراطي لا ينقطع.

كما أنها كفكرة أو ثقافة حركية من المهم أن تُفهم جليا، وفي خانة أنه مهما غيّرنا في أثواب العرض لها، فإننا نميّزدوما فيها بين الثابت وبين المتغير، بين المطلق وبين النسبي، في بوتقة الصهر الفتحوي التي لا تكترث بطبيعة الاتجاهات الفكرانية (الأيديولوجية) للمنتمين للحركة أو بمقدار اقترابهم أو ابتعادهم عما يحملونه من فكرانيات (أيديولوجيات) لأن الكلمة الجامعة والنور المتجلي في فكرة الثقافة الفتحوية لنا والأمة هي فلسطين التحرير والاستقلالية والوحدة، وحركية الوسيلة (الوسائل) وبناء الكيانيّة في إطار ديمقراطي تشاركي حر يسعى للتقدم والعدالة.

العضو الإنسان

حَمَلةَ النور هم الأعضاء في الحركة، لذا فإن التمحور في عمل الحركة القادم يجب أن ينصبّ لما فيه خير الأعضاء ومطالب الجماهير المتغيرة في سياق العمل النضالي.

إن الاهتمام بالعضو يجب أن يكون له الأولوية على الاهتمام (بالعضو في الإطار/ الموقع/ المركز) بمعنى التوجه في بناء العضو الشخص المبدع لا العضو القائد فقط، من حيث تنفيذه لما هو مطلوب منه من الواجبات وما يقابله من اكتساب الحقوق التي تعني بحجم مشاركته بالإطار والمبادرة والفعل الجماهيري، وما يقابله أيضا مما يحصل عليه من مكافأة أو مردود معنوي محبّب على إنجازاته، تتمثل بالدور والمكانة والاحترام استنادا لما يقوم به العضو من فعل ضمن مقياس تنظيمي دقيق، لا من منظور تبوئه لموقع قيادي ما، ببساطة فإن الإنسان العضو هو الهدف وليس موقعه (أو منصبه)، وعليه يصبح عبء إيجاد ومتابعة دور وعمل ومهمة ونشاط

لكل عضو مسألة ذاتية، ومسألة حركية معا لا غنى عنها.

الإطار أو القناة السالكة

لا يمكن أن تجري المياه بشكل سلِس إلا عبر قنوات مفتوحة، ومن هنا تأتي ضرورة الاهتمام الواجب في حركة فتح بالإطار التنظيمي-خاصة بالأطر والمكونات القاعدية- الذي يجمع الأعضاء وينسق جهودهم ويتابع نشاطاتهم ويعبئهم ويثقفهم ويحفزهم، وقبل كل ذلك يحافظ على الصِلة معهم في ظل مركزية المتابعة والقرار وديمقراطية الرأي والإبداعات.

والإطار التنظيمي إن لم يكن قادرا على حمل الأعضاء نتيجة الخلل الذي قد يقع بأحد الاتجاهين من أعلى إلى أسفل أو العكس يعني إما تجميد الحِراك والفعل الكلي، أو التهرب والتكلس وظهور فكر السلبية والإحباط والسوداوية، وربما الابتعاد العدواني، ومن هنا جاءت الأهمية للمرتكزات الثلاثة في الثقافة الحركية ألا وهي (الفكرة والعضو والقناة).

ومن هنا تأتي ضرورة إنشاء قناة موازية ومتقاطعة مع الإطار التنظيمي، متقاطعة لأن عملها متداخل كليا مع عمل الإطار التنظيمي، ولكنها موازية لأنها تعمل بشكل تخصصي محدد على طول الإطار التنظيمي من أعلى إلى أسفل بالتنسيق الثابت مع الأطر فيما يتعلق بالتربية والتثقيف الحركي وذلك عبر **مركز أو معهد أو مؤسسة متخصصة بالتدريب وإعداد الكادر والتثقيف والدراسات الحركية.**

وفي إطار القنوات يجب أن يتعانق الفكري والسياسي معا، كما يندمج **الفني والتربوي والتثقيفي بالقلم والفرشاة ولوحة المفاتيح**، بما يشمله ذلك من شعر ونثر وقصة ومنشورات ومقالات ودراسات وكتابات متعددة ورعاية الكُتاب والبحاثة والعلماء والشعراء، وكذلك دعم الفنانين الفلسطينيين بكافة المجالات أكانت نتاجاتهم لوحات فنية أو تمثّلات فنية

عبر الحاسوب والشابكة (الانترنت) أو دبكات أو أناشيد أو غناء أو صناعة الشرائط (الأفلام) أو فرق تمثيلية ومسرحية تعيد **بعث التراث والفلكلور الوطني الفلسطيني** والاهتمام به وحسن إبرازه ما هو دور وطني وفتحوي في آن واحد لا يغنينا عن عمل فرقة تراثية أو فنية مركزية جنبا إلى جنب مع بناء مراكز أو لجان ثقافية في كل الأقاليم.

الثقافة والتجارب ووسائل الاتصال الحديثة

إن العالم قد تحول اليوم من خلال وسائل الاتصال الحديثة إلى قرية كبيرة، لا نستطيع من خلالها أن نفرض رأيا أو فكرة أو منهجا أو قرارا أن لم تكن مرتكزة على: مقدار صِحة وصوابية الفكرة وفائدتها اتعكاسا على الواقع للفرد والمجتمع، انها الفكرة المرتبطة بالغاية، وبقدرة الأعضاء على التعبير عنها وتمثلها وتطبيقها، وعلى كفاءة الإطار بآليات التدريب والاجتماع والتثقيف والتكوين التنظيمي التي إن أهملت أصبحت التجارب الحركية متناثرة وأصبح الأعضاء كل في واد.

ومن هنا وجب التأكيد على أهمية (الإطار/ الوعاء/ القناة) من حيث تحقيقه لاحترام الفرد لذاته ودوره وعمله الجماعي، ومن هنا التأكيد على أهمية الإطار من حيث الفرصة المتاحة له فيه للحوار والتعبير والحديث والنقد والنقاش بدلا من أن يقضي الساعات الطوال ينفّس عن غضبه لعدم إعطائه الفرصة للتعبير في وسائل التواصل الاجتماعي على الشابكة (الانترنت) مفترضا أنه بذلك يقوم بدوره الحركي وما هذا إلا لانسداد أو عدم كفاءة أو عدم فاعلية القناة من جهة، ولسبب الأسلوب القيادي غير الفاعل بافتقاده قدرة الاستيعاب والاحتضان أو بعدم تفعيله لأداة المحاسبة والمتابعة من جهة أخرى، وأيضا لضعف إيمان العضو واستهتاره بدوره الحقيقي في الإطارمن جهة ثالثة.

إن ثقافة حركة فتح يجب أن تدمج بين تجاربها الأربعة الكبرى: **تجربة القواعد** الثورية في الخارج و**تجربة المعتقلات** في الوطن، و**تجربة التنظيم في الخارج** مع النقابات والعمل الاجتماعي، مع **تجربة التنظيم في الوطن** بشقيه الشعبي الاجتماعي وشقه الثوري التنظيمي.

ولتحقيق دمج التجارب في آليات العمل التثقيفي يقتضي منا حُسن التواصل الميداني أولا عبر الاجتماعات الدورية اللازمة، وعبر اللقاءات المتواصلة، ثم بامكانيات استخدام الشابكة والتقانة العالية عبر فتح أسس التواصل الحر في الفضاء الالكتروني وما يقتضيه ذلك من إنشاء كلية أو مدارس أو معهد عبر تكوين سلسلة محاضرات حركية (ودراسات وكتيبات ونشرات ورسائل، ومنشورات) تجعل من التنوع الحيوي هدفا يدمج بين المرئي (استخدام اليوتيوب وأشباهه) والصوتي (إنشاء أو دعم الإذاعات على الشابكة=الانترنت) وتسخير الصور والرسومات والمنتديات والملتقيات والمواقع، ووسائل التواصل الاجتماعي كلها بما يحقق مضامين الفكر الفتحوي، وتحقيق حُسن الاتصال بالاتجاهين، وبناء شخوص حملة النور، خاصة في قطاع الأشبال والطلاب في الوطن والخارج.

إن أهمية استثمار وسائل التواصل الاجتماعي والشابكة لا تغني مطلقا عن ضرورة العمل الميداني بل تُكامِله وتربِطه وتعرِضه ما دامت الجهة المقصودة في تثقيفنا هي العضو، لذا هو المعنِي فردا وجماعة بنشر فكر وثقافة ومواقف وسياسات الحركة للجماهير، بكل فئاتها من فلاحين وعمال ومناضلين قدماء وموظفين وتجار، وأيضا من حيث السن من الأشبال والزهرات وصولا للشبيبة، إلى كل فئات المجتمع بمؤسساته ونقاباته المختلفة.

كما أن للشابكة (شبكة الانترنت) والعمل الجماهيري الحركي عبر الندوات واللقاءات والتنسيقات دور أساسي بتحسين شكل التوجه

للمؤسسات والأحزاب والتنظيمات في المجتمعات خارج فلسطين.

القناة أو الإطار

يظهر في العمل التنظيمي في المنظمات والأحزاب نوعان من الأعضاء، عضو يهمل الإطار فيعطله وعضو يتمسك بالقناة (الإطار) إلى الحد الذي يرفض معه أي فعل من الممكن أن يتجلى خارجه، وبالتالي يقمع فكر الإبداع والإمكانيات، وهي نظرة حصرية تفترض (الامتلاك) للعضو من حيث هو منتمي للتنظيم فلا يستطيع فعل شيء إلا بأمر أو من خلال تكليف أو عبر الاجتماع.

إن شدّة التمسك بالإطار إلى الدرجة التي يصبح فيها العضو أسيرا له لا يستطيع أن يتنفس خارجه ولو بكلمة شكر أو تعبير عن احترام أو مبادرة أو إبداع خطر يكتنفه تحقق الجمود والاستبداد:

1. إن التمسك ذو الطابع الاستبدادي بالإطار أو القناة يظهر من خلال:
2. التمسك بالقناة باعتبارها الأداة الوحيدة لكل من الرأي السياسي والثقافة والقرار والمهمة (العمل) والثواب والعقاب، ما قد يؤسس للاستبداد إن لم يخالطه حُسن التواصل.
3. عدم الاعتراف بأي فعل وإن كان مثمرا وايجابيا، إن لم يكن الإطار صاحب القرار فيه.
4. التشدد في التعامل مع العضو إلى الدرجة التي من الممكن أن يعاقب فيها لأي هفوة فيطرد خارج الإطار إلى حد التجميد أو الفصل.
5. تقدم الجماعات الرافضة (أو الأفراد المتذمرون) للإطار سواء من شخص المسوؤل أو طريقة إداراته إلى تشكيل علاقات سرية موازية.
6. تقوم الجماعات التي تعتبر أن حياتها تبدأ وتنتهي من خلال (القناة)

إما إلى انشاء أطر موازية بغرض التحدي أو ينفرط عقد الأفراد فيبتعدون شيئا فشيئا عن الإطار إلى درجة اليأس أو الإنكار ما قد يؤدي للانشقاق والخروج.

النظرة الثانية لا ترى في الاطار أهمية وتتعامل معه بشكل هلامي بمعني أنها تستخدمه وتستغله فقط في حالة الحاجة ولا تكون الحاجة شديدة إلا في 3 مواضيع رئيسية الأولى لغرض عقد مؤتمر والثانية لغرض عمل تظاهرة ما والثالثة لحل مشكلة مستعصية.

إن النظرة الاستغلالية للإطار هي نزعة استبدادية تضيق ذراعا بالحوار ولا ترى في الآخر موازاة أو مساواة تتيح له أن يناظرها، أو لأنها تخاف منه فتتجنبه أو تقصيه.

يقع الاستغلال للقناة (الإطار) ليس فقط من المسئول الأول، وإنما قد يحدث من عدد من المنتمين فيه عبر تعمد إضعافه أو تصويره هزيلا أو إدخاله بعقلية تخريبية في قضايا ومشاكل هو في غنى عنها فتشتت جهده، إذ أنه بدل أن يتحول لإطار نقاش مثمر وتخطيط وتوزيع عمل وتثقيف ومتابعة وحوار يتحول إلى إطار مخصص فقط لتلقي الضربات وحل المشكلات.

قد تجد درجة أكثر تطرفا في إهمال الإطار أكثر من جعله هلاميا أو منسيا أو موسميا وهي الدرجة التي يتم فيها التعامل معه مرة واحدة بين مؤتمرين أو عمليتين انتخابيتين وربما فقط على الورق بمعنى إن الأسماء الواردة أما غير حقيقية أوانها مجرد أسماء بلا فعلا لا بالماضي ولا بالمستقل.

الفكرة مهما كانت جميلة أو صحيحة أو مثمرة لا تنتشر إن لم يحملها شخص أو أشخاص قادرين على نشرها بالتبشير والدعوة والاستقطاب لها.

أصل الفكرة أن تُلهم المرسِل وتحرّكه فتهزه من الأعماق، وأصل الفكرة

عمق بحث أو تنوير، أو رسالة تتبلور نتيجة الوعي والظروف المتغيرة – أصل فكرة الرسالات السماوية مشيئة الخالق لتحقيق الاستخلاف بالهداية والتوحيد والعقل والدين والعمل – وهذا الرسول أو الناقل أو الحامل للفكرة إن استطاع بلورتها بشكل جيد ومن ثم إيصالها لغيره عندها فقط نستطيع أن نقول أن الفكرة خرجت من البئر عبر دلو الرسول ماء سلسبيلا يروي المتعطشين.

الداعية أو المبشر أو المستقطِب شخصية محورية في أي تنظيم – وإن كانت الدعوة والاستقطاب مهمة الجميع فلا تنجح في الواقع بها إلا قلة – لأنه شخصية تتمتع بمواصفات جذابة في البناء والعرض.

ويأتي دور الوعاء أو القناة أو الإطار ليشكل حاضنة أو مدرسة للدُعاة – إن سلمنا إن كل المنتمين كذلك أو مدرسة للأعضاء إن كان لهم أدوار أخرى مطلوبة.

دور الوعاء في الإعداد يعني التربية والتثقيف، إذ أنه في ظل سيل المعلومات من خلال وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة قد يفقد الإطار بريقه التربوي ما يحتاج من الداعية أو المنظر في كل إطار إلى جهد مضاعف ليقدم الفكرة أو النشاط أو المهمة بشكل ابداعي أو متجدد أو ملهم يستطيع أن يحقق الجذب للأعضاء.

ولاكن لا يقتصر دوره على (الإعداد) والتثقيف على أهميته، وإنما أيضا على اعتباره مساحة متاحة للحوار والتخطيط والنقاش كما هو لتلقي الرسمي من الوضع السياسي وبوابة الاطلاع على حقيقة الأخبار التنظيمية، كما أن الإطار يحتاج لبناء علاقات أخوية تأخذ بالاعتبار القيم الخلقية من محبة واحترام وتواصل يشمل أعضاء الإطار ليمتد إلى الأطر الأخرى وإلى الجماهير.

من الأهم، العضو أو المؤتمر؟

إن كان المؤتمر -أي مؤتمر قيادي-هدف كل الكوادر (في المساحة الجغرافية أو ضمن معطيات الحضور) بمعنى الحضور جسديا فكأننا نحصُر الفكرة وتجلياتها بإطار محدد يتم تحميله أكثر مما يحتمل في حقيقة الواقع المتطور

بينما ما يجب أن ندعو له هو تعزيز فكرة الحضور للكادر بالرأي والمشاركة والتواصل سواء أكان جسديا حاضرا أم لا (جنبا إلى جنب مع التثقيف الذاتي والجماعي ضمن الإطار وخارجه دوريا)

لماذا نقول ذلك؟

لأن الفكرة أو الرأي أو الفعل في ظل وسائل التواصل اليوم قابلة للوصول والتبني من عدمه، بقدرتها على النفاذ شاء الشخص في الموقع المتقدم أم رفض، وتؤثر فيه أصرّح بذلك أم رفض

إنما السؤال الآخر هو: ما إمكانية أن نصل إلى مرحلة نستطيع بها أن نحول الفكرة -أي فكرة صالحة- لدى الكادر لتصبح تسير على الأرض؟ إن لم نكرسها أولا!

الفكرة تتفاعل مع غيرها، فتزيد وتنقص وتتعدل، لكنه في ظل هيمنة فكرة «التقليص» لا «التوسيع» في عدد الحضور المشارك في المؤتمرات القيادية في التنظيم-أي تنظيم، فإن علينا أن نجد حلا؟

لأنه تطغى اليوم «الفرضية القديمة» التي تقول أن الحوار والثقافة والقرار لا يتخذ إلا بالإطار فقط (المؤتمر/ اللجنة العليا/ القيادة أو الإدارة العليا/ الإطار)؟!

بينما في حقيقة الأمر أن هذا الشكل القديم لاتخاذ القرار، أي أنه

يتخذ فقط باللجنة (الإطار) قد تجاوزته التِقانة الحديثة، كما تجاوزته قدرات الإبداع والتغيير، وتأثيرات المحيط في الحركات الشبابية والمبادرات الكادرية في التنظيم السياسي والمجتمعي التي فرضت نفسها على طاولة صاحب القرار أو فرضت نفسها على جدول أعمال أي مؤتمر

المعنى أننا يجب أن نفكر معا كيف نوصل فكرنا ورأينا عبر العمل على الأرض، ما هو أولى من أن نغرق في قصة هل لنا مكان في مؤتمر الإقليم أو المنطقة أو المؤتمر العام.

لأنه دون تكريس عمل على الأرض: مبادرة وعطاء وعمل يومي، وإنجاز، فإن الفكرة المهيمنة ستظل فكرة الحصر للقرار (والنفوذ) في نطاقه الضيق ما هو معاكسة للعصر والتقدم الحاصل، ما يقابله فكرة المظلومية والإنحسار والابتعاد والسوداوية لمن لا يضُمه إطار محدد خاصة إطار علوي وبالأخص في المؤتمرات (أي في قمة الهرم التنظيمي)

إن الأصل في الثقافة الحركية يجب أن تكون ممثلة في: بناء العضو من حيث هو عضو، إنسان، والاهتمام بأن يقوم بواجباته أولا ليصبح عضوا نشطا فاعلا وليتحمل مسؤولية مطالبته بحق إسماع رأيه بعد أن يكون قد استطاع المرور بمرحلة بناء الذات -التي لا تنتهي- فبناء الذات مسيرة متصلة يتعاضد فيها دور العضو مع التنظيم ويتكامل

إن أهمية العضو لا تأتي من وجوده في قمة الهرم التنظيمي إطلاقا ولا يجب أن تأتي من حضوره في مؤتمر أو عدم حضوره له، كما لا يجب أن تأتي من مقدار نفوذه داخل الإطار المعنى مطلقا؟

فالكثير ممن هم بالأطر ومن النافذين لا يزعجون عضوا أو بشرا ولا بمقدار جناح بعوضة لأن ما يفعلونه أو يقولونه هراء، وإن أثر في جماعة وقرار ما

إن العمل الباقي في الأرض وفي فلسطين وفي حركة فتح هو العمل النافع لفلسطين أولا ما نحتاج منها هي أولا وسام البطولة أو وسام التحدي أو وسام المحبة.

ثم إننا نحتاج العمل لتسليك القنوات التنظيمية لتصبح مفتوحة بمقدار طلب إسماع الرأي وبمقدار ضرورة التثقيف وبمقدار الفعل اليومي الذي يجب أن نقوم به بلا كلل، وبمقدار تواصلنا اليومي والأسبوعي في اجتماع يضمنا ويقرب أفكارنا.

إن العضو بأهمية ما يفعل، ويقدم لله ما هو لسعادته في الدنيا والآخرة، والعضو بمقدار ما يقدم لفلسطين وحركة فتح وإرضاء لضميره الحي، لا يهمه فساد الفاسدين-الذين يقاومهم ويصارعهم حتما- ويسير واثق الخطوة أبدا.

العضو الجندي والعضو الملك

هل يأتي على التنظيم السياسي يوم من الدهر يتعامل فيه مع العضو على أنه (القيمة) الحقيقية وأنه (رأس المال) الحقيقي للتنظيم وأنه (المُكرّم) و(المستخلف)؟

وهل يأتي على التنظيم يوم من الدهر يتمكن فيه العضو العادي أن يفتخر أنه «لصوته» دورٌ في تقرير السياسات وأن «لرأيه» اعتبار وأن «لنشاطه» «تقدير»، وأنه يستطيع أن يحقق في إطاره «المكانة» التي يبتغيها من خلال قيامه «بالدور» الذي يرتئيه والمتوافق مع ذاك الدور؟

نكاد نجزم أن الفترات التي كان يعتبر بها التنظيم «وقود» الثورة بمعنى «المجاميع» التي يتم تحريكها دون إرادة منها أو مشاركة، قد ولى؟.

ونكاد نقرر أن العصر الذي كان يتم النظر فيه إلى العضو أو الفرد في الجمهور باعتباره «مادة» الثورة قد ولى؟ فالمادة والمجاميع والوقود تُعامل

مع جُموع كأنها واحد وتعامل مع حشود لا جماهير تفكر ولها مطالب وآراء من الضروري أن توضع في الميزان.

إن العصر الذي كانت فيه الفكرة تلتمع برأس (المفكر) أو (القائد) أو (الملهم) أو المدير الجهبذ لم تعد قادرة على الصمود لتمثل معنى الإبداع الحصري، فكل شخص يمتلك الامكانيات والقدرات ويتعب في بناء ذاته من الممكن أن يصبح مفكرا أو مبدعا أو إيجابيا أو منفّذا أمينا أو مُلهما في أعماله وأفكاره لذاته، وملهما لغيره،. أي أن اقتصار الفكر والإبداع والإلهام على فئة محددة تشير إلى المجاميع/ الجماهير بما هم كتلة صماء هو عصر قد ولى.

إن أهمية المجموع الواعي بمعنى الهيئة العامة للتنظيم أو بمعنى الجماهير لحزب أو مؤسسة مفهوم قابل للحياة في إطار احترام الحزب بقوانينه وتياراته وهياكله ونشاطاته ديمقراطيته للعضو، وللشخص، وهي أهمية تقتضي إعادة النظر في التعامل مع أعضاء الحزب من أنهم كتلة صماء أو مجاميع أو حشد أو مادة إلى التعامل مع كل منهم كإنسان ذو قيمة يشكل رأسمال التنظيم أو الحزب وهو المكرّم لأنه المستخلف على أمانة التنظيم بعدنا.

أما أهمية العضو التي يجب أن تُصاحب الهيكل/ الإطار التنظيمي من أسفل إلى أعلى أي من النواة الأولى بمعنى الخلية أو الشعبة فتبرز من خلال طريقة النظر للعضو ثم طريقة التعامل معه فلا يعاني من الارتباك أو الخشية أو الإهمال أو التجاهل كما لا يجب أن يعاني من الظلم والاستبداد والإقصاء.

آليات تمكين العضو

إن النظرة الصحيحة للعضو تأتي من خلال تمكينه عبر سلسلة من الخطوات كالتالي:

1. أن يمتلك المعلومات عن الوضع السياسي بشكل دوري، من إطاره.
2. أن يُنمّي ذاته ويطور قدراته بنفسه: بالتجربة والقراءة والتطبيق، وبالحث والمتابعة لذلك من إطاره.
3. أن يمارس حقه بإبداء الرأي بحرية تامة داخل إطاره.
4. أن تُسند له الأعمال والنشاطات والمُهمات التي تتناسب مع قدراته ويقتضيها الحدث.
5. أن تتم مساعدته بأن يُقدم من وقته ومن جهده ومن ماله اشتراكه الدوري في سبيل التنظيم والعمل.
6. أن يطرح أفكاره ومشاريع عمله ويشارك في صنع الخطط والقيام بالنشاطات في إطاره-خليته/ شعبته/ لجنته.
7. أن يقدم المقترحات والتوصيات ومشاريع العمل عبر إطاره للأطر الأعلى ويتلقى الرد أن سلبا أو إيجابا دون إهمال أو تقصير أو استهتار.
8. أن يتعلم كيف يفكر بمنهجية التنظيم وأسلوب عمله، بان تصقل شخصيته بالندوات والدورات والتدريب والتكليفات.
9. أن يحس بأنه ثمين، وأنه محترم وأنه يكافأ إن أحسن، ويجازى بالقانون إن أساء.
10. أن الحد الأدنى لممارسة العضو الفاعل التي تستجلب رضاه الذاتي ورضا التنظيم، ورضا الله سبحانه قبل ذلك، أن يعبر عن فكر

التنظيم وقراراته بلا مواربة، بل ويفتخر بذلك. وان ينتقد في الإطار، وفي المقابل أن يُصان رأيه فلا يُسفّه، وأن يتم إشراكه في القرارات المصيرية داخل شعبته أو إقليمه أو في الحركة عامة، ويتم ذلك وحسب النظام بواحد من طرق ثلاثة: إما عبر صوته في الانتخابات أو عبر تنفيذه للقرارات وقيامه بالنشاطات التي يُثاب عليها، أو بالاحترام والاعتبار لرأيه مهما كان مخالفا ما دام ملتزما بآداب الحوار والحديث وفي إطاره لا على صفحات «الفيسبوك» وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي عبر الشابكة، أو في الشارع.

عدد أم دور ومكانة

إن قيمة العضو ضمن (المجاميع أو الحشد أو الكتلة الصماء) هي احتسابه عددا يُضاف للأعداد الأخرى، أما أهميته ضمن التنظيم أو في إطار الجماهير فتتجلى بأن له دور محدد (عمل ومهمة وتكليف...) وله مكانة وله رأي محترم والفرق بين منهجي التفكير كبير، كالفرق بين الخادم المملوك الذي ليس له من أمره شيئا وبين السيد الحر المالك لأمره فالأول عبارة عن منفذ أمين بلا عقل ولا روح والثاني هو المنفذ الأمين ولكن بعقل وإيمان وروح. ولسنا في هذا الزمان ممن يقبلون لأنفسهم أو لغيرهم التسيّد على أحد وكما قال الله تعإلى (وجعلناكم ملوكا-المائدة20) بمعنى أحرار كما جاء في الآية الكريمة.

إن الفكرة العظيمة تظل حبيسة العقل إن لم تجد لها قنوات أو دعاة مبشرين يستطيعون أن يحملون عبء هذه الفكرة. وهنا يأتي دور العضو الأساسي، فهو إن كان مؤمنا ايمانا يقينيا بالفكرة والهداف بذل في سبيل تحقيقها الكثير من عقلة وجهده وإمكانياته ووقته بل ومن ماله، ولكي تستطيع أن تمتلك عقول وقلوب الناس والأعضاء فعلينا أن نحقق معادلة الحرية والاحترام والدور.

إن الحرية للعضو تتجلى في إتاحة المساحة الكاملة له في إطاره التنظيمي «الذي يجب أن يكون موجودا وإلا أصبح العضو يصرخ خارجه وحينها يصبح اللوم موجها ليس له وإنما للمسئولين» ليقول ويصول ويجول في إطار التزامه الكامل بالفكرة والقانون والقرار، وفي إطار سعيه لخدمة الفكرة والقرار والقانون.

الاحترام الواجب للدور

أما الاحترام الواجب فهو بان يكون «الدور» معبّرا عنه بالمهمة (العمل أو النشاط أو التكليف الموكل به) الذي يتعاطى مع قدراته وإمكانياته ورغباته بما لا يتعارض مع برنامج الإطار وقرارات الحركة، وكما يكون الاحترام للدور بالعمل والنشاط المقياس الحقيقي للالتزام العضو فإنه أيضا يُعبر عنه بمقدار تحليه بالقيم السامية والأخلاق الحسنة فكيف استطيع أن أطلب من الجماهير أو الأعضاء أن يحترموا عضوا شغولا نشيطا قد لا يباريه احد في نشاطه ولكنه سيء الخلق جافي الطباع شتّام لعّان وربما كذاب (حديث الرسول عليه السلام).

ومن هنا يصبح الاحترام مرتبطا بالعمل نعم وبالأخلاق ثانيا لا انفصام بينهما، اذ أنني لا أتعامل مع جهاز الحاسوب الذي لا يمتلك قيما أو أخلاقا فهو يقوم بالعمل بدقة وأمانة ربما أفضل من كثيرين ولكنه مادة أو أداة، وما العضو في التنظيم بأداة أو مادة إنه إنسان يُحترم لإنسانيته ولعمله ولأخلاقه ولمدى التزامه في قياس واجب الوجود يضعه الشخص لنفسه ويضعه التنظيم لكل عضو لديه ليتحقق ماذا فعل في يومه وفي أسبوعه وفي شهره فيحاسب نفسه يوميا على العمل الخيّر وعلى الاخلاق فلا يخرج من يومه إلا وكفّر عن سيئاته وعدّل من مسلكه ومساره، وأعاد نفسه بثوب جديد.

قلنا أن معادلة العضو واحتسابه فاعلا في إطار التنظيم تتحقق بمقدار الحرية الممنوحة حسب النظام وبالاحترام الذي يجب أن يحظى به، وبالدور الذي يجب أن يسند إليه في رداء الأخلاق الثورية الكريمة.

حُسن الاتصالات

إن الاحترام وحُسن الاتصالات بين الأعضاء في الإطار وعبر الأطر أفقيا وعموديا في الهرم التنظيمي تجعل العضو يحس أنه محترم أمام نفسه ومحيطه وفي التنظيم، وأن ما يقوم به له التقدير، وبما يجعله يشعر بالثقة والاهتمام فلا يضطر لأن يخرق انضباط العمل التنظيمي فيجد نفسه يغني خارج السرب ولا يتأتى ذلك إلا بأن يصبح التنظيم بحق راعيا للمبادرات وحفزا للنشاطات ومشجعا للطاقات.

إن الحرية والاحترام والمكانة للعضو في التنظيم مع كل ما سبق لا تتعارض مع العمل الموحد أو العمل المشترك أو العمل التعاوني الذي يجب أن يكون بين أعضاء الفريق الواحد (في أي إطار أو لجنة) ولأن الناس خلقوا مختلفين وتتعدد بيئات نشأتهم لزمت عملية البناء الذاتي والتنظيمي والسياسي والفكري والقيمي-الاخلاقي التي تجعل من الأعضاء بقناعة تامة صوتا واحدا، ويدا واحدة وجسدا واحدا في مواجهة العدو، وفي مواجهة الأخطار، وفي مواجهة الخصوم مع الفوارق في توقيت وشدة المواجهة فقط.

جنديّ وملك

إن معادلة (أشـداء على الكفار رحماء بينهم) تستدعي أن ينسى الشخص أمام المخاطر تحفظاته أو انتقاداته أو انتكاساته ويضع يده بيد من اختلف معه لإزالة الغُمّة وتجاوز المشكلة، وهنا يصبح العضو عبارة عن جندي في سرية أو كتيبة من كتائب الحق التي ليس للعضو فيها إلا

السمع والطاعة والانضباط والالتزام.

إن تبادل الأدوار للعضو بين أنه (ملك-حر) وأنه (جندي-ملتزم) في ذات الوقت يحتاج لحسّ كبير بالمسؤولية قد لا يستطيع أن يدركه ويعرفه ثم يطبقه إلا صاحب الإيمان الساطع والثقة الكبرى وحامل الأمانة المكرم الذي يستشعر أنه وأي كان داخل الإطار مهما علا أو تساوى أو كان في إطار أدنى منه هو يضع على كتفيه ثقلا كبيرا يجب أن يقوم به ولا يقصر أطلب منه ذلك أو لم يطلب.

نعم إن على التنظيم السياسي في هذا الدهر أن يتعامل مع العضو على أنه (القيمة) الحقيقية وأنه (رأس المال) الحقيقي للتنظيم وأنه (المُكرّم) و(المستخلف)؟

وعلى التنظيم يوم في هذا الدهر أن يتيح فيه للعضو العادي أن يفتخر أنه «لصوته» دورٌ في تقرير السياسات وأن «لرأيه» اعتبار وأن «لنشاطه» «تقدير»، وأنه يستطيع أن يحقق في إطاره «المكانة» التي يبتغيها من خلال قيامه «بالدور» الذي يرتئيه والمتوافق مع ذاك الدور؟

لدى السياسي تصبح الثقافة فعلا ضروريا لأنه معني بمخاطبة مساحات واسعة ونماذج متنوعة وجماهير ذات اهتمامات وتطلعات متعددة. مهما كان جامعها (قضية) موحدة فإن احتياجاتها لا تشكل عندها أمرا ثانويا وإنما مترافقا مع نداء الواجب.

ولكل شعب أو تنظيم أو جماعة ثقافتها التي من المحقق امتلاكها لعدد من المقومات هي: التعدد والتنوع، الانفتاح والاستفادة من الآخر، العراقة والتجذر والتراكم، والأهم من ذلك كما يسترسل الخويلدي الرباط الجامع وتأسيس المشترك، والتقريب بين وجهات النظر المتباينة، وأيضا تحقيق التواصل ومد الجسور بين الأجيال، والتجاوز والتسامي عن

الخلافات والأمور الجانبية.

إن ابن التنظيم الحق هو جنديٌ وملكٌ، حر ومنضبط. (وجعلناكم ملوكا-المائدة: 20) أي أحرارا، وكونه جنديا (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ-الفتح٤) وجنود الأرض هم المؤمنين، أي أن العضو الحق يمتلك الحرية (بالحوار والتعبير والنقد) في إطاره، وهو مؤمن بالفكرة ملتزم بعمله ينفذه بمحبة وحماسة

عندما تمطر الانطلاقة بسواعد الشباب

بمناسبة انطلاقة الثورة الفلسطينية، وانطلاقة حركة فتح استوقفتني 5 مشاهد ذات مؤشر ايجابي على متغيرات الفكر الفتحوي، والحالة التنظيمية والسياسية تحتاج لقراءة أكثر ولدراسة وتعمق

الأولى أن هناك عددا من الشباب قد بدؤوا يرتبطون بالقيادة الفتحوية بشكل ايجابي عبر التسمي بأسماء الشهداء منهم، وأن على مواقع التواصل الاجتماعي ما يؤسس لضرورة القراءة والبحث والاقتداء بهم بالاستدلال.

والثانية أن هناك جيل جديد يكرّس همّه للعمل فقط دون جعجعة أو تكاسل أو احباط، ما هو سمة حركة فتح التي قدمت العمل بالمبادرة والتواصل والإبـداع، ورأيت من هؤلاء مشاريع دعم لفئات عديدة في المجتمع من فقراء ومسنين، عدا عن مشاريع مفرحة حقا موجهة للأطفال أو لمقاطعة البضائع من المستوطنات ما قالوه ونفذوه.

والمشهد الثالث هو إنشاء عدد من الكوادر الفتحوية وخاصة من الشباب والشابات لمؤسسات وجمعيات ولجان وحملات تطوعية ناجحة في فلسطين تدلل على رغبة العطاء ليس داخل الحركة فقط وإنما لكل المجتمع الفلسطيني.

أما المشهد الرابع فكان هو بروز عدد من الكتّاب الشباب من الحركة

الذين نجحوا بأن يحفروا أسماءهم في سجل الصحافة والإعلام والحركة، وهم من ذوي التفكير العلمي والنقدي الايجابي، أو الابداعي التعبوي في كل من قطاع غزة والضفة وأيضا من الخارج.

أما المشهد الخامس فكان حجم الفرح المعَبِّر عن الانتماء الذي لاحظته لدى قطاع كبير من الكادر ومن الشباب بمسيرة الديمقراطية والاستنهاض الحركي الداخلي – على ما لدينا من انتقادات كثيرة عليه – وعلى عقد المؤتمرات التي رأوها استرجاع لدور الحركة والحركيين في أخذ زمام أمورهم بأيديهم بالتواصل والمشاركة الفاعلة.

إن الإمساك بالقلم والمعول كما اتخاذ القدوة والعمل المنظم المثمر، والانتماء بالمشاركة من المشاهد النابضة بالحياة التي سطّرها الشباب اليوم الذين يرسمون شكل السحابات الماطرة في بستان حركة فتح وفلسطين اليوم وغداً.

إن الانطلاقة مشعل نور لتحرير كل فلسطين، وهي قنديل أمل يضيء درب الفدائيين، وهي صفصافة شابة صامدة في مواجهة عتو الرياح، وهي خندق مواجهة للواقع الاحتلالي الفاسد، كما هي الخلاصة لقوة الاستمرار الثورية الأكيدة التي أنتجت مزيج الثبات على المبدأ والوحدة الوطنية، ما نحدب على تكرسه في فعل وفكر ونفس الشباب لتظل النار وقادة.

الخطاب بمناسبة اليوبيل الذهبي[22]
الانطلاقة ال50 للثورة الفلسطينية العملاقة وحركة «فتح»

في البدء تجلت فلسطين... تنسُج من خيوط الليل المسبلة ضياء الروح... ولهباً وعواصفا وعِزة

أنا قد كسرت القيد قيد مذلتي/ وسحقت جلادي وصانع نكبتي

ونسفت سجني وانطلقت عواصفاً/ لهباً يدمدم تحت راية ثورتي[23]

في الجو المشحون والمأزوم والمضطرب الممهّد للنكبة الكبرى في تاريخ الأمة، في هذا الجو الملئ بحصاد من الشر المحيط بالمنطقة العربية عانت فلسطين الأمرّين من الاستعمار والتهويد معا، مع ما لاقته من الاستهانة السابقة من الحكام العثمانيين ثم العرب، إلى ان أوقعت بريطانيا فينا

22- الكلمات في المهرجان في مدينة برلين كانت للأخوة عوض حجازي ومحمد بركة والسفيرة خلود دعيبس، وكلمتنا هذه بين أيديكم (أعيد صياغتها بما يتناسب مع طبيعة كل مهرجان من حيث الطول والقصر)، وكلمات لعدد آخر من الأخوة الكرام من الفصائل العربية والفلسطينية والمتضامنين في برلين، ثم في المهرجان في مدينة كريفلد في الغربـ ومن ثم عقدت ندوة للكوادر في فرانكفورت في اليوم التالي.

23- من أناشيد الثورة الفلسطينية من تأليف الأخ سليم الزعنون، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

وبالتعاون مع العصابات اليهودية نكبة فلسطين عام 1948، وبذا تمكنت صهيونية هرتزل أن تحصل على الأرض والشعب (في أرض فلسطين)، وأن تحصل علي الحق القانوني (البراءة) من قبل الأمم المتحدة بإنشاء **دولة لليهود من أجناس وقوميات شتى لأول مرة لهم في التاريخ في أرضنا نحن أرض فلسطين التي لم تطأها أرجل هؤلاء أو أي من أسلافهم أبدا.**

مناخ الفشل العربي

في هذا الخصم المتكالب تنازعت الحركات والأحـزاب الوليدة في المنطقة العربية أمنيات وآمال الوحدة العربية، ورغبات البناء الأممي الاشـتراكي، وأحلام الوحدة الإسلامية، فقامت تنظيمات وأحـزاب عدة انشغلت بشعاراتها وبنائها النظري الفكراني عن حقيقة الميدان وآلام الناس وطموحاتهم، فأعاشت الأمة والشعب الفلسطيني في دوامة الاختيار ما بين مشاريعها المتعددة بعيدا عن فلسطين كأولوية، هذه المشاريع التي فشلت جميعها فيما لحق منذ زمن (الشيوعية والقومية العنصرية والإسلاموية).

في مناخ النشأة الممهد لحركة فتح، رفعت الأنظمة العربية الضعيفة حديثة النشأة المرتبطة بالاستعمار -رغم التآمرات الغربية والدولية-رفعت راية الفشل مبكرا عبر إشهارها سيف الأحلام الوردية (القومية العنصرية، والإسلاموية والشيوعية الأممية)، إذ جعلت الهدف كبيرا جدا لكي يعيش الإنسان العربي في بحرها المتلاطم، ولا يدرك حقيقة أن **الشعار العملي بمقدار حاجته، وبمقدار قدرته على التحقيق.** وعندما حكم هؤلاء دولا في المنطقة في ظلال سيوف الأحلام الوردية أوقعوها في ظلم الحزب وساديتّه واستبداده تحت غطاء شفاف وكاشف اسمه تحرير فلسطين.

فشلت الأنظمة العربية في علاقتها القضية الفلسطينية خاصة في أمرين،

الأول: فشلت أن تطمس الشخصية الفلسطينية والكيانية الموحدة سواء عبر الشعارات البراقة التي روجت لها، أو عبر الاغراءات والتهديدات، كما فشلت ثانيا في كسر الإرادة الفلسطينية الوطنية التي عبرت عن ذاتها من خارج الأحزاب وخارج الحكومات الرسمية فكانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح.

في ظل فشل الأنظمة **ظهر الثوريون** بجلاء كجمال عبد الناصر، وهواري بومدين فانتصر الاثنان للشعب وللقضية وصرخا طويلا معلنين صعود نجم «الظاهرة النبيلة»، **وقال الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين معلنا ذلك للحكام العرب في أحد المؤتمرات العربية غاضبا: لكم أن تنظروا لفلسطين كصاعق التفجير في المنطقة، أو تعتبرونها قبلتكم، وأنا أرى أن ليس لكم إلا أن تدعموها لأنني مع فلسطين ظالمة أو مظلومة.**

ورد عليه أمير الشهداء **خليل الوزير** بالقول: أن من يتخذ موقفا مؤيدا أو يرمي حجرا تجاه الاحتلال الصهيوني فنحن نحبه، فكيف بمن يفعل أكثر من ذلك؟

الشخصية الفلسطينية ثلاثية الصفات

كانت ظروف النشأة لحركة فتح ممتدة لجذر الهيمنة الاستعمارية الانجليزية على فلسطين، فاستفادت الحركة من كافة الثورات منذ العام 1919 فصاعدا وخاصة من ثورة 1936 ومن تجربة الشيخ عز الدين القسام ومن تلاه من كبار القادة المجاهدين، فأنشدت أنا قد كسرت القيد قيد مذلتي كما أنشدت[24]:

أنا إن سقطتُ على التراب مُسربلاً بك يا جراحي
وتدفقت مني الدماءُ ومال في جنبي سلاحي

24- من أناشيد الثورة الفلسطينية وحركة فتح، منذ البدايات

وتلقفت جسدي الطيورُ		الحائمات على البطاحِ
هذا طريقي في الكفاح		فيا أخي أتمم كفاحي

كما كان للهجرة اليهودية وممارسات العصابات الصهيونية، وما قامت به من اقتلاع وإرهاب وقتل أن أدى إلى مقاومة شديدة باسلة، بينما المسرح كان قد تهيأ والقتلة اقتسموا دماء الفريسة ما أدى إلى طرد ولجوء وإحباط وحالات يأس، لكنه مع ذلك حفر في عقل الفلسطيني عميقا عقيدة العمل لانتزاع الأمل وليس الأمل بلا عمل.

إلى ما سبق كان للهجرة اليهودية، وما قابلها من اقتلاع ولجوء وإحباط أن حُفِر في عقل الفلسطيني عقيدة العمل لانتزاع الأمل وليس الأمل بلا عمل.

يقول الله تعإلى في محكم التنزيل ضمن 550 آية تحث على الفعل والعمل ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ (التوبة: 105) ما استقر في الخلفية الدينية-الثقافية للمؤسسين والرواد الثوار، وفي حركة فتح كمبدأ لاحقا.

ويقول الفيلسوف الالماني «**فيخته**»: **(إدراك النفس لذاتها ولقدراتها بعد توعيتها لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال مقارنة بين الذات ونقيض الذات أي بين النفس والخارج، كما انه لا يمكن أن يتحقق دون اعتماد الذات على مقاييسها التي فطرت عليها والإيمان بها والثقة بإمكانية استثمارها).**

من هذا الواقع الأليم، وبحُسن الإدراك قرر الفلسطينيون وحركة فتح ضمن الطليعة المناضلة، أن تكون الشخصية الفلسطينية متكاملة التكوين بعيدة عن الإحباط والسلبية والشاشة السوداء، وبعيدة عن الشكوى والاندحار والذِلّة، فبنيت الشخصية التي تشمّر عن ساعد الجد، المعتمدة

على ذاتها من خلال البيئة الطاردة في المخيمات التي جعلت من الأهل يسعون جاهدين لدفع أولادهم ليحققوا أحلامهم عبرهم من خلال تعليمهم وإن عروا وأفقروا ومنعوا اللقمة من افواههم وظل مفهوم التعليم هذا ثابتا في الشخصية الفلسطينية حتى اليوم.

أما ثانيا وكثمرة لهذا البناء الابداعي المقاوم لظروف القهر فلقد اعتمد أبناء المخيمات على ذاتهم بأن انساح كثير منهم في الأرض يبحثون عن لقمة العيش الكريم بعيدا عن بطاقة اللجوء، ويبنون ذاتهم ويدعمون عائلاتهم في الوطن أو الجوار حيث مخيمات اللجوء، وفي نفس الوقت يسهمون بعلمهم وعملهم ببناء دول الأمة الناشئة ما كان لهم به أيادي بيضاء.

أما ثالثا فلقد استطاعت الابداعية الفلسطينية وحركة فتح إن تنقذ الشخصيته الفلسطينية من الذوبان في المحيط الأكبر، وتنتشلها من محاولات طمسها ببعث القاعدة النضالية الوطنية فيها بالتكرس وأعطاء الاولوية والتخصص في الكفاح الموجهة أساسا لفلسطين لا لأي قضية (كبرى) أخرى.

التجارب الثورية

احتضنت حركة فتح منذ أواخر الأربعينيات وعلى الفترة العشرية الممتدة من *1947-1957* تجارب الشعوب العربية الثورية كلها (الثورة المصرية/ الجزائرية/ التونسية) وتجارب الشعوب الآسيوية (الصينية/ الفيتنامية/ الكورية) وتجارب الشعوب الامريكية (الثورة الكوبية)، وألحقتها حديثا بتجربة جنوب افريقيا، كما استمدت عمقها الحضاري العربي الإسلامي من انتمائها الأصيل الممتد في عمق تاريخنا القديم والحديث ليس فقط منذ وقع الشيخ عزالدين القسام أوراق

اعتماده كأول مفكر تنظيمي وصاحب مدرسة العمل المرتبطة بالتعبئة والتحريض على النضال، وإنما منذ ان قام الشريف ظاهر العمر الزيداني في القرن 18 بإنشاء أول دولة فلسطينية في فلسطين وما حولها في سابقة نشوء دولة متكاملة لم يكن مثيل لها عند الدُخلاء القادمين من شتى بقاع الأرض ينهبون ما لا يملكون ولا يمتون له دينيا أو تاريخيا بصلة.

لقد استطاع **ياسر عرفات وخليل الوزير وأبو اياد صلاح خلف وخالد الحسن وأبو ماهر غنيم وأبو اللطف وسليم الزعنون وكمال عدوان وأبو يوسف النجار ومحمود عباس وزملائهم الكثير من الرواد، ومن تلاهم، أن يصوّبوا بدقة فأصابوا الهدف**، إذ ربطوا مجموعة من العلاقات المؤثرة مع كل من الزعماء: تشي جيفارا وماوتسي تونغ والملك فيصل بن عبد العزيز وهواري بومدين وجمال عبد الناصر و«هوشي منه» والجنرال جياب.

قال ياسر عرفات لـ«هوشي منه» قائد الثورة الفيتنامية ذات يوم: لنا الشرف أن نلتقي ونتعلم من قائد أعظم ثورة في العالم. فرد هوشي منه قائلا: بل أنتم أعظم ثورة في الحقيقة لأنكم تديرون الثورة في منطقة النفط، وهي الأشد حساسية في العالم.

صنع القادة والرواد الأوائل ثورة، تنقلت على بساط الريح-وإن بصعوبة- عبر المراحل بوعي عميق للتجارب تداخلت فيها شتى الصراعات، وتنقلت بين التاريخ والواقع المتغير بذكاء التنقل بين حقول الأشواك واختيار أدوات الفعل النضالي.

المراحل والتجاوز

في البدء: كانت السماء حدودَنا الدنيا، إذ كلّمنا الغيمات والقمر وخطبنا ود الكواكب فتنقلنا بين المشتري والمريخ.

وفي **مرحلة المد الثوري والعنفوان الجماهيري** لم نكلّ أو نملّ من

استخدام كافة أشكال العمل العسكري لنُسمِع صوتنا للقاصي والداني وحتى من به صمم، مصداقا لقول شاعرنا العربي الكبير أبو الطيب المتنبي: أنا الـذي نظـَرَالأعمى إلى أدبــي... وأسْمَعَـتْ كلماتـي مَـنْ بـه صَمَـمُ، مسببا هذا الأمر بالقول: فالخيـلُ والليـلُ والبيـداءُ تعـرفني... والسيـفُ والرمـحُ والقرطاسُ والقلمُ.

ثم تولدت لدينا **مرحلة الواقعية السياسية وخط النضال المرحلي**، وهي المرحلة التي نعيشها اليوم، بعد طول جدال نظري وميداني بين مدارس وتجارب واجتهادات حركة فتح التي شملت اليمين واليسار وما بينهما.

وفي المراحل الثلاث كان الابداع الثوري المرتبط بالتجدد يستخدم **عقلية (التجاوز) للقديم** والمتهالك والمحبط واليائس و(**يقفز) نحو المستقبل في رؤية واضحة للواقع والمتغيرات**، ونحو الأفضل **ونحو العنفوان (الثورة)** التي جسّدت عملا وفعلا وكفاحا ما زال حتى اليوم من سمات حركة فتح التي تؤمن بالميدان، والخطوات المتقدمة بدل من أن تكون في ذيل الحدث تلاحقه أو تعلق عليه، بل آثرت حتى اليوم أن تصنعه وتراكمه وتبدعه، ولكنها قد تخطيء وتعطب.

وفي ذلك العطب الفتحوي قال العلامة هاني فحص[25] (أريد لفتح ان تعالج أعطابها... لان فلسطين لا تستغني عنها، وأنا لا أحب فتح لأنها جميلة أو طويلة أو غنية، أنا أحب فتح لأنها بنت فلسطين التي تشبهها... ولأنها أم فلسطين التي تُشبهها ولا أحب أن يتراجع الشبه بين فتح وفلسطين لأن في ذلك حراما بيننا وشبهات لا تبعد كثيرا عن الحرام).

25- العلامة هاني فحص كاتب ومفكر كبير، وهو رجل دين مسلم شيعي لبناني مستنير، كان من أوائل من ارتبطوا بالثورة الفلسطينية على قاعدة النضال المشترك، وظل كذلك حتى وفاته مؤخرا عام 2014

المشهد اليوم

إن المشهد بعد خمسين عاما من انطلاقة الثورة الفلسطينية وحركة فتح الباسلة، المشهد اليوم في العام 2015 مشهدٌ مأساوي ممزق، ومشهد أسود حيث دخلنا في النفق المظلم الذي لطالما حذر منه الخالد ياسر عرفات، فالإسرائيليون يسيرون بخطى سريعة نحو التطرف واليمينية، لأنه في بضع سنوات سيصبح المتطرفون أو المتدينون في الكيان الصهيوني اليهودي العنصري هم الممثلين للأغلبية حسب آخر الاحصائيات.

أما المشهد العربي الكئيب فهو مرشح لمزيد من التمزق والتشتت والحروب الطائفية، ومزيد من الضعف، أو الإضعاف، الذي يمثل هدف من أهداف العقلية الامريكية الاستعمارية الكبرى المهيمنة على منطقتنا مع أدواتها المحلية التابعة.

كما أن المشهد الفلسطيني في ظل عربات الظلام والشر التي تجرها خيول الانفصاليين عن الشعب يبدو غير فاتح اللون أبدا، لذا فصراعنا هذا إن أضفنا له البُعد الفكراني التاريخي مع السياسي الدبلوماسي القانوني سيشتد إلى درجة قد تعصف بنا خلاله رياحٌ كثيرة عاتية.

ومع ذلك فالشر في نظر المفكر المعروف (هيغل) ليس كله شرا. «فلولاه لما اكتشف (الناس) الذين يصنعون التاريخ معنى الخير. وبالتالي فهناك وظيفة إيجابية للشر أو للعامل السلبي. ولا ينبغي أن نستهين بها. فلولا السلبي لما كان الإيجابي: ولا بد دون الشهد من إبر النحل».. فما يحصل من كوارث وفواجع اليوم في العراق أو فلسطين أو اليمن أو ليبيا أو سوريا أو كل مكان ربما كان ضروريا لكي نفتح أعيننا على خطورة العوامل السلبية في التاريخ، فنحاول إيجاد مضادات حيوية لها.

الهزّات في حركة فتح

1. مرت حركة فتح بسلسلة من الانتصارات تجلت في 5 نقاط نوجزها: إنها تجلت في بناء الذات الوطنية التي جعلت اللاجيء فدائيا مقداما، وبلورة الكيانية الجامعة، وتكريس خط النضال بكافة الأشكال، وإبراز الفعل الفلسطيني المستقل ضمن القطار العربي الواحد الموحد، وتجلت في قدرتها على انتشال اليأس من صدور المحبطين، فبنت طريق الكفاح المسلح في إطار الحرب الشعبية طويلة النفس التي تعانقت مع فكر العمليات الاستشهادية، ثم الانتفاضات الثلاث، وصولا للمقاومة الشعبية التي يجب ان تكون شاملة عامة بمنهج ووعاء حاضن وديمومة بلا هوادة، نعم هي سلسلة انتصارات نرفع بها رأسنا عاليا... ولكن!.

2. كثرت فينا الطعنات والضربات والاختراقات من القريب والبعيد فأثقل الجسد بالدمامل والطفيليات، وخرجت مصر من معادلة المعركة الكبرى الفاصلة، فاختار الفلسطينيون في قراءة الواقع والاستفادة منه أن يتبنوا طريق القطاف عبر المساعي السياسية منذ العام 1974 فكان شعار «العمل العسكري يزرع والعمل السياسي يحصد»، وما كان لخروج سوريا والعراق قبل سنوات قليلة من هذه المعادلة الاقليمية إلا تأكيدا على المسعى الاستعماري من جهة لتفرد (إسرائيل) وتحقيق هيمنتها، وتأكيدا على صحة الرؤية الفلسطينية لمآلات لأمور.

3. تعرضت الحركة لهزة كبيرة إثر الانشقاق عام 1983 المدعوم خارجيا، رغم أنها كرست مبدأ لم تحِد عنه حتى الآن، وهو استقلالية القرار الوطني ما ثبتته بالدم أولا، وفي في مؤتمرها الرابع بوضوح عام 1980، وإن كانت الاستقلالية عن أي محور عربي أو اقليمي أو

عالمي ترتبط لدى حركتنا بعدم التدخل في شؤون الآخرين إلا أن الآخرين وبأدواتهم الفلسطينية كانوا يجدون في الجسد مجال طعن وموطن تمزيق.

4. كانت الانتفاضات الثلاث (1987، 1998، 2000) عملية دافقة في نهرالفعل الثوري المتجدد، ورغم سلبيات شابتها خاصة في الخواتيم، وأثرت علينا، إلا أن عقلية الاستفادة والتجاوز الفلسطينية الخلاقة كانت قادرة على الإبداع دوما.

5. ومع دخولنا الاجباري -إثر هزيمة الأمة في حروب الخليج المتتالية - في معترك مفاوضات مدريد ثم (أوسلو) في العام 1993، وما نتج عنه من اتفاقيات وسلطة أعادت الآلاف لوطنهم وكرّست بناء لأسس الدولة، إلا أن بعض مضامين الاتفاقيات البائسة، ومع عليائية العدو وغطرسته ومماطلاتة قد أفرغت الكثير من بنود الاتفاق من مضامنيه فوقعنا في منتصف الطريق حائرين مشلولين.

6. ثم كانت مرحلة الانقلاب الدموي عام 2007 من فصيل «حماس» لتشكّل معركة اخلاقية بامتياز وقفت فيها حركتنا ضد الاقتتال الأخوي، رغم كل شيء، ورغم التحريض الممنهج والمتواصل على الفتنة ضمن فكر الظلامية والإقصاء ورفض الآخر القادم الينا من غياهب التاريخ، فلم تقابل حركة فتح عمليات القتل والذبح والتعذيب والسحل بالشوارع بمثله، فضربت مثلا عبر التاريخ لرفض الفكر الحزبي-الطائفي الضيق ورفض منطق الدم والتصفيات الداخلية ما كان شبيها لنفس النموذج الذي قادته الحركة فترة لبنان (-1971 1983).

7. إن المرحلة الحالية على ما رافقها وسبقها من أزمات في السلطة

الوطنية الفلسطينية، وفي تلبية مطالب الوحدة الوطنية، وفي البناء السياسي، وطريقة الإدارة والقيادة التي نختلف في جوانب فيها، بل وفي البناء التنظيمي، وصعوبة الحراك الدولي.

إلا أن معطيات البناء على الأرض ما زالت قائمة تستطيع بعقلية: 1- الإبداع و2- عقلية التجاوز و3- عقلية الثورة معا أن تحقق الثورة المتجددة بثوب المقاومة الشعبية الجماهيرية الشاملة التي تتعانق مع الصراع الفكراني التاريخي وذاك القانوني الصاعد.

حركة فتح والآخر

إن ما يحصل مؤخرا من حراك دبلوماسي سياسي وقانوني ممثلا بالمقاطعة الفاعلة والموجعة (لإسرائيل)، وبالانضمام المتلاحق والمبرمج للاتفاقات الدولية أدى ذلك مع كافة تضحيات شعبنا إلى عزل الكيان الصهيوني لأول مرة بتاريخه بهذه الكثافة.

ومع تواصل المقاومة الشعبية على الأرض تلك التي تحتاج لشحنات أكبر كتلك التي كانت في صدر رفيقنا الراحل زياد أبوعين، يمكننا القول للمجتمع الدولي: كفى! كفى صمتا لمن ما يزال كذلك، وكفى خوفا وكفى تذبذبا واحسم أمرك مع حقوق الشعوب في تقرير المصير وبادر وقاطع وبادر وكافح وبادر ومزق رداء خوفك، ومعا لعزل الكيان الصهيوني العنصري فالحق أبلج والفجر لا بد آت على فلسطين.

وزير الخارجية الامريكي «كيري» في محادثة هاتفية له مع الرئيس «أبو مازن» هدده قائلا: «ستخسر سلطتك وستخسر نفسك وستخسر حل الدولتين»، وذلك في محاولة لثنيه عن طرح المشروع الفلسطيني لإنهاء الاحتلال، وما انثنى ولا لان ولا مال، ولا انثنينا ولا مللنا... ولن نميل، أتعرفون لماذا؟ لأننا عن حب فلسطين لا نحيد.

(إن (إسرائيل) تريد معاقبة «أبو مازن»، للتحول الذي نجح به، في اصطفاف المجموعة الأوروبية إلى جانب القضية الفلسطينية، ومهاجمة هذه المجموعة للاستيطان والممارسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، ومقاطعتها لمنتجات المستوطنات، والتسبب في عزلة (إسرائيل)، وأدى ذلك إلى انحياز دول عديدة لصالح الفلسطينيين، وأن من أهم إنجازات الرئيس أبو مازن خلال ولايته، تحويل الرأي العام الدولي، ليقف إلى جانب القضية الفلسطينية، التي كانت حكرا ل (إسرائيل)، وتوظيفها المحارق النازية، لصالح مشروعها الصهيوني، مع أنه لا علاقة لا من قريب ولا من بعيد للفلسطينيين في المحارق النازية التي تفعلها هي ضد الفلسطينيين وحقوقهم المشروعة.) [26]

أما الآخر الوطني، الشقيق غير الشفوق أو الرفيق بنا، فلقد كان منا الصدر الواسع والمِرحاب ما هو سمة لازمة لحركة فتح في التعامل معه، إذ أن حركة فتح هي التي انضوى تحت لوائها أصحاب مختلف التيارات الفكرية لتشكل في حقيقة الأمر مجتمعا فلسطينيا تعدديا وسطيا، جعل من وعاء فلسطين وبوصلتها الجامع المانع، فلم تنظر لعرق أو عائلة أو طبيعة فكر اجتماعي مادام الغرض الموحِّد هو الاتفاق على فلسطين، فدخلها العرب كما الفلسطينيون أفواجا.

وكرّست ذلك في كل المراحل عبر 4 أشكال في الأول منها جعلت من ذاتها الحضن الدافيء للجميع من الفلسطينيين والعرب، ثم كرست (م. ت. ف) بيتا وكيانية وموئلا، اما لما اشتد الصراع بين التنظيمات الفلسطينية على قاعدة الخلافات الفكرانية في الأعوام 1968-1969 وما بعدها وقفت حركة فتح وقفة الرافض للاقتتال الأخوي الداخلي وحمت التنظيمات من تصفية بعضها البعض.

26- من مقال للكاتب غازي السعدي

اما ثالثا فإنها لم تبدأ في قتال المعتدين عليها، أو المنشقين عليها عام 1983 كما رفضت قتال المنقلبين في «حماس» على الشرعية عام 2007 الذين حللوا وحرموا وكفّروا وخونوا، وبالتالي كرست مفهوم «أم الولد» عبر إتاحة حرية الرأي والفكرة والاختلاف فلم تقبل بالرصاصة والسكين حُكما، وكان لنا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه نموذجا في عدم الانجرار للقتال أو تكفير المخالفين ليعتبرهم بغاة أو كما قال رضي الله عنه وأرضاه (اخواننا بغوا علينا)، ما فعل عكسه مفتو الفتنة في «حماس».

ولطالما كان القائد الفذ-الرجل الثاني في حركة فتح- صلاح خلف (أبواياد) يردد دوما ما «قال فولتير لـ جان جاك روسو حين حكمت السلطات السويسرية بإعدام كتاب «العقد الإجتماعي» وكان فولتير لا يُقر أراء روسو فيه: إننى لا أومن برأيك لكني على استعداد لأن أموت دفاعاً عن حقك فى أن تبديه وتعلنه على الناس».

وظلت هذه القاعدة الذهبية في علاقتنا مع المختلِفين داخلنا وخارجنا ما حدا بنا للحوار مع المنشقين ثم مع المنقلبين رغم فكرانية (أيديولوجية) «الاخوان المسلمين» بعمقها القطبي ذات الطابع الحصري الحق... لها، الاقصائي للآخر، العليائي على الغير التي لا ترى الحق أو الصواب والقداسة الا في ذاتها دونا عن أمة المسلمين في ما تسميه عقلية «الفسطاطين»، وصولا لاتفاقية الشاطيء عام 2014 التي أمامها من الضباب الكثيف والعوائق ما يمنع الرؤية لدى تيار الممانعة للمصالحة في حركة «حماس» المستفيد من الوضع المزري القائم.

حركة فتح الآن

(اقتربت الساعة وانشق القمر) ولا بد لليّل أن ينجلي، والفارس عاجلا أم آجلا سيترجل، ونحن إذ نعيش في كل صباح مع تحدي يومي جديد، فإن المطلوب أمامنا كثيرٌ لن نحققه بالصف القيادي الأول، ولن نحققه بالخذلان لبعضنا البعض، ولن نحققه ونحن على كراسي المتفرجين في الملعب فعلى الحركة مهمات جسيمة، تجبرها أن تنزل دوما إلى الملعب، ما يحتاج منا لنقاط ثمانية هي:

1. يجب إلا تعيش حركتنا أبدا علي أمجاد الماضي التليد، وسيرة الخالد ياسرعرفات وصحبه وهي المدد والمُلهم نعم، ولكن فعل الاقتداء والانحياز لها يكون بالتجدّد في ماء النهر يوميا بما يقربنا من النصر الأكبر دوما. (وإن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح-الأنفال 19)، وعدُ من الله كان مفعولا.

2. ان تكريس النظام والإطار المؤسسي الجماعي في الحركة يجب أن يكون ضد عقلية الاستبداد والفساد والهوى الشخصي والمكاسب المصلحية، ما يعني غسل الثوب كل فترة وأخرى ونشره، للتخلص مما علق به من أدران، فمن وضع التضحية لافتة على باب بيته وأمام عينيه، على الورق أو في الحاسوب، وسار على الدرب نرحب به، ومن جعل من عقيدته هواه لا نهواه ولا نجله ولا نسير وراءه.

3. اننا بحاجة لمراجعات جادة للمسار سواء السياسي بعد 20 عاما من المفاوضات العقيمة أو بعد تجربة وديمقراطية تنظيمية لم تكتمل حتى اليوم، أو بعد بناء سلطة أخذت تنزع نزوعا سلبيا نحو الحفاظ على ذاتها على حساب الوطن والمواطن فتتكتل حولها الحشائش الضارة والعفن والصديد.

4. إن اعادة البعث أولا ثم البناء ل (م. ت. ف) وضخ الدماء في هياكلها ومؤسساتها وبوجود كافة القوى الفلسطينية الفاعلة يعني انتصارا منا للفكر الوحدوي لحركة فتح لا للعجز الفصائلي، والضيق المصلحي والانتماءات الفوق وطنية الإلهائية، المُقعِدة عن التواصل.

5. إن تفعيل البناء الثقافي الفكري يعني إعادة تركيب الرواية التعبوية العربية التاريخية الفلسطينية حيث لم يكن لبني إسرائيل القبيلة العربية اليمنية المنقرضة وجود على أرضنا فلسطين وجغرافيتنا أبدا، وحيث لا يحق لأتباع أي ديانة-وخاصة اليهودية-إدعاء انتسابهم لموطن يظنون أن معتقداتهم تشير إليه، وكلّ ظنهم إثم ومخالف للعلم والحجر والحقيقة، وما يستدعي منا جميعا فعلُ ثقافي ضخم متواصل ومستمر مع الفعل الميداني والسياسي جنبا إلى جنب.

6. إن بناء شكل جديد للكفاح الوطني الفلسطيني يجب ان يكون في ظل (الوعي) والإدراك لحقيقة المستجدات والمتغيرات، حيث تعثر أو صعوبة الكفاح المسلح بشكله القديم، وحيث ضعف المقاومة الشعبية الموسمية، وحيث فشل أو عقم المسار السياسي لوحده، ما يعني أن تحقيق شعار المقاومة الشعبية الشاملة يحتاج منا لهزة كبيرة في الفكر والخطط والبرامج، كما يحتاج لثلاثية الابداع والتجدد الأصيلة فينا من: تجاوز وقفز وثورة.

7. ان حركة فتح لم تهمل العامل الخارجي العربي أو الدولي، فهي تؤمن بنظرية تهيئة المناخ وتوفير الظروف المناسبة، وبالتحشيد الشعبي والاقليمي، وتؤمن بعقلية البدائل والخيارات وبتسديد الضربات في الوقت المناسب ضمن عقلية استثمار الفرص أو هي يجب أن تكون كذلك. من هنا كانت العلاقات الخارجية ضمن مفاتيح العمل القيادي بالحركة منذ كان المفكر العربي خالد الحسن يطوف

البرلمانات الأوربية منظرا للثورة والقضية، ومنذ قام أبوعمار بجعل كوفيته المرقطة أيقونة النضال الوطني والعالمي.

وللاشارة الهامة هنا كاستطراد نقول أنه: في عام 1983 قام «أولوف بالمه»، بصفته زعيماً للحزب الاشتراكي ورئيساً للحكومة السويدية، بدعوة عرفات لزيارة استكهولم وذلك للاجتماع مع القادة الديمقراطيين الاشتراكيين في الدول الإسكندنافية. وبدأ «بالمه» بعد ذلك يحثّ الأحزاب الأوروبية المنضوية تحت لواء الاشتراكية الدولية على الإعتراف بمنظمة التحريرالفلسطينية، جنباً إلى جنب مع المستشار النمساوي «برونو كرايسكي» والمستشار الألماني (الغربي) «ويلي برانت»، ومن هنا تواصل الحراك الديلوماسي الذي يتكامل اليوم مع عزل الكيان العنصري الإسرائيلي وجره إلى المحاكم الدولية، والذي يجب استمرار ديمومته.

8. علينا خلق التوازن بين الواقعية السياسية في حركة فتح وبين الثورية الميدانية عملية فكرانية ثقافية تنتزع وتنتج، وهي عملية يجب أن تغيرنا نحن اولا، ونغيّر فيها، فالبداية دوما من عندي: في ذاتي وفكري ونفسي، وحيث حققت توازني أحقق ذلك في المصنع والمدرسة والحقل، وفي أطر الثورة والدولة القادمة.

إن الانسان فينا يجب أن يتحرر من ظلامية الفكرة الآسرة، ومن التفاسير والموروث والروايات المخطوفة للسرد التوراتي الخرافي أو الظلامي الديني، ويجب أن نقضي وقتا جيدا في ذلك لأن الوعي مفتاحنا نحو التقدم والفهم ورؤية الدرب.

يجب أن نُنجز واجبنا في بناء ذاتنا في الفكر الواقعي المتوازن مع الفعل الميداني مهما ثارت العواصف التي تضرب بالمحيط، وفي ظل التخلي عنا فعليا وفي ظل التغول الصهيوني الامريكي.

انطلقنا في مرحلة الانبعاث الثوري والكفاح المسلح وصولا لمرحلة النُضج السياسي حيث نمو الفكر الثوري الراديكالي مقابل الواقعية السياسية، وصولا لمرحلة تكريس التمثيل في فتح ثم المنظمة، وصولا للدولة لنصل لمرحلة نقل الثقل القيادي للوطن، فمرحلة بناء السلطة والمؤسسات ومازلنا نجترح المعجزات ونعقد المقارنات، ونؤسس لإخفاقات نعم اخفاقات وانجازات، ما عادالزمن يحتمل منا اخفاقات جديدة وتجارب فاشلة وقيادات هزيلة، فإلي أين نحن ذاهبون إن لم تكن فلسطين بوصلتنا والشعب مددُنا والله ناصرنا.

(أنا الأرض. يا أيّها العابرون على الأرض في صحوها

لن تمرّوا)

إنا هنا باقون)

(فلتشربوا البحرا

نحرس ظل التين والزيتون

ونزرع الأفكار، كالخمير في العجين

برودةُ الجليد في أعصابنا

وفي قلوبنا جهنم حمرا

إذا عطشنا نعصر الصخرا

ونأكل التراب إن جعنا.. ولا نرحل)[27].

صُنّاع التاريخ

إن فلسطين التاريخ والقضية والجغرافيا ليست وليدة اليوم بل صُنِعت

27- للشاعر سميح القاسم

من غابر العصور، فالبلد التي أشرقت بنور الحضارة لم تقبل الغزاة أبدا، وعاشت بسلام وتقبلت كل من أعلن الولاء لها، لم تلفظ أحدا إلا من استكبر وعلا، وإلا من طغى وتجبر، لذلك تجد جبال فلسطين ووهادها تنطق بالحب والصفاء والسلام فتنشره أريجاً يعمّ أنحاء العالم، هكذا كانت فشرفها السيد المسيح عليه السلام برسالة المحبة والسلام العالمي، وهكذا سنكون في فلسطين الأرض التي نشأنا وفيها سنموت بعد ان نقضي في حياتنا سعيا لإعمار هذه الارض وتحريرها من البغى والظلم والعدوان والأرهاب والاحتلال، فالشعب الفلسطيني شعبٌ صلب صامدٌ أبيّ، كان مستقرا هنا في فلسطين منذ الأبد، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أنها الأرض التي لم نعرف غيرها ولم تعرف غيرنا... فإن كنتم في ريب من ذلك اسألوها بصوت عالٍ وستسمعون الجواب الحق.

ثلاثة صنعوا في التاريخ الفلسطيني الحديث منارات شاهقة وعلامات بارزة تطل علينا بعُلوّها كلّما أبحرنا تجاه فلسطين أو مررنا بسمائها أو حللنا بين أغصان زيتونها وبرتقالها والنخيل.

كان «محمد ياسر» عبد الـرؤوف عرفات القدوة الحسيني أول المنارات التي سعت لتسلق الجبال منذ الصغر، فطاردت الرياح وسبقت وشوشات البرتقال وعانقت عروق الميرمية، وسبحت في بحر يافا وغزة فولد ياسرعرفات قامة سامقة ليجعل من حُلمه واقعا، وهكذا دأب العرب الفلسطينيون الثائرون.

ياسر عرفات منذ وطأت قدماه مدينة القدس-قُدسُنا نحن العرب والمسلمين والمسيحيين-كتب في كتاب أسراره الأحمر المدفون في جيب سترته الخضراء كلمات حب وشوق وحنين لفلسطين، كما وضع في الكتاب أحلامه الثلاثة، مع وردة جميلة كان قد أهداها له سلفُه.

وكانت المنارة الثانية في تاريخ فلسطين الحديث شيخنا الجليل عز الدين القسام الذي لم يُرهبه سوط الاستعمار الفرنسي، وإن التف عليه ليصرخ ويغني في فلسطين، يغني بصوت أجش ضد الاحتلال وضد الإرهاب وضد الظلم، حاملا على كتفيه الهرِمين مهمة القضاء عليه منذ عانق حيفا بلدنا طويلا وما جاورها، فكتب عز الدين القسام في كتابه الأحمر الصغير في جيبته جُمَلا هي ما بين الحلم والتنبؤ، ما بين شعلة الأمل والحقائق ثم أهدى الكتاب لمن أوصلوه لعقِبِة.

أما المنارة الثالثة في رواية فلسطين الجديدة، فظهرت تلألىء في القرن الثامن عشر حيث تجلّى ظاهر العمر الزيداني ملك فلسطين والجليل ليكسر بعمله رُعب الظلم والاستبداد وليمزّق أستار الروايات المكذوبة وما يدبر بليلٍ لفلسطين، منذ تلك الفترة، فأقام دولة فلسطين وأنشأ الكيانية الوليدة منطلقا من طبريا إلى الناصرة إلى عكا وحيفا ونابلس وغزة، وأرجاء أخرى في فلسطين وجوارها، فأثبت على الخريطة وحدة الأرض والشعب والمستقبل، وكتب ذلك في دفتره الأحمر الصغير الذي دفع به لمن خلَفَهُ.

إن المنارات الثلاث تعاقبت لترسم، كما غيرها من المشاعل في دربنا، طريق الحرية والحرير، طريق العدالة والنور الوفير، طريق الثورة والعبء الثقيل فكتبت وتوارثت خِلافة الأرض التي نحبها طائعين مختارين.

بيدي أن أصير دبابة[28]

بيدي أن أصير دبابة

بيدي ان اطير

بيدي ان اغير

28- من كتاب للمؤلف بكر أبوبكر حمل نفس العنوان صادر عام 2013

بيدي ان اكون اطول
استطيع ان انمو اكثر
بيدي ان اقاوم
بيدي الا أساوم
استطيع ان أقفز
عن النحيب والوجع واليأس الكمين
أستطيع أن أنجز
رغم العصي والسلالم والطاقات
أستطيع أن أقرأ في ضوء فراشة
وأقدر أن أرسم في عين الشمس
وأمشي منتصبا بدون ظلال
أنا القادم نهرا باردا
وسقفا عاليا
وربيعا ضاويا
وسوسنة جدتي
أنا النافرُ الزافرُ الوافرُ
حسنُ الطلعة غير هيّاب
ولكنك حدودي والرحيل
وأنت عشقي النبيل
لمحتُك تغدقين بلا كتاب

وتبتسمين للغيمات والعتبات والنفير

وتأكلين بأطراف أصابعك وتسبّحين

التقيتك سيفا بجراب

وقلما يهوى كتاب

وبَكْرا يرنو الجواب

انا الصدى لصوت المحرومين

وأنت قدري

وأنا الرِجْزُ المنزل على الفاسدين

وأنتِ ثغري

وأنا الشهور التسعة

وأنتِ حملي

بيدي أن أصير دبابة

وبيدك ان تلقمي المدفع

وأستطيع أن أصير حمامة

وأنت فضاء الرحاب

«بيدي لا بيد عمرو»

قد التقى بك وحتفي

احتفظت بك في حلقي

وفي كتبي ودموعي

وعند انتصار الفجر

وفي عيد الصبايا

وارتجاف ذرة التراب شوقا

أنا العناق وأنت النحر

وحيث تكونين يتجلى هو

فاسمحي لي ان اكون أطول

ودعيني أطير

وهو ينظر... فأنا غدوت ثورة[29]

ظن الكثيرون أن الكتاب الأحمر الصغير الذي توارثه الثلاثة والآلاف معهم من الأحرار والمردة والثوار قد كُتب حديثا، ولكنه كان مع أول الزمان حيث صُنعت الأرض وكانت فلسطين، ومنذ سُطّرفي الكتاب أن (بسم الله الرحمن الرحيم) وتلى هذه الافتتاحية المقدسة أربعة عبارات مما توارثته المنارات الثلاث.

في السطر الأول كُتبت عبارة (أرضُ فلسطين) لتعلّق في أعناقنا للأبد، لذلك صنع الشريف ظاهر العمر الزيداني أول دولة فلسطينية في التاريخ الحديث ليكسِر من خلالها أكاذيب المستشرقين والمستعمرين والصهاينة من مثل: أن هذه الأرض بلا شعب أو بلا حضارة أو بلا تاريخ سوى ما ابتدعوه وألّفوه، وكان شعبُ فلسطين طافحا بالمحبة والسعي للحرية والسعادة.

ثم كَتب في الصفحة الثانية عز الدين القسام كلمةً واحدة لكنها عميقة وكبيرة وحمْلُها قد تنوء به الجبال، إذ كتب (وجاهدوا) لتصبح معولا وبندقية، وحجرا وبندقية، ومنجلا وقلما في يد الأمة جمعاء.

29- من كتاب النصوص الأدبية للكاتب والأديب بكر أبوبكر، بامكاني أن أصير دبابة

أما في الصفحة الثالثة فكتب ياسر عرفات كلمتين هما (شعبُ فلسطين) إذ أن به بهذا الشعب العربي طريق التحرير والحرية والخلاص الأكيد.

الصفحات التالية بقيت بيضاء تنتظر العبارة أو الأسطر التي تُمثل رباعية المبادئ الحضارية العربية الإسلامية كافة، وهي ما ألقى على أكتاف (كل الأمة والشعب) التي عليها أن تفيق من غفوتها وتطرد النعاس أو التراخي والاستهانة والكسل، فتسعى للعلم والثقافة وللعمل والوحدة ورفض الظلم والاستبداد، كما تسعى للإبداع... فتعود فلسطين اليها إلى الامة جمعاء منارة ومشعلا وحقيقة خالدة لا تنطفئ مهما دوت الرياح أو صفّرت الزوابع، ومهما أغبرت الأجواء أو غيّمت السماء.

هذه التَرِكة الثقيلة ولكنها المقدسة التي نتوارثها اليوم من كتاب الله الكريم، وكتاب منارات نضالنا مع الوردة الجميلة، تشكل لنا أيقونات النضال والكفاح والمحبة والعيون المفتوحة أبدا على المستقبل، حيث فلسطين كل فلسطين تلوح لنا في الأفق، قبلَتُنا النضالية التي نتوجه إليها خمسين مرة في اليوم ولن نستسلم أو نستكين.

«على هذه الأرض ما يستحقّ الحياةْ:
على هذه الأرض سيدةُ
الأرض، أمّ البدايات، أمّ النهايات
كانت تسمى فلسطين.
صارت تسمى فلسطين.
سيدتي: أستحق لأنك سيدتي
أستحق الحياة»[30].

30- الشاعر محمود درويش

والدرب طويل والزاد قليل، ونحن في منتصف الطريق، وليس لنا إلا النصر.

وإنها لثورة حتى النصر.

بمناسبة الانطلاقة 51
حركة فتح والبحث عن الغيمات الماطرة

بكر أبو بكر
2016

لم يكن ياسر عرفات ليتنبأ بالقادم، فلم يكن عرّافا أو منجما أو كاهنا ولم يكن يحتاج لأن يكون أي من هؤلاء عندما شخّص صعوبة الدرب ومشاق النضال وحجم العقبات والعوائق التي تعترض وستعترض العمل الفدائي.

منذ الرصاصة الأولى بل وما قبلها، ربما لمزاياه القيادية وامتلاكه للرؤية وحسن النظر كان يدرك عِظَم المسؤولية الملقاة على عاتق الرواد الأوائل، فعِظم التضحيات يجب أن تناظر عِظم القضية، وعظمة الرجال لا تظهر إلا بالمهام العظيمة، والمهام العظيمة هي دوما صعبة وقد يراها أصحاب الهمم النافقة مستحيلة، ومن هنا كان القرار صعبا أن تنطلق حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح بعد النكبة عام 1948.

تلك النكبة التي خلفت صدمتها للوهلة الأولى حطاما بشريا ونفسيا

واجتماعيا وثقافيا عكس نفسه بالذهول والتشتت وافتقاد السند والاحباط الشديد، وعكس نفسه بالبحث عن الذات في ظل الضياع الذي أصاب الأمة والشعب الفلسطيني فطفق يبحث عن حقيقة هويته فيغرف من الأفكار «الصلبة» التي افترضت بذاتها الكمال أو القداسة، وافترضت بذاتها المطلق والشمولية، وافترضت بذاتها الانتصار بالشعارات والامتداد.

الفلسطينيون-بعد تجاوز الصدمة نفسيا-هم الذين رفضوا الإبحار طويلا في مركب البؤس واليأس والإحباط فتوزعوا بين تيارات الأمة الكبرى آنذاك وهي التيارات أو الأحزاب التي تولدت إثر صراع عميق داخل الأمة. يقول صلاح خلف (أبوإياد) الشهير بخطاباته الحماسية التحفيزية المفعمة بالأمل عن «الحفنة الطيبة من الشباب التي انطلقت» أنهم «جمعوا يأس الأمة العربية وحولوه إلى آمال».

(في عام 1965 عندما انطلقت حركة فتح لم يكن عددنا كبيرا، كان العدد بسيطا جدا، وإنما كانت الفكرة في نظرنا كبيرة جدا، لأننا كنا نعتقد أن الرصاصات التي سنطلقها في الأراضي المحتلة، لا يمكن أن تعيد لنا فلسطين، إنما هذه الرصاصة لها مردود على نفسية الإنسان الفلسطيني، لا بد أن يشعر الإنسان أنه موجود أولا) ويضيف صلاح خلف (أبوإياد) في موضع آخر (أقول نحن كشعب فلسطيني كان لا بد أن نعود إلى الخارطة السياسية، قيمة كل نضال شعبنا في عام 1965 أنه أعاد هذا الشعب الفلسطيني إلى الخارطة السياسية)[31]

31- كتاب من إصدار مكتب الشؤون الفكرية والدراسات في حركة فتح تحت عنوان الفكر الوطني الثوري في الممارسة: من خطب الشهيد أبوإياد، الطبعة2 عام 2008 والاقتباسين من ص 67 ومن ص 137، والجملة الأولى اليأس والآمال ص145

نهوض أمة وتشظي أخرى

تشظّت الأمة العربية والأمة الإسلامية على مدار زمني طويل ارتبط بالنهوض الأوروبي الذي ترافق مع تغلغل عقلية الهيمنة والاستعمار والاستبداد الاوربي الذي وجد شكله الحقيقي من خلال احتلال أراضي الغير تحت ادعاءات النقاء والطُهر والتقدم للرجل الأبيض، وتحت مدامك الفكر العنصري الذي أباح النظر للأقوام الأخرى من زاوية السيد المطاع الذي يحمل الحضارة للوحوش وهو السيد الذي ينبغي من الاتباع الطاعة له وتقديم القرابين والشكر لإلهِهِ.

كان المطلوب في ظلام (الاستعمار) الغربي أن تقدم الشعوب ثقافتها وروحها ودينها وقوميتها وإنسانيتها وخيراتها وأرضها فداء للرجل الأبيض الذي افترض امتلاكه لكل الحقائق وافترض امتلاكه للحقيقة الدينية، وافتراض أن هيمنته تشكل قدرا على الآخر أن ينصاع له، فسوغت العقلية الاستعمارية لنفسها النظرة الاستعلائية والاحتقارية لشعوب الأرض فاستعبدتها في فترات الصرع الاسباني البرتغالي على المستعمرات، وما تلاها من فترة الصرع الاستعماري الثقافي - الاقتصادي الانجليزي الفرنسي، هذا الصراع الذي حط رحاله في منطقتنا العربية بقوة منذ القرن التاسع عشر ثم تألق إثر الحربين الاوروبيتين الكبريين (المسميتين الحرب العالمية الاولى والثانية)، وما كان للنزاع السلطوي ونزاع النفوذ والمصالح الاقتصادية إلا متوافقا في هذه العقلية مع نزعات التفوق والتي وجدت ضالتها بعد تحطم الامبراطورية العثمانية.

فلسطين في ثلاثة وجوه استعمارية

نالت المنطقة العربية العنت والاضطهاد والاستعمار اللا أخلاقي سواء في مناطق الاحتلال والهيمنة في الخليج العربي من البرتغاليين (تمكن البرتغاليون

من الوصول إلى الهند بعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح وسرعان ما أسسوا لهم إمبراطورية في الـشرق. في عام 1507م تمكن اسطول برتغالي يقوده ألفونسو دي ألبوكيرك من احتلال مسقط وصحار وخور فكان ثم هرمز التي وقع ملكها اتفاقية الولاء للتاج البرتغالي، في عام 1521 سقطت البحرين بيد البرتغاليين.)، ومن الانجليز لاحقا، أو في الجزائر منذ احتلال واستعمار الجزائر العام (1830م)، ثم بلغت ذروتها بعد الحرب (الاوروبية – العالمية الأولى 1914-1918م) والاتفاق على تقسيم العالم العربي في (سايكس بيكو عام 1916) ثم في (سان ريمو) عام 1920، وما كان ذلك بغريب على العقلية التي لا ترى في الآخر إلا خادما وعبدا. ومن هنا وقعت فلسطين في صلب المخطط الاستعماري الاوربي على ثلاثة أوجه:

كان الوجه الأول منه هو: ضمان الهيمنة والاغتصاب والسيطرة الأبدية على مقدرات الأمة والمنطقة الاقتصادية والجغرافية والثقافية والروحية بفصل جزئيها الشرقي والغربي إلى الأبد، وبتفتيتها إلى كيانات متحاربة.

والوجه الثاني من المخطط الاستعماري هو تغلغل عقدة العقل الاستعماري المتفوق الغربي الذي يري الآخر مأمورا أو منبوذا أو مسخّرا نتيجة ارتباط هذه العقلية ببُعدها الاقتصادي التوسعي (تحولت «شركة الهند الشرقية المحترمة» البريطانية من مشروع تجاري تأسس عام 1600م إلى مؤسسة تحكم جميع الولايات الهندية وجميع مستعمرات التاج البريطاني في المنطقة وذلك بدعم سياسي وعسكري من بريطانيا.) وببُعدها العنصري الذي يستغل الاختلاف العقدي في الاقصاء عوضا عن التقبل، وهو ما ناله يهود أوروبا الذين تقرر أن يُستبعدوا من القارة وفي ذات الوقت يشرخوا منطقتنا فيتحقق للغرب الاستعماري و(للحركة الصهيونية لاحقا) أن يضربوا عدة عصافير بحجر واحد.

أما الوجه الثالث فكان تحقيق الدول الغربية لتواصل احتكار العلم

والزراعة المتطورة والصناعة والتقدم والتقانة (التكنولوجيا)، فوقعت فلسطين في (بؤرة) الحدث الاستعماري وللأسباب الكثيرة التي ميزت جغرافيتها وموقعها وأساطير التناخ (التوراة وملحقاتها) التي أعيد تحريفها لتُفهم وكأنها تتحدث عن بلادنا.

يقول ياسر عرفات (ومن هنا يبدأ جذر المشكلة الفلسطينية، أن هذا يعني أن أساس المشكلة ليس خلافاً دينياً أو قومياً بين دينين أو قوميتين وليس نزاعاً على حدود بين دول متجاورة، انها قضية شعب اغتصب وطنه وشرد من أرضه لتعيش أغلبيته في المنافي والخيام.)[32]

بريطانيا والاحتلال الصهيوني

نالت المنطقة العربية من الضغط والقسوة والاستعمار ما جعل من الكيانات الناشئة بقوة وإرادة أبطال التحرر والاستقلال العرب يسعون لبناء هذه البلدان والسعي لتقدمها، ولكن من موقف ضعيف مرتبط بشكل أو بآخر بالدولة التي احتلتها أكانت بريطانيا أو فرنسا (أو إيطاليا أو إسبانيا أو البرتغال) إلا أن فلسطين كانت قضية مركبة فعل فيها العقل الغربي الاستعماري أبشع جريمة في القرن العشرين (والواحد وعشرين) وهي جريمة وضع بمقتضاها عدد من أتباع ديانة محددة من قوميات متعددة وهم اتباع الديانة اليهودية الأوروبيين خاصة مكان سكان فلسطين العرب في آلية تهجير وطرد وإحلال برزت بذورها منذ العام 1881 م ثم في مؤتمر (بانر- كامبل) 1905 – 1907 في لندن وصولا لتحالف العقل الغربي مع الحركة الصهيونية (منذ مؤتمر بازل 1897م) فتولى الانجليز منذ احتلالهم لفلسطين وعبر ما يسمى (صك الانتداب) عام 1922 القيام بهذه المهمة اللاأخلاقية.

32- من خطاب أبوعمار في الامم المتحدة عام 1974

وقعت فلسطين في قبضة عقلية الهيمنة والاستعمارالثقافي والاقتصادي، والإحلال فسهلت الهجرة اليهودية ويسّرت سرقة الأرض، ثم عمدت لانشاء الكيان فوقعت نكبة العام 1948 التي دفعت بالشباب الفلسطيني لأن يأخذ بزمام المبادرة ضمن فهم عميق لجذور المشكلة، وفي تطور وعي استغرق زمنا طويلا ليحدد من خلاله حجم القوى والتدافع الدولي، ثم ليرى حجم قوته وامتداداتها فيرى بوضوح أين يقف من كل ذلك، ففلسطين قد سقطت بين أيدي إحتلالين اجنبيين انجليزي وصهيوني، ثم ترك الأمر كله للقاعدة المتقدمة للغرب الذي ورث سطوته وهيمنته الولايات المتحدة الامريكية.

قال الخالد فينا الراحل ياسر عرفات من على منصة الامم المتحدة في نيويورك عام 1974: (ترجع جذور المشكلة الفلسطينية إلى أواخر القرن التاسع عشر أو بكلمات أُخرى إلى ذلك العهد الذي كان يسمى عصر الاستعمار والاستيطان وبداية انتقال إلى عصر الإمبريالية حيث بدأ التخطيط الصهيوني_ الاستعماري لغزو أرض فلسطين بمهاجرين من يهود أوُروبا كما كان الحال بالنسبة للغزو الاستيطاني لإفريقيا. في تلك الحقبة التي توطدت فيها سطوة عتاه الاستعمار القادمين من الغرب إلى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية للاستيطان وإقامة المستعمرات وممارسة أشد أشكال الاستغلال والاضطهاد والنهب لشعوب القارات الثلاث. إنها الحقبة التي ما زلنا نشهد آثارها العنصرية البشعة في الجنوب الإفريقي وكذلك في فلسطين.

وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون أفكار ((التمدن والتحضر)) لتبرير الغزو والنهب والعدوان في إفريقيا وغيرها. كذلك استخدمت هذه الذرائع لغزو فلسطين بموجات المهاجرين الصهاينة. وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون الدين واللون والعرق والغة لتمرير عملية استغلال الشعوب وإخضاعها بالتمييز والتفرقة والإرهاب في إفريقيا، كذلك استخدمت هذه

الأساليب لاغتصاب الوطن الفلسطيني واضطهاد شعبه ومن ثم تشريده.

وكما استخدم الاستعمار، وقتئذ، المحرومين والفقراء والمستغلين كوقود لنار عدوانه، ومرتكزات الاستيطان، كذلك استخدم الاستعمار العالمي والقادة الصهاينة اليهود المحرومين والمضطهدين في أُوروبا كوقود للعدوان ومرتكزات للاستيطان والتمييز العنصري.

إن الإيديولوجية الصهيونية التي استخدمت ضد شعبنا لاستيطان فلسطين بالغزاة الوافدين من الغرب استخدمت في الوقت ذاته لاقتلاع اليهود من جذورهم في أوطانهم المختلفة ولتغريبهم عن الأمم.

إنها أيديولوجيا استعمارية استيطانية عنصرية تمييزية رجعية تلتقي مع اللا سامية في منطلقاتها، بل هي الوجه الآخر للعملة نفسها. فعندما نقول أن تابعي دين معين هو اليهود، أياً كان وطنهم، لا ينتسبون إلى ذلك الوطن ولا يمكن أن يعيشوا كمواطنين متساوين مع بقية المواطنين من الطوائف الأخرى، فإن تلك اللقاء مباشر مع دعاة اللاسامية، وعندما يقولون أن الحل الوحيد لمشكلتهم هو أن ينفصلوا عن الأمم والمجتمعات التي هم جزء منها عبر تاريخ طويل، ثم يهاجرون ليستوطنوا أرض شعب آخر ويحلوا محله بالقوة والإرهاب يأخذون من غيرهم الموقف نفسه الذي أخذه دعاة اللاسامية منهم).[33]

سقوط جغرافيا فلسطين وجدل الحل

في ظل جدل الـصراع وأصوله وكيفية مواجهة تحديات التشظي والتشرذم للأمة في بلدانها ومقدرتها وحضارتها وثقافتها برزت الأفكار الكبرى الثلاثة تلتمس الحل النهائي وتصبو للإجابة على كل الأسئلة ومن

33- يمثل خطاب الرئيس الراحل والفدائي الاول ياسر عرفات رحمه الله في الامم المتحدة 13/ 11/ 1974 مفتاحا حقيقيا لفهم الاستعمار والاحتلال وما يعد بالفعل وثيقة تاريخية تستحق أن تدرس في مدارس فلسطين والأمة جمعاء.

هنا نمى التيار القومي وبرز الإسلامي وكان للاشتراكي ظهورا ومكانة.

سقطت جغرافيا فلسطين بين أيدي الحركة الصهيونية بتسهيلات كان لا غنى عنها من (الانتداب البريطاني)، ولم يكن الشعب العربي الفلسطيني إزاء ذلك مستكينا ولا مستسلما ولا خانعا، وإنما كان ثائرا شجاعا مقداما قدم الهبّات والثورات منذ العام 1919 ثم في العشرينيات، وهبّة البراق عام 1929 (تعود اليوم القضية في حائط البراق والمسجد الأقصى المبارك ككل لتغلغل العقلية التوراتية الخرافية في المجتمع الإسرائيلي في فلسطين) فالنشاط التنظيمي للشيخ عزالدين القسام ثم ثورة 1936 – 1939 وما رافقها من أساليب نضال عدة كان للأخ العربي فيها دورا واضحا بغض النظر عن دينه أو مذهبه، ومع سقوط الجغرافيا برز العلم السياسي الجديد الذي يعلن ولادة دولة (إسرائيل) على أشلاء فلسطين الممزقة جغرافيا فكانت النكبة التي ما زالت حيّة فينا كفلسطينيين وكملايين من اللاجئين المتوزعين على أصقاع المعمورة الذين سيكحّلون أعينهم مهما طال الزمن بكحل فلسطين وهوائها المعطّر.

في هذا الخضم من التاريخ والأفكار، وفي هذه البيئة الصعبة حيث المرواحة بين اليأس والأمل وبين الاحباط والعمل وبين السلبية وعقلية الابداع الايجابية اختطت حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح تاريخا جديدا منذ العام 1957 حيث تعالت الهمسات لتنشئ كيانا أعلن عن ذاته بقوة عام 1965.

فلسطين فقدت الجغرافيا بإنشاء الكيان الإسرائيلي، ثم طحنتها دهاليز السياسة لتنشئ فوق جسدها كيانا جديدا، كان لابد من أن ترفضه هذه الجغرافيا (الأرض) وأهلها بأشكال عدة ليس أولها الكفاح المسلح أو حرب الشعب طويلة الأمد (النفس) وليس لآخرها المقاومة الشعبية المنتصرة اليوم والمحصنة بغضبة القدس أو هبة أو انتفاضة القدس (2015) التي

لا تحتاج لكثير جهد لتعلن أن هذا الشعب لا ينسى ولا ييأس ولا تخور قواه مهما جهدت (إسرائيل) في محاولات احتلال التاريخ عبر وسائط المادة بغرس المستوطنات (المستعمرات أو المستدمرات) بين ثنايا الجسد أو شق الجسد الذي توافق الفلسطينيون أن يقيموا فيه دولتهم المستقلة دولة فلسطين على جزء صغير من أرض فلسطين.

حركة ضد الشمولية والاقصائية

إن مسيرة حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح لم تكن لتؤمن بهيمنة الأفكار الشمولية سواء تلك القومية الشوفينية أو الإسلاموية أو الشيوعية فخلعت كل العباءات البراقة، وقررت أن الملعب الأول لها هو أن تركّز وتكرّس وتخصّص نضالها نحو قضية واحدة فقط هي قضية وطن قضية فلسطين ومن هنا فهم الفتحويون طبيعة تميزهم الحقيقي منذ اليوم الأول والبلاغ الأول (بلاغ قوات العاصفة) ومنذ (هيكل البناء الثوري) واستطرادا في أدبيات الحركة، ومسارها النضالي الذي ارتقى درجات النضالية والثورية من درجة الثورية المثالية إلى الثورية الواقعية.

رفض رواد حركة فتح فكر جماعة (الاخـوان المسلمين) الحصري الاقصائي الذي يقدس الفكرة وحامليها معا كما يقدّس الجماعة على حساب الأمة، رفض فكرهم السياسي النظري غير العملي، فكرهم الذي يجمد الصراع لدواعي ادعاء المظلومية والسجن وعدم توفر الظروف، فخرج عدد ممن انتموا للجماعة -في غزة خاصة- على قاعدة أن فلسطين تجمعنا، لينهضوا من أجل فلسطين لا من أجل فكر الاخوان المسلمين (خليل الوزير وأبويوسف النجار وصلاح خلف...)، وتلاقوا مع زملائهم الذين لم ينتموا لأي حزب أبدا الا حزب فلسطين كما هو شأن ياسر عرفات ود. عادل عبدالكريم ومحمود عباس وهاني الحسن، وليلتقوا مع أولئك ممن خرجوا من حزب البعث العربي الاشتراكي (فاروق القدومي كمثال)،

وأولئك الذين طلّقوا الشيوعية والفكر الماركسي-اللينيني الحزبي (ماجد ابوشرار...) والذين تركوا حزب التحرير (الإسلامي) (مثل خالد الحسن) وغيرهم، فكان هذا اللقاء الجامع الذي خلع الأردية الحزبية الضيقة لقاء بين الأنوية المتعددة في غزة والضفة والخليج العربي وألمانيا والنمسا (بدأت التباشير بعد العام 1948 وصولا للنشأة عام 1957 ثم الانطلاقة عام 1965 والانطلاقة الثانية عام 1968م)، ومثّل هذا اللقاء أيضا التقاء أفكار سياسية متعددة اتفقت على أولوية فلسطين، واتفقت على ضرورة اشعال جمرة النضال، واتفقت على تطليق الاحزاب الشمولية التي تهمش فلسطين، وتتلهى بأفكار إقصائية للآخر، أفكار شمولية أفكار لا ديمقراطية أفكار لا ترى بنفسها الا النهج الاوحد التي قتلتنا سابقا وعادت لتدمرنا اليوم، فكانت حركة فتح الحاضنة للكل الفلسطيني بفئاته وتنوعاته، ومازالت.

يقول محمود عباس (أبو مازن) ردا على سؤال حول الوحدة والتنوع داخل حركة فتح بديلا للحزبية منذ البدايات (لتبقى الأفكار كما هي، لكنه ممنوع الارتباط بأي حزب، فقط في الحركة، فكان التنظيم يضم كل الاتجاهات تقريبا، كان هناك إخوان وبعثيون، قوميون عرب، وكان الكثير من الشباب في الحركة قد دخلوا حزب البعث، ولم يقتنعوا، وكذلك حركة القوميين العرب، والإخوان المسلمين، وتركوا، ووجدوا في حركة فتح ضالتهم...)[34]

لقد ميزت حركة فتح بوضوح بين حقيقة الفهم، وصدق التحليل المشفوع بحقائق الجغرافيا والتاريخ والقانون والسياسة، ولكنه المرتبط بالرؤية الاستراتيجية التي تفهم جيدا صراع القوى والمعسكرات وطبيعة تقاطع المصالح، فرأت أن المحرك في القضايا العالمية لم يكن هو القيم

34- كتاب لمكتب الشؤون الفكرية والدراسات لحركة فتح، تحت عنوان صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية، مع الرئيس محمود عباس، الطبعة 2 عام 2010 ص 20

والأخـلاق والعدالة، وإنما هذا الكم الهائل من التوحش اللأخلاقي الاستعماري سواء في الفكر الغربي أو الفكر الصهيوني الاحلالي الذي بدأ استعماريا (قوميا) لينتهي اليوم (عنصريا) (توراتيا) دينيا خرافيا.[35]

مراحل وغيمات عرفات

إن ياسر عرفات الذي أجهد نفسه طوال حياته وهو يبحث عن الغيمات الماطرة، ووجد بعضا منها فحقق انتصارات هنا وهناك وأرادها تراكمية، وصدّر عبقرية الحث هذه لمضمون فعل حركة فتح التي آمنت بالمبادرة والمبادأة والإنجاز فلم تقف خلف المصداح «الميكرفون» تنشر وتصرخ فقط، وإنما جعلت من (الحركة) فعلا ايجابيا، فحيث تكون المقدرة على تحقيق انجاز (أكان وطنيا شعبيا، أو عسكريا، أو قانونيا، أو سياسيا...) كانت لا تتوانى عن خوض غمار الحرب لتحقيقه وهذا ما كان فكانت الانطلاقة عام 1965، وكانت الحرب الشعبية طويلة الأمد والكفاح المسلح بإشكاله المتعددة (1965 – 1974) وكان العمل السياسي يحصد زرع العمل العسكري (1974 – 1987)[36] ثم كانت الإرادة الشعبية الجماهيرية تعبر بقوة عن حضورها ودورها المباشر في أرض الوطن عبر انتفاضة الحجارة التي كان فيها خليل الوزير (ابو جهاد) أول الرصاص أول الحجارة مع

35- يقول د. عمار علي حسن: «الإستراتيجية تتسم بأنها «استباقية توقعية»، إن لم تكن «تنبؤية»، وهذا الاستباق يرمي إلى رعاية المصالح الوطنية وحمايتها مما يخبئه المستقبل، ولذا لا يجب أن يقوم على التقديرات الجزافية أو الخيالات الأسطورية، إنما دراسة الاحتمالات والسيناريوهات، ووضع الافتراضات والمنطلقات، والتي تكون بدورها مشروطة بما يجري على الأرض، وبالإمكانات المتاحة».

36- قال ياسر عرفات أمام الامم المتحدة في خطابه التاريخي 13/ 11/ 1974: «وإننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولي فإن ذلك تعبير في حد ذاته عن إيماننا بالنضال السياسي والدبلوماسي مكملاً معززاً لنضالنا المسلح وتعبير عن تقديرنا للدور الذي يمكن للأُمم المتحدة أن تقوم به في حل المشكلات العالمية»، ومثلت عبارة «العمل العسكري يزرع والعمل السياسي يحصد، ومجنون من يزرع ولا يحصد» واحدة من أشهر مقولات هاني الحسن.

شبيبة الفتح وفلسطين في الوطن (1987 – 1993)، وبالانتقال لعناق البناء والتكريس للوطن من نافذة اتفاقيات المرحلة الانتقالية (1994 – 1999م) اقتنصت حركة فتح غيمة ماطرة فأعادت مئات الآلاف من المناضلين للوطن وكرست آليات التشبث بالأرض، ورسخت مفهوم معول البناء ومنجل الحصاد وإرادة الثائر في بناء مداميك الدولة الفلسطينية القادمة، فماذا حققنا؟.

بلا شك أن النجاحات السياسية كانت ذات طبيعة تراكمية في النضال الفلسطيني وفي جهود حركة فتح المضنية منذ اعلان الدولة عام 1988 في العاصمة الجزائر على وقع انتفاضة الحجارة، ثم انتفاضة الأقصى (2000-2004م) وصولا إلى إعلان العالم اعترافا أمميا بفلسطين دولة (غير عضو) في الأمم المتحدة (قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 67/ 19 هو قرار صوتت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29 نوفمبر 2012، وهو تاريخ اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني. قدم الاقتراح ممثل فلسطين في الأمم المتحدة. التصويت كان لمنح فلسطين صفة دولة غير عضو في الأمم المتحدة. في الأساس، يرقي القرار مرتبة فلسطين من كيان غير عضو إلى دولة غير عضو. مع رفض الحكومة الإسرائيلية القرار، إلا أن رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت عبر عن تأييده له. أيد القرار 138 دولة، وعارضته 9 دول، وامتنع عن التصويت 41، وتغيبت خمس.) ثم النجاحات التي جعلت من مطاردة الكيان الإسرائيلي في المؤسسات الدولية هدفا لنا وهاجسا للإسرائيليين وتكاتفت هذه النجاحات (أو الانتصارات) الهامة مع تواصل الفعل الميداني اليومي من خلال المقاومة الشعبية السلمية المتواصلة منذ العام 2005م.

بندقية ومفتاح ومطّارة

على الدرب الطويل سار رجالات حركة فتح، كانوا يحملون في جعبتهم بندقية ومفتاح ومطرة (زمزمية)، في الأداة الأولى أي البندقية فتحوا الطريق نحو بعث القضية من النسيان، فبدون الكفاح المسلح والحرب الشعبية طويلة الأمد ما كان للفتح أن يكون لاسيما والنسيان والتجاهل والانكسار كان يرخي بذيوله على سماء الأمة العربية والإسلامية خاصة فترة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

وحمل الفدائي مفتاح العودة في جيبه وما زال يحمله ولن يتخلى عنه لأن العودة ومهما طالت الأيام والسنون متحققة بالأجيال، فكما أن الأرض تعلن يوميا أنها لأصحابها العرب الفلسطينيين فإن أصحابها في الشتات يتشبثون بحزب العودة، فهي العودة التي لا محيد عنها مهما كثرت العقبات وتكاثفت الأكاذيب وأحدقت بنا المؤامرات. وحمل الفدائي في جعبته مطّارة ليملأها بالماء كلما اشتد به عطش لذلك قضى الفلسطيني حياته يبحث عن الغيمات الماطرة.

وعن مفتاح العودة الذهبي يقول عضو اللجنة المركزية للحركة (آنذاك) خالد الحسن في المجلس الوطني الفلسطيني بدورته العشرين عام 1991 (أنا خالد الحسن، ابن حيفا، إذا فقدت حق العودة وبالتالي أملي بالعودة إلى حيفا، شو بدي فيكم «ما حاجتي بكم»، أنا والله عندي حيفا والقدس زي «مثل» بعض، لأن كل فلسطين مقدسة).[37]

ومع مفتاح العودة كانت مفاتيح التحرير والنضال بكافة أشكاله مترافقة مع مفتاح الديمقراطية والتعددية الداخلية (فنحن عودنا أنفسنا منذ البداية على الديمقراطية، وعلى الحوار الهادف، فلم نرفع يوما سلاحا

37- من كلمة الأخ خالد الحسن في المجلس الوطني الفلسطيني الدورة 20 دورة القدس والشهداء، 23-28/ 9/ 1991

فلسطينيا في وجه فلسطينيين، ولم نقبل أن يسود منطق الغابة هذه الساحة الفلسطينية...)[38]

في فلسطين لا نزرع الأشجار فقط ولا النباتات بل نزرع الفداء في قلوب الرجال وعقول الأطفال لأن الوطن والقدر متماهيان، فكما كُتب علينا أن نكون من هنا فإن الوطن لا يحيا إلا فينا، ومهما كانت التضحيات فيه أو من أجله فهي استجابة القدر فينا لنداء الأرض.

في فلسطين لا نزرع الأرض فقط بل ونزرع النفوس والعقول والأرواح بالنداء والعمل والأمل الكبير لذلك فالثورة أو ثورة بساط الريح كما كان يسميها ياسر عرفات عرفت الجدب والخصب وعرفت الانتكاسات والانتصارات، وتنقلت وتجاوزت وحرثت وفي جميع أطوارها ومراحلها كانت تبحث عن الغيمات الماطرة، والأجوبة الشافية والسياسيات الواقعية أحيانا والمجنونة حينا كل ذلك فداء لفلسطين.

أدوات النضال وحاجاتنا الملحة

ظهرت الأجوبة والغيمات الماطرة في فهم للمراحل، من النضال العسكري، فالعناق بينه وبين السياسي، إلى النضال متعدد الأوجه (الاقتصادي والإعلامي والاجتماعي مع ما سبق...)، إلى النضال الجماهيري عبر الانتفاضات والهبات (انتفاضة الحجارة عام 1987-1993 ثم هبة النفق عام 1996 ثم انتفاضة الأقصى عام 2000 ثم #غضبة_القدس أو هبتها الحالية)، والمقاومة الشعبية السلمية المتواصلة اليوم بأشكالها المتعددة التي دفع في سبيلها العديد من الشهداء أرواحهم وكان فيهم البطل الشهيد زياد أبوعين عضو المجلس الثوري لحركة فتح علما بارزا.

38- المصدر السابق، من خطب صلاح خلف، كلمة له عام 1982 في الكتاب المشار له سابقا ص 142

سارت حركة (فتح) وأصابت وأخطأت، وأفلحت وعانت كثيرا إلى أن أصبحنا على أبواب العام 2016 والانطلاقة تتجاوز الأعوام الخمسين التي نحتاج فيها للحكمة ولنقد وتأمل وتفكر وتطوير وابداع، والجعبة ما زالت كما هي، ونحن بانتظار الغيث فالأرض لا يحرثها إلا أبطالها والبحث عن الأبواب المفتوحة تحتاج لأكثر بكثير من الدعاء فقط.

1. بين التخلي والتمسك، والشجاعة

إننا مطلّون على مرحلة تحتاج لكثير تفعيل لأدوات النضال لاسيما والخراب في الساحة العربية أصبح شديدا، ما بين طعن الحِراب وتشتيت الفكر وصراع النفوذ، ولاسيما والأمم تسعى لمصالحها ونحن في أشد حالات الضيق، والنفق ما زال مظلما، وفي هذه المرحلة فإن أدوات النضال واعتصار الغيمات وامتلاك مفاتيحها يحتاج منا كفلسطينيين أكثر من أي شيء آخر لتبادلية (التخلي) و(التمسك).

إن لم نتخلى-وفي التخلي شجاعة- لا نستطيع أن نتحلى بشجاعة التمسّك، إذ علينا التخلي عن أنانيتنا السلطوية أو الحزبية كتنظيمات وكأفكار (مكتفية بذاتها) وكآراء ومواقف متباعدة، وأن نتخلى عن أي ارتباطات خارجية هي وهمية لنا لأنها – وبالتجربة – لا تسعى إلا لمصالحها، فلم يكن يوما للعدل والحق والضمير أن تغلب على المصالح إلا في مراحل أو حالات تاريخية محدودة، لذا فإن علينا في حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح أولا وفي الفصائل الأخرى أن (نتخلى) عن كل ذلك إن وجد فينا (لنتمسك) ويتمسك غيرنا بفكر وسجايا «الصدق والشجاعة والتناغم» مع الجماهير، فكر فلسطين فكر الوطن، فكر الأولوية لفلسطين، لا لأي فكرة وأخرى مهما بدت مقدسة أو كبيرة أو عظيمة، لأن مهمتنا التي ألقاها الله سبحانه وتعإلى علينا أن نكون مرابطين في هذا البلد جميعا وليس كِسَرا وأجزاء.

يقول المفكر العربي الفتحوي خالد الحسن إن الشعب (قد اشتاق لقيادة الصدق والشجاعة والوضوح والمصارحة والتنظيم والتعبئة والتناغم مع نبض الجماهير العربية في فلسطين، تلك الجماهير التي تسامت على كل قياداتها منذ العام 1920 حتى الآن بوحدتها الوطنية وبرفضها الوقوع في مصيدة الانشقاقات الحزبية أو التنظيمية أو القيادية...)[39]

إن الذهاب لعقلية التمسك بالجوامع الوطنية بديلا عن القواسم، والاتكال على الله، ووحدتنا هي قصبة النجاة، وهي الغيمة الماطرة، وقد يقول قائل أن هذا الفصيل أو ذاك يرى ذاته أو فصيله (تنظيمه) أو فكره منزّها ربانيا مطلقا لا ياتيه الباطل من بين يديه أومن خلفه، وقد يرى ذلك نعم، ولكن من واجبنا -رغم علمنا هذا- أن نفتح الأبواب بل ونشرعها، ونتنازل لإخوتنا ونتقدم أكثر من خطوة باتجاههم عبر الحوار المفتوح والتقبل والتفاهم والتجاور في نفس المساحة، ففلسطين والقضية أكبر منا جميعا.

2. بناء القلعة الكبرى

نحن في مرحلة أحوج ما نكون فيها للخطاب الواحد والصوت الواحد والهدف الواحد والذي يستدعي حين استقرار القناعة بناء قلعة، نعم بناء قلعة وطنية كبرى، ففي ظل تهدم قلعة منظمة التحرير الفلسطينية وتشقق جدرانها وجدران السلطتين سواء في رام الله أو غزة، لا بد أن نبني قلعة جديدة تستلهم تجارب تلك المتداعية وتؤسس لفكر وثقافة الديمقراطية (الشراكة) الحقيقية دون إبطاء سيتجاوزنا به الزمن.

من هنا يقع واجب بناء البرنامج والخطة والسراطية (الإستراتيجية) الوطنية الشاملة على الكل الفلسطيني، وفي إطار منظمة التحرير

39- من مقال لخالد الحسن تحت عنوان «علينا التمسك بمطالبنا الوطنية الفلسطينية، ولو بحدها الأدنى»، الرباط في 9/ 8/ 1993

الفلسطينية ذات الأسس الديمقراطية المدنية الجديدة، بلا إسفافات الأفواه الكبيرة عبر الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي الممتلئة بالقبح والقذارة من تخوين وتشويه وتكفير.

إن البيت الوطني مخترق ومثقل بالثقوب فلا يتحصل على قدرة تجميع الماء، وما استمرت الثقوب بلا إصلاح لا نستطيع ان نحصر الماء فنرتوي أو نتقدم.

3. بعيدا عن القمة و«العضو المحترم»

أما ثالثا فكما نحتاج للتخلي كمقدمة للتمسك، وكما نحتاج لبناء قلعة وطنية حصينة، فإننا على الصعيد الحركي الفتحوي الداخلي بلا شك أخذتنا الأحداث اليومية بعيدا عن (طُهر) الفكرة، وبعيدا عن (ثقافة) الانتماء والالتزام والانضباط، فاستبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير، لتصبح محطة انتماء البعض فينا ذات طابع انتقائي أو ذرائعي أو مصلحي أو شخصاني، وهو ما يتعارض مع تعريف الانتماء الفتحوي أنه لفلسطين وترابها وسمائها وحجارتها وزيتونها وقضيتها...

ليس الانتماء قطعا لهذا أو ذاك، وكيف للانتماء والثقافة الوطنية أن تنمو والجسد (التنظيمي) منهك والجسد التنظيمي يعاني من الأمراض، والنفوس مليئة بالثقوب والسواد واليأس والإحباط، والهياكل تتآكل فلا أبواب مفتوحة ولا آذان تسمع ولا قلوب لذكر الله سبحانه وتعالى، ولهدف فلسطين تخشع! وكيف لتعاضد وتكاتف وتساند يُبني ومسار الحراك داخل التنظيم السياسي يتكالب نحو القمة وليس نحو (العضو) من حيث هو الطاقة الجبارة والقيمة والاحترام بفكره وأدائه وفعله بغض النظر عن مكان وجوده في السلم التنظيمي.

يقول خليل الوزير (أبوجهاد) أول الرصاص أول الحجارة عما أسماها

القواعد الذهبية الأربع لحركة فتح وهي قواعد العمل الخاصة بنا «كأعضاء في الحركة»، أنها تتمثل: بتبني (الوحدة الوطنية مع اتساع الصدر ورحابة الأفق، والثانية هي توظيف كل الطاقات لتحقيق حرب الشعب طويلة الأمد ما نحتاج معها إلى الصبر والنفس الطويل، والقاعدة الثالثة: هي بالعمل على تفتيت جبهة الأعداء، والقاعدة الرابعة: هي استقلالية قرارنا التي لا تنبع من إقليمية ضيقة مغلقة، بل تنبع من منطلقاتنا ذات الأبعاد القومية استنادا إلى أن صاحب الجرح هو الأكثر إحساسا بالألم والأكثر إحساسا بحجم المعاناة، ولذا لا بد أن يكون هو الأكثر تفاعلا واندفاعا لمعالجة جرحه)[40]

إن إعلاء قيمة (العضو) أي الشخص المنضوي تحت لواء التنظيم السياسي بقناعة وإيمان، يجب أن تكون أساس الثقافة التنظيمية الناهضة، فكما يُطالب هو بالانضباط للقوانين والأوامر والتوجيهات فمن حقه ألا يُدار له الظهر، وأن يُعطى الدور في مساحته وإطاره وأن يتم التواصل الدوري معه.

ما يعنى أن لا حياة تنظيمية داخلية متواصلة بدون خُماسية (1- الاجتماع الدوري لكل إطار ببنوده الكاملة، 2- تقديم التقارير عن الأعمال والتكليفات، 3- امتلاك «التكليف والمهمة أو الدور» الذي يمارسه العضو يوميا، وممارسته التثقيف والبناء الذي لا غنى عنه، 4- عقد اللقاءات الدورية وعقد المؤتمرات بمواعيدها، 5- تحقيق التواصل الاجتماعي الداخلي، والجماهيري المبني على الحب والتفهم والتقبل والتجاور).[41]

40- د. محمد حمزة، أبوجهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله-فلسطين، الطبعة8، عام 2010 ص180

41- مراجعة دراسة بكر أبوبكر حول البناء والتثقيف في الأقاليم على موقعه www.bakerabubaker. info

4. استمطار الأمة العربية

نعم نحن نلتفت للداخل فينا كحركة فتح وفينا كمنظمة تحرير، وفينا كفكرة وثقافة مشاركة ودور جامعة متجددة، ما نراه أولوية عظمى في ظل الخراب الذي يضرب في ظهرنا في عمق أمتنا العربية، أو انكفائها وابتعادها (الذي نسعى لأن يكون مؤقتا) عن قضية الأمة الأولى قضية فلسطين.

وفي (سعينا) لاستمطار غيمات الأمة العربية لاشك أن قنواتنا يجب أن تظل مفتوحة على ذات القاعدة التي أَلِفناها فنحن والأمة جسد واحد مهما أثقلته الجراح هذه الأيام. (هل نتذكر شعارنا الخالد الذي طالما أكد عليه القائد صلاح خلف وخالد الحسن أننا قاطرة لا تسير إلا ضمن قطار الأمة العربية، وأننا رأس الرمح فيها...)

ومن هنا في النقطة الرابعة المطلوبة حاليا تقول أن: لنا دور مشترك يجب أن نمارسه في تعظيم قيم التوافق والتعاضد والتقارب بين الأمة ومع الأمة العربية حيث يجمعنا التاريخ والحضارة والمكان واللغة العظيمة والثقافة والقضايا المشتركة، كما تجمعنا الحضارة والإسلام العظيم مع عدد من دول الإقليم المجاورة (مع ايران وتركيا)، ولنا دور يجب أن نمارسه في تعظيم قيم التوافق أيضا مع الدول الإسلامية، بل ومع أحرار العالم حيث قيم العالمية الحضارية.

في حديثنا في الإطار الواسع المساحة أي الاقليم أو الأمة العربية وجب علينا أمران الأول: الاستمرار بطرق الخزان العربي سواء الرسمي أو الشعبي، فما زال هذا الخزّان يضم الكنوز البشرية في الاعلام والصحافة والفكر والاقتصاد والثقافة الجامعة والتقانة وغيرها من المجالات التي لا غنى عنها لنا كأمة، وفي فلسطين القضية والدولة والمستقبل.

وفي الامر الثاني يجب تحقيق مساهمتنا في دعم قيام (كيان) الأمة الناهضة، ونحو مزيد من التقارب والتآلف وصولا للوحدة بأي شكل مقبول من شعوب الأمة، وهل أوربا متعددة القوميات أفضل منا لتشكل (الاتحاد الاوروبي)؟ ونحن نتفرج على أعتاب فكرة خيالية سلطوية استبدادية، ليست نهضوية أصبحت بائدة اسمها (أمة عربية واحدة...)، أو اسمها المخادع (الخلافة الإسلامية)، وهي مهما كان مسمّاها ما يجب أن ننهض بها ثقافيا وفكريا كحركة فتح لدعمها في نظرية أقرب ما تكون لمفهوم «أمة ديمقراطية حضارية واحدة منفتحة»، وأن تعددت الأنظمة السياسية، يجمعها المصلحة الواحدة، لتتبوأ مكانا مرموقا بين الأمم بالتحرر وبالفكر والثقافة والصناعة والتقانة والوحدة الاقتصادية واحترام حقوق الإنسان والتعددية والمدنية... الخ، بعيدا عن معازل (غيتوات) الجهالة والتطرف والانعزال العنصري والإرهاب الذي عصف بأمتنا.

لنا أن تحلّق الأمة معنا، فلا تضيع فلسطين في ظل البُهتان الصهيوني الذي يحاول أن يجعل من الخطر الاقليمي (ايران تحديدا) هو الخطر الأوحد، في محاولة فاشلة لاستقطاب الأمة، ولنا أن نزرع مع الأمة بذور الوحدة الناهضة أيضا، وننتظر الإثمار، فالغيمات فينا رابية.

5. «الفهم» والصراعات

في النقطة الخامسة بعد أن تعرضنا للوحدة الداخلية بشقيها الفتحوي والوطني العام، وبناء السراطية (الاستراتيجية) والبرنامج الموحد، ووحدة الأمة في الإطار الحضاري، فإن فهم الصراع بأبعاده الذي قد لا ينتبه له الكثيرون يحتاج جهدا مضاعفا، وهذه الأيام خاصة في ظل صراعات جديدة تحيط بنا منها صراع الإسلامويين وصراعات التطرف وصراع الإرهاب، وصراع (الإسلاموفوبيا) بالغرب، وصراع الأصالة وصراع الأديان والطوائف، وصراع التقسيم الجديد للمنطقة العربية، وصراع العلمانية وأبوابها المتعددة،

وصراعات الحداثة والعولمة والبيئة، ناهيك عن صراع الرواية التوراتية الرائجة هذه الأيام في ظل خرافية وأسطورية فكر اليمين الإسرائيلي الصاعد، وكثير من مرويات التراث العربي والإسلامي التي استجابت لهذه الأساطير التوراتية، ولم تعد تطيق تقبل الدلائل والبراهين التي تسقطها وتصرعها.

إن صراعنا الثقافي الفكري التاريخي النضالي سواء في المنطقة، أو فيما يتعلق بفلسطين هو مما يجب أن نقرنه مع ما استجد من صراعات نخوضها مثل صراع مقاطعة الكيان الإسرائيلي العنصري في كل المحافل وفي الوطن، والصراع القانوني الذي ذهبنا إليه حديثا مترافقا مع النجاحات السياسية، ودعما لاستراتيجية تحطيم أسطورة (إسرائيل) كدولة (ديمقراطية) ما هي في الحقيقة إلا عنصرية تبتغي (اليهودية) الإقصائية، الأكثر بغضا مما كان في جنوب افريقيا.

إننا بحاجة كفلسطينيين وكحركة فتح وكتنظيمات عامة للفهم المشترك أولا، وفي إطار تحقيق هذا الفهم لامناص من استبعاد أولئك المعوقين للوصول لهذا (الفهم المشترك) وهذا الفهم إن لم يعود لجذره وهو (فلسطين) ولجذره الحضاري في صميم حضارة أمتنا العربية الإسلامية والمسيحية الشرقية نكون في حالة (تيه) كتلك التي حصلت لقبيلة بني إسرائيل العربية اليمنية المنقرضة هناك في الجغرافيا البعيدة.

إن المأساة في فلسطين اليوم ذات طابع مركب ما بين اختلالات الجغرافيا وصراخ الأرض المغروس فيها خنجر الاستيطان والاحتلال، وتكرار مآسي اللجوء، وما بين تزويرات السياسيين الإسرائيليين وشحذ سكاكينهم الملونة لقطع رقبة نضالنا، بل وتمزيق تاريخنا وحضارتنا، وما يساعدهم في عملية الذبح الإرهابية هذه هو عدم القدرة على «الفهم» وعدم القدرة على التوافق على التحليل لدينا نحن كتنظيمات فلسطينية سياسية أساسا، وعدم القدرة لدى فئة كبيرة على تقبل الآخر والتعددية

والديمقراطية والشراكة، وما يساعد العدو في مذبحته ضدنا هو تفككنا، ولهوْ الأمة وانصرافها إلى مواضيع تأخذ أنظمتها ومنظماتها بعيدا وتجعل من انخراطهم في محاور متقابلة-متقاتلة أساس الصراع والفرز الذي يدمر الأمة من حيث تدمير فكرة الدول الوطنية، ومن حيث هز الاستقرار، ومن حيث تلطيخ الثقافة الحضارية المتعددة.

إن حاجتنا للفهم المشترك في التوافق على وحدة فكرتنا الجامعة يعني أول ما يعنيه قطع الخيوط مع ما يظنه البعض «أكبر» من «فلسطين الفكرة الجامعة»، وهو ذاته الخيط «الأكبر» الذي التف نحو رقابنا فجمد نضالنا كفلسطينيين في فترة تكاثف غيمات الانطلاقة ما قبل عام 1965، وها هو يعود اليوم ليلتف حول رقبة القضية بوجه جديد يجعل من فلسطين قضية ثانوية، أو إلحاقية أو قابلة للانتظار لا يرفع من أجلها إلا الشعارات الفضائية، ومن هنا فواجب حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح داخلي وخارجي، وثقافي كما هو ميداني صادق وشجاع وصبور بلا كلل.

وإنا لمنتصرون بإذن الله، وإنها لثورة حتى النصر.

حركة «فتح» الوطنية، وقضايانا القومية
(العام 2017)

حركة فتح الحركة الوطنية الفلسطينية كفكر هي حركة تحرر بمعنى أن شغلها الشاغل كهدف وفكرة محورية محركة للفعل هو التحرير، وتحديدا تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، دولة مستقلة ثم دولة ديمقراطية مدنية على كامل التراب الفلسطيني.

إن التحرير الوطني أو القومي هو كفاح للتخلص من العبودية للمستعمر، واحتلال الأرض والإنسان، وفي هذا السياق اقتدت الثورة الفلسطينية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح بتجارب الشعوب حتى اكتشفت طريقها الخاص.

منذ البداية وحتى اليوم وحركة فتح لا تجمد ولا تتحيز ولا تقصي ولا تغتاظ من نجاحات الآخرين، بل كانت مرحابة دوما منفتحة أبدا بحيث أنها احتملت في داخلها النقائص تلك التي عاشت متحاورة ومتجاورة، متحاربة حينا ومتصالحة حينا يحدها من الجهات الستة قضية فلسطين.

فحيثما اختلفت وصعدت أو حطت رحالها كان الجامع لنقائص أو تيارات أو اجتهادات حركة فتح هو فلسطين، وليس كأولئك الذين وضعوا فلسطين على هامش مشروعهم الأكبر أو الشمولي فأصبحت ثانوية لا

أساسية وفرع لا أصل.

فتح الحركة حيوية وديمومة، أصالة وتغير دائم، وفتح الفكرة والخلق والسلوك كانت تنهض من عبق الشارع واغتراف المعاني الصاعدة من نهر الحضارة العربية الإسلامية وبالإسهامات المسيحية الشرقية، وبالانفتاح على الفكر والحضارة والثقافة الإنسانية عامة وهي بذلك أبرزت مفهوم (الوطنية) في السياق المحيط[42].

شعار «عدم التدخل» والدول «القومية»

اعتمدت منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف) وحركة «فتح» سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، لأنها جعلت فلسطين الملتقى والهدف، ومن يأتي لفلسطين أهلا وسهلا به بيننا ومعا يدا بيد وسويا، في إطار المعركة «القومية»[43] أو النضالية عامة، ورغم أن هذا الشعار الذي طبقته فعليا على الأرض اجتُرح لغرض كف شرور الأنظمة العربية عن العبث في جسد الثورة، لاسيما فترة الانقلابات العربية والتقلبات السياسية التي صاحبت الانطلاقة 1965، ولتكريس الثورة باتجاه العدو الرئيس إلا أن العكس هو ما حصل من هذه الأنظمة، إذ كان لعديد الأنظمة قصب السبق في العمل على تحطيم وشق المنظمة وحركة فتح عند أول فرصة تلوح لها.

42- من مقال للكاتب بكر أبوبكر تحت عنوان (في ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية 47 فتح تنتصر بالعمل والجماهير) على موقع صحيفة الحياة الجديدة، وعلى موقعه الشخصي www. bakerabubaker. info

43- كان شعار الوحدة العربية وقومية المعركة يطغى على المفهوم «الوطني» الذي اعتمدته حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح بين أفكار: القومية الشوفينية وبين الاشتراكية العلمية (الشيوعية) وبين الإسلاموية (خاصة الإخوان المسلمين وحزب التحرير) كلها فكرانيات (أيديولوجيات) ذات الأفق العالمي أو الواسع، وفي السياق طرحت الحركة فكرا غير مؤدلج يصر على أن (فلسطين طريق الوحدة) مخالفة شعار الأحزاب والدول البعثية القومية آنذاك أن: الوحدة طريق التحرير.

غنى عن الحديث المسهب ما حصل من النظام السوري (في أقله دعم الانشقاق على فتح عام 1983 ثم حرب طرابلس-لبنان، وحرب المخيمات البشعة في لبنان (1985-1988)، والمحاولات المتكررة لإنشاء منظمة تحرير بديلة[44] سواء مع بعض تنظيمات اليسار ثم لاحقا مع دعم النظام السوري لفصيل «حماس» الذي سعى جاهدا لإنشاء المنظمة البديلة[45]...)

44- أنظر ماذا يقول الكاتب عصام عدوان في مجلة فلسطين الآن التابعة لـ«حماس» http:/ / felesteen. ps/ هذا في 8/ 9/ 2015 بعد أن ينظّر لفشل «حماس» في دخول المنظمة رغم محاولاتها كما يرى (؟!) وحيث اعتبر الدخول للمنظمة دخولا إلى «قفص» و«عبودية» (؟!) حيث يختم بالقول: «على حركة حماس، ومعها كل فصائل المقاومة خارج إطار منظمة التحرير أن تُقِرّ بفشل سياسة الدخول إلى منظمة التحرير، لترفع تلك الغشاوة عن ناظريها، لتبصر آفاق الخيارات والبدائل الأفضل».

45- في شهر فبراير2009 ومازالت «حماس» في دمشق وبعد الانقلاب في غزة بعامين: ((تعهد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل بـ«مفاجأة» لبناء مرجعية جديدة بديلا عن منظمة التحرير الفلسطينية، رافضًا الشروط الإسرائيلية لفتح المعابر مع قطاع غزة مقابل الافراج عن الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط. وكشف مشعل في خطاب خلال حفل اقيم في الدوحة تحت عنوان «وانتصرت غزة»: «عن تحرك تقوم به الفصائل سوف تفاجئ به الاطراف الاخرى لبناء مرجعية وطنية جديدة تمثل فلسطينيي الداخل والخارج وتضم جميع القوى الوطنية الفلسطينية وقوى الشعب وتياراته الوطنية». وأكد ان «منظمة التحرير الفلسطينية في حالتها الراهنة لم تعد تمثل مرجعية الفلسطينيين وتحولت إلى ادارة لانقسام البيت الفلسطيني»)). أنظر صحيفة الشرق الاوسط في 7/ 2/ 2015، ويقول صالح القلاب في فبراير 2009حول الموضوع: ((لم يكن الاجتماع الذي عقدته ثماني فصائل فلسطينية في دمشق، ست منها وهمية ومجرد انشقاقات عن انشقاقات، والذي سبقه اجتماع مع الرئيس السوري بشار الأسد وتبعته جولة قادت خالد مشعل أولا إلى الدوحة ثم إلى طهران، وإنما ذلك المؤتمر الذي انعقد في يناير (كانون الثاني) من العام الماضي 2008 تحت «لافتة» حق العودة، وثبت أن هدفه الحقيقي هو شطب المنظمة الحالية المعترف بها من قبل نحو مائة وعشرين دولة من دول العالم والتي اتخذ العرب في قمة الرباط عام 1974 قرارا ملزما بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. قبل هذا المؤتمر، الذي انعقد في دمشق في يناير (كانون الثاني) في العام الماضي والذي شكل لجنة لإقامة المنظمة البديلة لمنظمة التحرير التي أعلن عنها خالد مشعل بعد لقاء مع الرئيس بشار الأسد وعشية جولة قادته أولا إلى الدوحة ثم إلى طهران «الثورة»، كانت «حماس» قد قامت بانقلاب يونيو (حزيران) الذي قامت به في غزة، وشطرت

والنظام العراقي (وفي أقله استغلال جماعة أبونضال كبندقية للإيجار في تصفية قياداتنا، والتي تنقلت بندقيته لاحقا من كتف إلى كتف...)[46] والنظام الليبي في مراحل عديدة (مثل استغلال جماعة جبريل وبعض الفصائل الأخرى ضد الثورة، و«نصيحة»: موتوا في بـيروت...[47]) حيث عكس الخلاف السياسي المفكرن (المؤدلج) نفسه على العلاقة والناس، لا سيما بين الرئيس الراحل ياسر عرفات والمنظمة من جهة وبين هذه الأنظمة المغترة بذاتها، وما كان الخلاف على تحرير فلسطين أبدا، وإنما

الوضع الفلسطيني سياسيا وجغرافيا إلى شطرين، إمارة غزة الإسلامية التي أقيمت وفق المواصفات الخمينية في مواجهة دولة الضفة الغربية والسلطة الوطنية في رام الله.))

46- صبري خليل البنا (16 مايو 1937 - 16 أغسطس 2002)، وشهرته أبو نضال، مؤسس ما أسماه فتح-المجلس الثوري، وهي جماعة مسلحة فلسطينية منشقة، عرفت أيضًا باسم منظمة أبي نضال، وإبان فترة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، كان البنا في أوج قوته، وحينها عرف على نحو واسع بكونه بندقية للايجار حيث مارس العديد من عمليات الإرهاب والاغتيال للقيادات الفلسطينية بأوامر عراقية ثم ليبية لاحقا مثل سعيد حمامي وعزالدين القلق وعلي ياسين ود. عصام السرطاوي.

47- كتب حافظ البرغوثي رئيس تحرير الحياة الجديدة عام 2000 في الصحيفة الفلسطينية يقول 0 (وسألت ابو اياد قبل اجتياح «إسرائيل» للبنان فقال ذهبنا إلى ليبيا نطلب صواريخ «لونا» التي يبلغ مداها 60 كيلومترا لردع «إسرائيل» حتى لا تفكر في غزو لبنان فرفض القذافي وقال «انه بمجرد بدء الغزو فان طائرات ليبية ستنطلق لضرب تل ابيب وهناك طيارون فلسطينيون في سلاح الجو الليبي سيقومون بالأمر فلا حاجة للصواريخ» فقلت لأبو اياد ولكن الا يعطونكم اسلحة ومدافع؟ فقال «لفتح لا.. انهم يعطونها لأحمد جبريل.. ونحن نأخذها منه بطرقنا» في البداية لعب-القذافي- دورا داعما للثورة ثم انقلب وبدأ يلعب دور الافساد في الثورة الفلسطينية من حيث بث الفرقة وتبني الانشقاقات ودعمها واستخدامها في الاغتيالات الداخلية والخارجية والترويج بأنه يضع اقتصاد ليبيا وأموالها في خدمة القضية الفلسطينية. وهو ما لم يحدث بل سخر الاموال لضرب القضية الفلسطينية.. فالدولة الوحيدة التي لا تسدد اي التزام بالدعم المالي.. هي ليبيا سابقا ولاحقا وحتى ما تم الالتزام به في قمتي سرت لم يدفع منه فلس واحد من جانب ليبيا. فدور القذافي كان دوما استمالة فصائل معارضة لأبي عمار ولاحقا لأبي مازن.. وحياكة المؤامرات ودعمها.. فهو يلعب ماديا الدور الذي تلعبه قناة الجزيرة اعلاميا اي النميمة ونشر الفساد والفتنة وآخرها محاولة عقد لقاء بين احد قادة فتح وقادة من حماس في طرابلس لخلق تحالف ضد أبو مازن برعاية ليبية.))

على حجم دور هذه الأنظمة في الشأن الفلسطيني الذي كان يرفعها أو ينزلها في عيون جماهيرها وبالتالي يثبت أو يعظّم شرعية نُظُمها المهتزة، فكان الطعن في جسد الثورة ومحاربتها بالنار والبارود وقطع الأموال عنها وشن حرب إعلامية شرسة عليها وعلى الفلسطينيين هو الأسلوب الأمثل والأسهل (والذي يرونه ذو الجدوى) لها بدلا من اللجوء للحوار ومزيد من إيجاد الجوامع.

حركة فتح والإجماع العربي

رغم تأكيدنا أن الدول العربية، وحتى تلك المشار لها كانت في مراحل محددة ذات ثقل حقيقي وداعم للثورة بلا جدال[48]، إلا أنه في حالات الخلاف والشِقاق كان الحل لدى أنظمتها أو لدى أجهزتها الأمنية خاصة من جنس ما عاملت به شعوبها، وهو إدخال المبضع في جسد الثورة وحركة فتح ما شكل تدخلا سافرا وقاتلا وخرقا لسياسة الحركة والمنظمة.

في ذات الإطار اتخذت حركة فتح مواقف واضحة في دعمها الإجماع العربي على صعوبة تحقيقه، وأحيانا على تساهله ومسايراته المائعة للأنظمة وجنوحها للتنازل، وكانت فتح والمنظمة مع الحل العربي والتنسيق العربي دون فقدان روحها الاستقلالية (القرار الفلسطيني المستقل شعار حركة فتح لم يعني العنصرية أو التقوقع أو العزلة أو الاقليمية، وإنما عنى القرار في إطار التعاون العربي) ورفض انسحاقها تحت أقدام الأنظمة ومصالحها الخاصة، فكانت مع الحل العربي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية في ظل فقدان الداعم العربي الاستراتيجي لمعنى الجبهة الثورية ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين. (أنظر الموقف من مشروع قمة فاس الثانية بعد حصار بيروت 1982 ومبادرة السلام العربية عام 2002 أثناء حصار أبوعمار

48- حيث لا ينكر الدور السوري في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي في الدعم الشريف للثورة كمثال، وخاصة قبل مرحلة حكم آل الأسد، وفي بداياتها.

في المقاطعة برام الله).

دعمت حركة فتح العمل العربي عبر الجامعة العربية وعبر مختلف صيغ التعاون في كل المفاصل، في القضايا العربية كلها وأبرزها السياسية والوجودية ضد العدو الإسرائيلي باحتلاله فلسطين أساسا بالقطع، وباحتلاله الجولان وجزء من الاراضي اللبنانية، وسيناء (حتى تحررت)، وأيضا الموقف الواضح من احتلال جزردولة الإمارات العربية المتحدة من قبل النظام الإيراني الشاهنشاهي [49] حين احتلالها فكله احتلال.

كان موقف حركتنا دوما موقفا عروبيا صارما، لأنها رأت الاعتداء على أي جزء من الأمة العربية -بكافة مكوناتها- هو اعتداء على ثغرة من الثغور واعتداء على أولوية القضية الفلسطينية ومحاولة لحرف المسار العربي عن القضية المركزية قضية أمة العرب والمسلمين وأحرار العالم، كما هو حاصل اليوم بالاقتتالات الداخلية الواسعة المدعومة اقليميا.

التفتيت القائم اليوم في جسد الأمة العربية من شرقها إلى غربها -إن عرجنا عليه بعُجالة- هو بإرادة الفكر الاستعماري التمزيقي الذي يحاول تسويق إعادة تركيب الأمة على منطق طائفي/ مذهبي وإثني واقتصادي مهمين لها، لا يجابهه ويقف له بالمرصاد ويصمد أمامه إلا استعادة مفهوم حركة فتح الأصيل بتكثيف الفكر الوطني الوحدوي ضمن حيز الإقليم/ الدولة المنفتح على البناء الوحدوي العربي/ الإسلامي.

49- أقدمت إيران في 30 نوفمبر عام 1971 على احتلال الجزر الإماراتية الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى اللتان تتبعان إمارة رأس الخيمة، وجزيرة أبو موسى التي تتبع إمارة الشارقة. قبل أيام من استقلال الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971، وفي هذا اليوم أيضا نالت استقلالها من الحماية البريطانية.

«الفكر الوطني» في مواجهة «الطائفية والتمزق

يقف الفكر الوطني الجامع للمكونات حلاً ضد ما انتشر اليوم من دعوات طائفية أو مذهبية أو إثنية من بعض مكونات الأمة اللاهية أو الغاضبة أو المظلومة أو المنخرطة في اللعبة التفتيتية، بل ويقف هذا المفهوم «الوطني الجامع» ضد الدعوات الإسلاموية المتطرفة والخطيرة التي تُفتت الشعوب وجسد الأمة وتنقل الثقل من الكُل الجمعي، ومن العمل على بناء الإنسان والبلدان بالعلم عبر التطوير والإبداع، وبالاقتصاد القوي والصناعة والزراعة، وبالتغيير بالفكر إلى الرجوع قرونا للخلف واستفراغ سواد ليالٍ حالكة على شذوذها كان الوعي فيها خارج عن السياق العلمي أو الحضاري الإنساني بل وخارج عن السياق الإسلامي السمح.

من منطلق عدم التدخل، واحترام الدول وشؤونها الداخلية، ودعم الاجماع ودعم الثورات، والشعوب وشؤونها في أوطانها، وقفت حركة فتح مع الثورة الإيرانية (1979) فكانت أول المرحبين بها بل ومن الداعمين لعديد الرجال في مساراتها دعما لفلسطين، فكان (يوم القدس)[50] الذي أعلنه الإمام الخميني اقترابا أصيلا من فلسطين وقضايا الأمة عامة عبر

50- الإعلان جاء بعد 6 أشهر من عودة الإمام الخميني إلى إيران وبعد أربعة أشهر من قيام «الجمهورية الإسلامية» أي في تموز من العام 1979م لإثبات حضور القضية الفلسطينية والقدس في فكر الإمام، واليوم لم يكن خاصاً بالمسلمين، بل يوماً عالمياً (كما يضيف موقع دار الولاية) «ولعل في ذلك إشارة إلى إعطاء الإمام للقضية بعدها العالمي، كنموذج للصراع بين الحق والباطل، وهذا ما عبر عنه الإمام والذي سيتضح من دلالات يوم القدس» ويقول الخميني نصا حول هذا الموضوع: «يوم القدس يوم عالمي، ليس فقط يوماً خاصاً بالقدس، انه يوم مواجهة المستضعفين مع المستكبرين». ويقول قدس سره: «انه يوم مواجهة الشعوب التي عانت من ظلم أمريكا وغيرها للقوى الكبرى» مضيفا: «يوم القدس يوم يجب أن نخلّص فيه كل المستضعفين من مخالب المستكبرين، يوم يجب أن تعلن كل المجتمعات الإسلامية عن وجودها وتطلق التحذيرات إلى القوى الكبرى». -أنظر موقع http:/ / alwelayah. net/ ?p=26807.

القدس، ما لم يمنعها من التردد في الموقف من الحرب العراقية الإيرانية،[51] فوقفت حركة فتح بالبداية محايدة إلى أن ظهرت مطامع النظام الايراني جلية، هذه المطامع التي ظهرت لدى الحُكم المطلق بالهيمنة الإقليمية وتصدير الفكر السياسي السلطوي (دستور الجمهورية الإسلامية في إيران يلزمها بالتدخل لحماية المستضعفين في العالم!) الذي تريد حقنه قسرا في جسد الأمة ما كان معناه أن نكون مع أمتنا العربية والإسلامية وإما ضدها- عدا عن تدخلاتها اللاحقة في الساحة الفلسطينية حتى اليوم- فوقفت القيادة الفلسطينية بوضوح ضد التدخلات الإيرانية في الشأن الفلسطيني، والعربي سواء في العراق أو سوريا أو اليمن، مع الاحترام لسيادتها الوطنية وعضويتها في الأسرة الإسلامية وفي الإقليم.

ورغم موقف القيادة الفلسطينية من احتلال الكويت عام 1991 من قبل النظام العراقي الذي شابه تكثيف الإدانات الظالمة، إلا أن حقيقته بأجمعه كان ضد مبدأ الاحتلال لأي دولة عربية أو جزء منها، واللجوء لحل عربي كما رأى عديد القياديين فيها، فيما انبرى آخرون لرفض الاحتلال دون تحديد شروط الحل.

ومن هنا كان منطق حركة فتح في السعي الدائم للحفاظ على الإجماع العربي (في الإطار العربي، لا الأمريكي أو الأجنبي) ضد الاعتداءات الاقليمية التي أساسها من العدو الصهيوني، ويتداخل معها اليوم مصالح سياسية

51- حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقية الإيرانية، أطلق عليها من قبل الحكومة العراقية آنذاك اسم قادسية صدام بينما عرفت في إيران باسم الدفاع المقدس (بالفارسية: دفاع مقدس)، هي حرب نشبت بين العراق وإيران من سبتمبر 1980 حتى أغسطس 1988، خلفت الحرب نحو مليون قتيل، وخسائر مالية بلغت 400 مليار دولار أمريكي، دامت الحرب ثماني سنوات لتكون بذلك أطول نزاع عسكري في القرن العشرين، وواحدة من أكثر الصراعات العسكرية دموية، أثرت الحرب على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وكان لنتائجها بالغ الأثر في العوامل التي أدت إلى حرب الخليج الثانية والثالثة (عن الموسوعة الحرة

واقتصادية وهيمنة من السلطة/ الدولة الإيرانية والدولة التركية التي لا يصدها إلا محور عربي وحدوي جامع ذو ثقل له أهداف واضحة وخطة طريق.

حركة فتح و«المحور العربي»

وقفت حركة فتح ثابتة في السياق الوحدوي في إطار المنظمة (م. ت. ف)، عندما انطلقت شرارة ما أسمى «الربيع العربي» وتعاملت مع إفرازاته حتى عندما لم تعجبها، فوقفت هنا مع إرادة الشعوب ضد الظلم والاستبداد والفُرقة، لأن إرادة الشعوب أهم من بقاء أو زوال الأنظمة السياسية أو رموزها، ما لا يعني تدمير الدولة وتفتيت الشعب وتقسيم الأمة.

قوة «المحور العربي» هذه الأيـام كأولوية تتجلى حقيقته برأسه السعودية وبمصر وسوريا والجزائر، وقلبه النابض بالقضية الفلسطينية، فإن كانت سوريا قد أخرجت من المعادلة كما أُخرجت العراق ودول أخرى لأهداف تعظيم القوة الإسرائيلية في الإقليم ولأهداف استمرار السيطرة الاستعمارية على أمتنا برأس حربتها الصهيونية إلى الأبد، إلا أنه كان لزاما على البقية من أمة العرب في مثل هذا الظرف الكئيب الحفاظ على الوحدة أو استعادتها وإن بشكل تدريجي أو جديد، ثم التعبير عنها بالتصدي للهجمات في جسد الأمة أولا وقبل كل شيء عبر مسارات العلم والتعليم والتربية والوعي والنور وهو النموذج للبناء الحضاري، وبالكفاح والمقاومة ضد العدو المشترك، وبتوقي محاولات الهيمنة الاقليمية سواء الإيرانية أو التركية أو غيرها.

إن العلاقات القومية الفلسطينية-العربية ليست علاقات شوفينية أو عنصرية أو انعزالية مطلقا، ترتبط بالجنس أو العرق أو القبيلة، أنما هي

علاقات مكانية تاريخية/ حضارية ثقافية، مصلحية قومية بصبغة تعاونية تشاركية وحدوية اقترابية للكثير من المشتركات، وهي علاقات لا تحد من ضرورة تمتين العلاقات الأخرى مع دول الإقليم ومع دول المحيط أي تلك الإفريقية أو الآسيوية، ومع الدول الإسلامية غير العربية، وكذا المنظمات والجماعات، بل إن الفناء العربي السمح ذو العمق العروبي-الإسلامي يستطيع بجامعية فلسطين أن يستقبل الإسهامات التي تُقرّب ولا تبعّد، ويستطيع أن يُصعِد في مركبه الواسع كل الثوار في العالم.

«فتح» التنظيم الطائر: هُنا خالدون (2018)

في الذكرى الثالثة والخمسين لانطلاقة ثورتنا الفلسطينية المعاصرة، انطلاقة المارد الفتحاوي، من جوف اللجوء، والتشرُّد، والضياع والألم والأحزان. نقفُ اليوم وبكل اعتزاز لنؤكّد أنَّ مسيرة شعبنا الكفاحية التي بدأت مع الطلقة الأولى، والعملية الأولى، والأسير الأول، والشهيد الأول، والامل الأول مازالت تشقُّ طريقها بقوة الإيمان المطلق بحقوقنا الوطنية، ومازالت تواجهُ التحديات، وتتجاوز العقبات، متمسكة بالانجازات التاريخية التي كرست لشعبنا هُويّته العربية الوطنية، وحضورَه السياسي والوطني على الخارطة الجغرافية، رافضةً المساومة والمقايضة على قرارها المستقل هكذا يبتديء الفتحويون خطاباتهم بالانطلاقة وذكراها فاقول عنها ونحن قد دخلنا العام 2018 بصعوبة وكانت 2017 متميزة

أعتقدُ أنَّ العام 2017 كان عامًا فلسطينيًّا بامتياز، فلا تعجبوا أبدًا، حيثُ استطاع الفلسطينيون، شعبًا وقيادةً واعيّةً، أن يثبتوا رسوخهم بالأرض، عبر تمكنهم من تكريس الثبات والصمود منهجَ حياة.

لقد أثبت الفلسطينيون قدرتهم على الصمود والتحدي وإن بأقل الإمكانيات، رغم تغوّل الاحتلال ومشاريعه الاستعمارية والأبارتهايدية، فكانت غضبات وهبّات القدس والأقصى منذ العام 2014، وحتى العام

الفائت، الدلالة الكبيرة على هذا المكون الذي أصبح جزءًا لا يتجزّأ من شخصية الفلسطيني.

لستُ بوارد نسيان أنّ الرسوخ والثبات والصمود كمكوّن وطني أصيل بدأ يأخذ سياقه المنهجي ليس فقط في الخارج حيث انطلقت الثورة، وليس في الضفة والقدس فقط، وإنَّما حيث تصدّى الفلسطينيون في غزّة البطلة بصدورهم وحُبِّهم ومقاومتهم للاعتداءات الصهيونية المتكرّرة، فرسموا في سماء الوطن علامة الحقيقة.

ودعني أقول أن مركَب الشخصية الفلسطينية بعد النكبة عام 1948 تشكَّل من عناصر ثلاثة هي: الشخصية المتعلِّمة التي تكوَّنت ضدَّ الأمية والجهل والغفلة واليأس والشعور بالتهميش أولاً.

والشخصية الفاعلة العاملة المبادرة التي تخدم نفسها وعائلتها ومجتمعها رفضًا لواقع التشرُّد واللجوء والمساعدات الإنسانية، فنحن شعب مُجِدٌّ ودؤوبٌ.

ثُمَّ ثالثًا الشخصية الثورية التي تجلَّت مع بروز وجه الفتح المبين في ظلام واقع الأمة العربية بأنظمتها المتخلِّفة وبشعارات المنظّمات الخلّابة بلا فعل.

ومع تراكم الثلاثية في الخارج حيثُ مخيّمات اللجوء وفي الداخل بدأ الصمود والرسوخ في الأرض يأخذ شكلاً يوميًّا، أي يتحوّل لمنهج حياة لن تستطيع الدبابة أو الجرافة أو الرواية الصهيونية الخرافية أن تقتلعنا ثانية من أرضنا.

كان الشكُّ يُحيط بالكثيرين ويكاد يطيح بهم مع خفوت صوت البندقية سواء في غزة أو الضفة، وقبله من الخارج، وما كان لشكوكهم هذه أن تعطي ثمرها في الشعب الفلسطيني بالخارج أو الداخل لأنَّ اختيار

شكل النضال والجهاد والكفاح يُقرِّره الشعب، وفي ظلّ وعيٍ وإدراكٍ وفهمٍ للمعطيات والمتغيّرات، فلا يتوه بين الخيارات، ولا ينجَرُّ للمراهقة السياسية، ولا يعطي العدو أرضَ معركةٍ مفروشةٍ بالراحة ومكوَّنةٍ من معطيات التفوق للعدو.

أدرك الفلسطينيون عامل قوتهم برسوخهم وثباتهم ومقاومتهم (ووحدتهم)، وعمقهم العروبي الإسلامي المسيحي الراسخ، فانتصروا بالقدس وفلسطين في جولة وجولات، ومازالت الجولات كثيرة، لكن المنهج قد أصبح واضحًا.

في العام 2017 انتصر الفلسطينيون على كلّ أفكار الكُساح السياسي والانكسار التي تظن أنَّ الفلسطينيين لا يمتلكون شيئًا من السياسة إلا رفعَ العقيرةِ بالصياح، ولا مَن يستمعون.

نحن بالعمل الدؤوب أسمعنا حتى الصمّ في العالم العربي والإسلامي، كما أسمعنا العالم الغربي بحراكنا الميداني المقاوم، وبحراكنا السياسي والدبلوماسي المتقن، والذي فهم أن فلسطين ودولة فلسطين والقدس هي الحق بعينه، إذ حين ينظرون بعين القانون والتاريخ والسياسة والقرارات والمنظمات الدولية فالحرية والعدالة والحق إلى جوار فلسطين.

مازال في الأمة من الصُم من يجب أن يسمعوا ويفهموا أنَّ في فلسطين وفي الخارج شعبًا يتقن معادلة الرسوخ والثبات والبقاء والمقاومة في وطنه المحتلز

وشعبًا أتقن فنَّ الاستمرار، ولن يُكرِّر خطيئة لوم الآخرين أو الوثوق بالغير الذين لم يُطعمونا لا خبزًا ولا سكرًا، وهُم مَن توقَّفوا عن سرج الخيول منذ زمن طويل.

نحن الأَوْلى أن نكون طليعة الأُمّة العربية والإسلامية ورأس الرمح،

وبنا ومعنا تتعملَق الأمة، وتعتلي أسوار القدس، وتصدح الكنائس، ويقام الأذان، ونصلي معا بإذن الله تعالى.

أمَّا رسالة حركة «فتح» للعام الجديد وحتى النصر المبين باذن الله، فلا يستطيع إلّا أعمى ألّا يراها وهنا الطامة الكبرى في مُعاقي الأمة، فحركة «فتح» ما كانت فاصلة في التاريخ ولا كانت علامة تعجب.

حركة «فتح» كانت ومازالت سِفرًا مليئًا بالأفكار والبرامج والقِيَم والتوجهات والمواقف والـصراعـات والنتائج والـحـوارات والمباديء الديمقراطية والسهد والسهر والنزف والتضحية والعقل، والنكوص أحيانا والعبث والتخلخل والفرقة.

«فتح» آمنت أنَّ النسر لا يطير إلّا بجناحين اثنين، هُما جناح الإيمان بالله وحتمية النصر، وجناح التضحية هي الحركة التي جعلت من الوحدة شعارًا لم تمل من تكراره، وان دخلت في مراحل من الانتكاسات ستمر وتزول ما أن يرفع الغريب يده المبللة بسموم المال والمصالح والشعارات الكاذبة.

حركة «فتح» الحركة الرسالية شاء من شاء وأبى من أبى، في رسالتها روح الحضارة العربية الإسلامية، وثقافتها الاستيعابية السمحة لكلّ مكونات الوطن من مسيحيين ومسلمين، ولكل أبناء الأمة العربية بلا تمييز بالعضوية فيها بين العراقي والمصري والمغربي والأردني أو الفلسطيني.

حركة «فتح» التي عانت كثيرًا من الدلف، إذ كثيرًا ما غرقت بالمياه العادمة التي كانت تُلقى عليها من أصحاب البرامج المشبوهة في الأمة العربية والإقليم، إلّا أنَّها وكما كان يردّد قائد المسيرة الختيار ياسر عرفات كطائر الفينيق تقوم أبدًا من تحت الرماد.

حركة «فتح» التفلُّت والفوضى والاهمال وافتقاد البرنامج والتعارض

والمصالح الفردية والانكماش والهزالة والقبح وقلة الحيلة والسوداوية والشكوى والاستبداد والبؤس واللطم والكهرباء الساكنة، والتردد والضعف والغفلة، ومجال الصدمات المفتوح هي حركة «فتح» التي لا نريدها، وإن عشنا بشخوص فيها يمتلكون من عناصر التبعثر والأفول والسوداوية ما لم (ولن) يستطيعوا معه أن يقلبوها أو يدمِّروها، ولن يستطيعوا أبدًا.

حركة «فتح» التي يجب ألّا يتغافل عن رؤيتها مَن يظن بذاته ينشد لفلسطين هي المحطة الأولي في رسم علامة رقم 7 أي علامة النصر التي اقترنت بياسر عرفات ومازالت فيه واضحة، رغم الكثيرين الذين رفعوها قبله وبعده، ما يؤكد شعار حركة «فتح» الدائم ثورة حتى النصر الملفَّع بكوفية الأمل.

رسالة حركة «فتح» التي كرسَّت بالمقاومة الشعبية والانتفاضات والغضبات والهبات وجمعات الغضب ومخيمات الصمود هي أنَّ هذا الشعب لهذه الأرض، وهذه الأرض ما عرفت شعبًا سواه..

هذه الأرض هي فلسطيننا منذ 10 آلاف عام، والعرب الكنعانيون والعرب الفلسطينيون القدماء والعرب اليبوسيون وغيرهم من القبائل العربية، هي التي أقامت الحضارة وزرعت الأرض بالشجر والحب والثقافة الجامعة. ونحن امتدادها

هي فلسطين التي حرثت فيها الأرض طولا وعرضا حتى عندما جاء الصهاينة ليركبوا خرافة «أرض بلا شعب» اكتشفوا

مذهولين كما قال أحد مفكريهم الكبار في القرن 19 -هوآحاد هاعام- اكتشفوا أنها على غير الشعار الكاذب الذي حاولوا إيهام العالم به، فهي أرض تنبض بالحياة ومزروعة طولا وعرضا، وهي تتحدث بلغة شعبها العربي.

رسالة حركة «فتح» في مطلع العام 2018 أننا من هنا، فنحن المرابطون

كما قال عنا الرسول الكريم، وهنا نحن باقون وهنا راسخون وهنا مستمرون.

الفكر والايديولوجية العنصرية الصهيونية، أو اليهودية المتطرفة هي الايديولوجية الزائلة وهنا يكمن الفرق الجوهري في رسالة حركة «فتح» الإنسانية الديمقراطية الحضارية للعالم، حيث تحتضن الأرض ولا تقبل هدير الجرافات ولا أزيز الطائرات، وترفض العنصرية المتعملقة بالذات اليمينية الإسرائيلية (المدعومة من اليمين الغربي الصهيوني) كما ترفض المستعمرات والمستعمرين في جسدنا وفي عاصمتنا الأبدية القدس.

حركة «فتح» ميَّزت بوضوح -لا يفقهه الأغبياء أو الأدعياء أو الحاقدون- ميزت بين الوطن والأرض والرواية والتاريخ والجغرافيا حيث تحتضن هذه الخماسية فلسطين التي فيها حيفا ويافا والناصرة والقدس وخانيونس ورفح ونابلس وبيت لحم سواء بسواء، وحيث نسعى لكيان سياسي أو لدولة في حدود العام 1967 وعودة اللاجئين والسيادة والقدس، فنحن بالسياسة نبني الكيان المستقل.

يظل الوطن والأرض والتاريخ والحضارة والجغرافيا لا تفرق أبدًا، بل تجمعنا والأمة، أي بكل وضوح فان التعبئة الفكرية الثقافية والحضارية هي بالارتباط الكلي، فنحن في الداخل والضفة وغزة والخارج شعب واحد لأرض واحدة.

ومهما كانت الدولة بعيدة أو قريبة فهي المدخل السياسي الصحيح للنضال الطويل من بعدها، فلا يتوه أحد بين دهاليز السياسة فيخلط في عقله بين الحضاري التعبوي الايديولوجي وبين السياسي.

معركتنا لا تكاد تنتهي فمازال مشوارنا طويلا، ويحتمل صعود الأجيال، جيل يتلوه جيل، فإن لم ننجح بالتوحد حول الهدف والغاية واختيار

المسلك والوسيلة بقيم المحبة والثقة والبرنامج المشترك، والرسوخ فكيف لنا أن نتوجه للأمة بطلب الدعم والمؤازرة!

نحن من يجب أن يبدأ بنفسه فنكون كما قال قائد المسيرة الأخ أبو مازن في إضاءة الشعلة ومستلهما من الآية الكريمة نحن الصابرون المصابرون المرابطون والله معنا.